

جامعة بادجي مختار - عنابة
مديرية النشر



التفواصل

فيا

العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلد 28

عدد 02 - ديسمبر 2022

مجلة علمية محكمة ومفهرسة

التواصل

مجلة محكمة مفضرة تصدر عن جامعة باجي مختار - عنابة - الجزائر

مدير المجلة

أ.د. محمد مانع

رئيس جامعة باجي مختار - عنابة

مدير النشر

أ.د. كمال شايي

رئيس هيئة التحرير

أ.د. سميرة صويلح

أعضاء هيئة التحرير

- | | |
|---|---------------------------------------|
| أ.د. الشريفة بوشيدان - جامعة عنابة | أ.د. عمر شريف - جامعة باتنة 1 |
| أ.د. حليلة عمارة - جامعة البلقاء التطبيقية - الأردن | أ.د. كمال قريوح عليوش - جامعة عنابة |
| أ.د. دنيس لقرو - جامعة باريس 8 | أ.د. محمد دقسي - الأردن |
| أ.د. زمام نور الدين - جامعة بسكرة | أ.د. محمد طاري - جامعة سوق أهراس |
| أ.د. شارف عبد القادر - جامعة الشلف | أ.د. نوال بودشيش - جامعة الطارف |
| أ.د. شبيرة بوعلام - جامعة باجي عنابة | أ.د. يوسف سعدون - جامعة عنابة |
| أ.د. صادق فوزيل - جامعة تيزي وزو | أ.د. سميرة صويلح - جامعة عنابة |
| أ.د. عبد الرحمان خلفي - جامعة بجاية | د. علي الوحشي - جامعة الزاوية - ليبيا |
| أ.د. عبد القادر جفلات - جامعة ليل - فرنسا | |

الأمانة

السيدة: أميرة منصوري

السيدة: رندة ناصري

الآنسة: آمال داودي

مديرية النشر

جامعة باجي مختار - عنابة، ص.ب. 12-23000، عنابة

الهاتف / الفاكس: 04 57 00 213 (038) +

الموقع الإلكتروني: tawassol.univ-annaba.dz

البريد الإلكتروني: revue.tawassol@gmail.com

اللجنة العلمية

أ.د الشريفه بوشعدان	جامعة باجي مختار - عنابة
أ.د بوعلام عمار شبيبة	جامعة باجي مختار - عنابة
أ.د دنيس لقرو	جامعة باريس 8 - فرنسا
أ.د حليلة عمايرة	جامعة البلقاء التطبيقية - الأردن
أ.د رحاب يوسف	جامعة بني سويف - مصر
أ.د سميرة صويلح	جامعة باجي مختار - عنابة
أ.د عبد الرحمان خليف	جامعة عبد الرحمان ميرة - بجاية
أ.د عبد القادر شرف	جامعة حسينة بن بوعلي - الشلف
أ.د عبد القادر جفلاط	جامعة ليل - فرنسا
أ.د عمر شريف	جامعة الحاج لخضر - باتنة 2
أ.د قدور مريبود	جامعة باجي مختار - عنابة
أ.د كمال عليوش قروبوع	جامعة باجي مختار - عنابة
أ.د محمد بوادي	جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 2
أ.د محمد دقسي	الجامعة الأردنية
أ.د محمد صاري	جامعة محمد الشريف مساحدية - سوق أهراس
أ.د نوال بودشيش	جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف
أ.د نور الدين زمام	جامعة محمد خيضر - بسكرة
د. آسيا واعر	جامعة باجي مختار - عنابة
د. رحمة بن سماحيل	جامعة باجي مختار - عنابة
د. محمد الصمد سعودي	جامعة محمد بوضياف - مسيلة
د. علي الوحيشي	جامعة الزاوية - ليبيا
د. فتية أوهابيبة	جامعة باجي مختار - عنابة
د. مراد بن حرز الله	المركز الجامعي تندوف
د. نسرين حوار	جامعة باجي مختار - عنابة
د. نوال بوطرفة	جامعة باجي مختار - عنابة

تدقيق لغوي:

جامعة عنابة

أ.د كمال عطابج

قواعد النشر بالمجلة

- 1- تنشر مجلة التواصل الأبحاث المبتكرة الأصلية في اللغات والآداب وفي العلوم الإنسانية والاجتماعية وفي العلوم القانونية والاقتصادية باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية.
- 2- على أصحاب البحوث أن يلتزموا بالقواعد الآتية:
 - 1- أن تكون المادة المرسلّة للنشر أصيلة لم يسبق نشرها ولم تُرسل إلى جهات أخرى. وعلى صاحبها (أصحابها) تقديم إقرارا خطي بذلك.
 - 2- أن يكتب البحث بلغة سليمة وجمل قصيرة مع الاحترام التام لعلامات الوقف (النقطة، الفاصلة، .. إلخ).
 - 3- ألا يتجاوز حجم البحث اثنين وعشرين (22) صفحة بما في ذلك قائمة المراجع والهوامش والجدول والأشكال والصور، وألا يقل عن اثنتي عشرة (12) صفحة.
 - 4- أن يذكر في الورقة الأولى من البحث: عنوانه، اسم و(أسماء) المؤلف (ين)، ورتبته(هم) العلمية مرقمين بالترتيب، على أن يكون رقم (1) هو المؤلف المراسل (corresponding author)، المؤسسة التي ينتمي (ون) إليها (مركز بحث/ مخبر، قسم، كلية، جامعة)، رقم الهاتف، والبريد الإلكتروني.
 - 5- ينبغي أن يكون عنوان البحث وملخصه والكلمات المفتاح بثلاث لغات من اللغات الأربع (العربية، الإنجليزية، والفرنسية، الإيطالية) على أن تكون العربية والإنجليزية إجباريتين.
 - 6- أن لا يتجاوز حجم الملخص سبعة (07) أسطر وأن لا يقل عن أربعة (04).
 - 7- توضع الملخصات الثلاث في الصفحة الأولى ويتقدمها المكتوب بلغة البحث.
 - 8- تعرض الكلمات المفتاح مباشرة بعد كل ملخص وبلغته، على أن لا تزيد عن ستة (06) كلمات ولا تقل عن أربعة (04).
 - 9- أن يتبع المؤلف (ون) الأصول العلمية في إعداد الأبحاث وكتابتها وخاصة فيما يتعلق بإثبات المصادر وتوثيق الاقتباسات. يشار إلى المراجع المذكورة في النص برقم يوضع بين معقوفين ويثبت في الهامش:
 - إذا كان المرجع كتابا: يذكر اسم المؤلف ولقبه، سنة النشر، عنوان الكتاب، الناشر، مكان النشر، رقم الصفحة/ الصفحات.
 - إذا كان المرجع بحثا: يذكر اسم المؤلف ولقبه، ثم عنوان البحث، اسم المجلة، المجلد(العدد)، الناشر، مكان النشر وتاريخه، رقم الصفحة/ الصفحات.
 - إذا كانت المعلومة مأخوذة من الإنترنت، لابد - إضافة إلى بيانات المراجع - من ذكر عنوان الموقع الإلكتروني كاملاً متبوعاً بتوقيت وتاريخ الاطلاع على المرجع.
 - 10- توضع الإحالات والهوامش التي ترقم بشكل متسلسل من أول البحث إلى آخره مباشرة بعد نص البحث.
 - 11- يحق للمجلة (إذا تطلب الأمر) إدخال بعض التعديلات الشكلية على البحث دون المساس بمضمونه.
 - 12- على الباحث أن يتقيد بالعناصر الآتية وطريقة ترقيم عناوين بحثه الأساسية والفرعية وفق ما يلي:
 - * توطئة (مقدمة): يُطرح فيها الموضوع والإشكالية، وأهمية الدراسة، والدراسات السابقة في الموضوع (إن وجدت).
 - * عرض البحث بعناصره ومباحثه، وينبغي أن ترتب فيه العناوين الرئيسية والفرعية. وترقم وفق تسلسل كل منها مثال ذلك:
 - 1- التحليل الداخلي لمبنة إيدوغ وأدواته:
 - 1-1 تحليل موارد مبنة إيدوغ:
 - 1-2 تحليل كفاءات تسخير الموارد:
 - 1-2-1 من المؤسسة:

1-2-2- من الأشخاص:

.

3- وهكذا

* الخاتمة: وتتضمن أساساً النتائج والتوصيات (الاقتراحات).

13- أن يكتب المقال بحسب المواصفات الآتية:

• إعداد الصفحة: (A4)

• نمط الخط: (Simplified Arabic) باللغة العربية/ و (Times New Roman) باللغات اللاتينية.

• حجم الخط:

- عنوان البحث ونصه بالعربية: 13 | - عنوان البحث ونصه باللغة الأجنبية: 12

- الملخص والكلمات المفتاح: 12 | - الملخص والكلمات المفتاح: 12

• بين السطور: 0.0 نقطة.

• هامش الصفحات: اليسار: 2,5 سم، اليمين: 2,5 سم، الأعلى: 2 سم، الأسفل: 2 سم.

• ترقيم الصفحات في الوسط/ أسفل الصفحة.

14- البحث الذي يستجيب لقواعد النشر يخضع إلى عملية الإغفال (Anonymat)، ثم يرسل إلى لجنة التحكيم. ويُقبل للنشر إذا حظي بموافقة عضوين منها على الأقل. وفي حال رفض عضو منهما يعرض على محكم ثالث للفصل في مدى صلاحية البحث للنشر. وفي حال قبول البحث بتعديلات يطلب من المؤلف إدخالها في مدة لا تتجاوز الشهر، ثم يتم إطلاع الخبير (ين) عليها قبل أن تنال القبول النهائي للنشر.

15- ترسل الأبحاث في شكل ملف مرفق حصرياً على موقع المجلة بالبوابة الجزائرية للمجلات العلمية (ASJP):

<https://www.asjp.cerist.dz>

16- ما ينشر في المجلة يعبر عن آراء أصحابها ولا يمثل بالضرورة رأي المجلة أو الناشر.

Consignes de rédaction de la revue EL-TAWASSOL

I. La revue El-Tawassol publie des articles originaux dans le domaine des langues, lettres, sciences humaines, et sociales, juridiques et économiques, en langue arabe, anglaise, française et italienne.

II. Les auteurs d'articles s'engagent à :

1. Ne pas avoir soumis et publié leurs articles dans d'autres revues et présentent une déclaration écrite, sur l'honneur à ce sujet.
2. Rédiger un article linguistiquement correct en utilisant des phrases courtes, tout en respectant les signes de la ponctuation. L'article n'excèdera pas vingt-deux (22) pages (incluant bibliographie, marges, tableaux, graphiques et images) et ne doit pas être inférieur à douze (12) pages.
3. La première page doit contenir: le titre complet de l'article, le(s) nom(s) et le(s) prénom(s) de(s) l'auteur (s), son (leur) grade énumérés respectivement, à condition que le premier auteur soit l'auteur correspondant à l'institution à laquelle il(s) appartient (nent) centre de recherche/ laboratoire, département, faculté, université), son (leur) numéro de téléphone, et son (leur) adresse (s) électronique (s).
4. L'intitulé de l'article, le résumé et les mots-clés doivent être rédigés dans trois langues parmi ces quatre langues proposées: l'arabe, l'anglais et le français ou l'italien, l'arabe et l'anglais sont obligatoires.
5. Chaque résumé ne doit pas dépasser sept (07) lignes et inférieur à quatre (04) lignes.
6. Les résumés doivent être insérés dans la première page et devancés par celui rédigé dans la langue de l'article.
7. Les mots-clés doivent être rédigés dans la langue de chaque résumé et insérés au-dessous, variant entre quatre (04) à six (06) mots.
8. L'auteur s'engage à respecter les normes et techniques de la rédaction scientifique, notamment en matière du protocole bibliographique. Les références citées dans le texte doivent être accompagnées d'un numéro inséré entre crochets référant à une note de fin d'article :
 - Si la référence correspond à un livre : le nom et le prénom de l'auteur, l'année de publication, le titre de l'ouvrage, l'éditeur, le lieu de l'édition, et le(s) numéro(s) de (la) page(s) doivent être mentionnés.
 - Si la référence correspond à un article : le nom et le prénom de l'auteur, l'intitulé de l'article, le nom de la revue, le numéro de la revue, l'éditeur, le lieu et la date de l'édition, et le(s) numéro(s) de (la) page(s) doivent être mentionnés.
 - Si l'information est extraite d'un site internet : les données bibliographiques des références ainsi que les sites-web doivent figurer dans la bibliographie suivis de la date et l'heure de consultation.
- 10 Toutes les notes doivent être numérotées successivement et insérées directement à la fin du texte.
- 11 La revue El-Tawassol se réserve le droit, si nécessaire, de modifier la forme sans nuire au contenu de l'article.
- 12 L'auteur s'engage à respecter, d'une part, la numérotation des titres principaux et secondaires de son article et d'une autre part, les éléments suivants conformément à ce qui suit :

- L'avant-propos (l'introduction) comporte le sujet, la problématique, l'objectif de l'étude et les travaux précédents relatifs à la question (s'il y a lieu).
- Les titres principaux et secondaires doivent être successifs, structurés et numérotés selon un ordre bien précis dans le corps du texte, à titre d'exemple :

1. Analyse intrinsèque de la laiterie Edough et ses outils :

1.1. Analyse des ressources de la laiterie Edough :

1.2. Analyse des compétences de mobilisation des ressources :

1.2.1. De l'entreprise :

1.2.2. Des personnes :

2. Et ainsi de suite...

- La conclusion comporte essentiellement les résultats et les recommandations (les suggestions).

13. L'article doit être rédigé comme suit :

- **Mise en page :** (A 4)
- **Police :** Pour la langue arabe Simplified Arabic/ Pour les langues latines Times New Roman
- **Taille de police :**
 - En langue arabe :
 - Intitulé de l'article et son texte : 13
 - Résumé et mots-clés : 12
 - En langues étrangères :
 - Intitulé de l'article et son texte : 12
 - Résumé et mots-clés : 12
- **Interligne :** 0.0 point.
- **Marges :** Gauche: 2,50 cm. Droite: 2,50 cm. Haut: 2 cm. Bas: 2 cm.
- Les pages doivent être numérotées au milieu/en bas.

14. L'évaluation des manuscrits d'articles respectant le présent protocole de rédaction se fait de manière anonyme. Les manuscrits seront envoyés par la suite au comité d'experts et soumis à deux expertises. En cas d'avis clairement contradictoires des deux premiers évaluateurs, une troisième expertise peut être sollicitée. Si l'article est publiable sous réserve de modifications, l'article révisé devra être rendu par l'auteur dans un délai d'un mois au plus tard pour une dernière relecture de la part d'un (des) experts avant son acceptation finale.

15. Les propositions d'articles doivent être exclusivement adressées à la revue via la Plateforme Algérienne des Revues scientifiques (ASJP), à savoir :

<http://www.asjp.cerist.dz>

16. Les opinions émises et publiées dans la revue ne sont pas nécessairement celles de la rédaction et n'engagent que leurs auteurs.

الفهرس

01	دور الاتصال في منظومة ضمان الجودة للشملة بمؤسسات التعليم العالي- "دراسة وصفية تحليلية للمرجع الوطني لضمان الجودة الشملة"	د. يحيى بن لعربي
19	واقع حملات التسويق الاجتماعي عبر الانترنت في العالم العربي- دراسة لاستخدامات الفايبيوك في حملات التحسيس والتثقيف من طرف المؤسسات الحكومية-	د. حسينة الفرار
40	مقاربة بين مشروع السلام العالمي عند "إيمانويل كانط" والفنون الخطابية عند "يورغن هابرماس" والصحة الكونية عند "جوديث بتلر"	محمد لمين قوادي، أ.د محمد بن علي
49	من أجل معرفة ملائمة رؤية إدغار موران	د. خليفة داود
59	أخلاقيات المحبة والسعادة وميلاد الإنسانية الجديدة عند لوك فيري	عامر حفيظة، د. محمد عفيان
73	ابستمولوجيا النص وحجابه في فلسفة بول ريكور	د.لنهر عقيبي
86	تداولية الغزل العكسي العمرى بين البنية النصية ومتخيل الإحالة السياقية	د.سليم كرام
99	المهدي بن بركة وعلاقته بالجزائر	د. دين قادة
121	Présence de l'absence, traces du rien ? L'addiction au virtuel à l'adolescence	Pr. Amel DEHANE
130	Slogan, langage du hirak dans l'espace urbain d'Annaba: enquête sociolinguistique	Dr.Sabrina MELOUAH
144	Analyse du processus interprétatif sur les plateformes de chats francophones	Hanene Boufenara
158	Modalités du désengagement dans les pré-clôtures et les clôtures des interactions visiophoniques entre locuteurs algériens installés sur les deux rives France/Algérie	Fadila SAADI
175	«L'étude de texte» comme modalité d'évaluation en troisième année primaire à l'école algérienne : lecture dans un choix méthodologique	Afaf SALHI

دور الاتصال في منظومة ضمان الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم العالي
 "دراسة وصفية تحليلية للمرجع الوطني لضمان الجودة الشاملة"

د. يحيى بن لعربي

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، benlarbi11@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2022/11/20

تاريخ المراجعة: 2022/10/30

تاريخ الإيداع: 2020/02/28

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة استراتيجية الاتصال الإشكالية التي اعتمدتها مؤسسات التعليم العالي في الجزائر من أجل ضمان الجودة الكاملة في مجالاتها المختلفة، مقارنة بمبادئ نظرية التميز في العلاقات العامة للباحث الأمريكي جيمس جرونينج وزملائه. الهدف من هذه المادة هو إبراز الدور المتوقع للاتصال في تحقيق الجودة الكاملة في مختلف المجالات التي حددها الإطار الوطني الداخلي لضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: اتصال، علاقات عامة، معلومات، جودة شاملة، تعليم العالي.

Role of communication in the quality assurance system of higher education institutions: Analytical descriptive study of the National Referential

Abstract

This research aims to study the problematic of communication strategy adopted by higher education institutions in Algeria in order to ensure total quality in its various fields. This is done in comparison with the principles of public relations excellence theory as stated by James Gruning and his team. The objective is to highlight the expected role of communication in achieving total quality in the areas identified by the national internal quality assurance framework in Algerian higher education institutions.

Keywords: Communication, publics relations, information, total quality, higher education.

Rôle de la communication dans le système assurance qualité des établissements d'enseignement supérieur : Analyse descriptive du référentiel national

Résumé

Cette recherche vise à étudier la stratégie problématique de la communication adoptée par les établissements d'enseignement supérieur en Algérie afin d'assurer une qualité totale dans ses différents domaines. Ceci est établi en comparaison avec les principes de la théorie de l'excellence en relations publiques de James Gruning et son équipe. L'objectif est de mettre en évidence le rôle attendu de la communication dans l'atteinte de la qualité totale dans les domaines identifiés par le référentiel national d'assurance qualité interne dans les établissements d'enseignement supérieur algériens.

Mots-clés : Communication, relations publiques, information, qualité totale, enseignement supérieur.

المؤلف المرسل: بن لعربي يحيى، benlarbi11@yahoo.fr

يتغير مشهد التعليم العالي بوتيرة سريعة، مدفوعا بالعلومة والنمو المطرد في الطلب على التكوين والتدريب في جميع أنحاء العالم، فبين عامي 2006 و2016، زاد عدد الطلاب بنسبة 50 بالمائة منتقلا من 146 مليون إلى 218 مليون في جميع أنحاء العالم، حيث يتوقع أن يصل إلى 265 مليون طالب سنة 2030⁽¹⁾، هذا ما يجلب فرصا هائلة وتحديات جديدة، ولكن في الوقت نفسه منافسة عالمية بين مؤسسات التعليم العالي التي تسعى إلى تمييز نفسها من خلال علامات الجودة.

ويعد الاتصال والعلاقات العامة جزءا هاما من منظومة ضمان الجودة في قطاع التعليم العالي وذلك لارتباطه بمهام كثيرة تتعلق بضرورة نقل وتبادل المعلومات وبناء العلاقات مع منسوبي القطاع أولا ثم الأطراف الخارجية المحلية والدولية المعنية، مما يجعل ممارسته تحقق المعايير اللازمة في مجال الجودة الشاملة، لاسيما وأن ممارسة الاتصال والعلاقات العامة في عصر الواب التفاعلي تشهد تطورا كبيرا في مجال التخطيط والوصول إلى الجمهور والأفراد في كل مكان وفي نفس الزمن، ما يساهم في سرعة تحقيق أعلى معايير الجودة وسيتم معالجة هذا الموضوع من خلال الخطة التالية:

أولا - عرض الإجراءات المنهجية للدراسة.

ثانيا- تحديد الجانب النظري للدراسة:

1- المقترح النظري: نظرية الامتياز في الاتصال والعلاقات العامة ل "جرونيغ وزملائه"

2- تطور الاتصال 3- وظائف الاتصال 4- تحديات الاتصال في مجال التعليم العالي.

ثالثا: تقييم جودة أداء الاتصال في التعليم العالي ودوره في ضمان جودة ميادينه.

1- قراءة تحليلية للمرجع الوطني لضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي

2- دور الاتصال في مخطط ضمان جودة التعليم العالي في الجزائر

3- تقييم أداء الاتصال المؤسسي في الجامعة الجزائرية.

أولا- عرض الإجراءات المنهجية للدراسة

1- إشكالية الدراسة

أفرزت الإصلاحات التي باشرها قطاع التعليم العالي في الجزائر منذ سنة 2004، عن تبني نظام يؤسس للمرجعية الوطنية لضمان الجودة الشاملة ويهدف إلى تقييم ذاتي للجامعات الجزائرية بشكل مستمر وجعلها تواكب التغييرات السريعة والمتواصلة المسجلة عالميا، حيث تم إعداد المرجع الوطني لضمان الجودة الداخلية في مؤسسات التعليم العالي ليقدّم لأول مرة في 2014، ثم تحديثه في 2016، ثم الشروع في عملية التقييم الذاتي لمختلف الميادين مطلع سنة 2017، ولأن إدارة أي مشروع يستهدف الجودة والتميز، لا تتم دون وظيفة الاتصال الذي يرافق جميع مراحلها، هنا تبرز الإشكالية البحثية التالية: ما هي الإستراتيجية الاتصالية التي تعتمد عليها مؤسسات التعليم العالي في الجزائر لضمان الجودة الشاملة في مختلف ميادينها؟

2- تساؤلات الدراسة

- ما هي وظائف الاتصال المؤسسي في ميادين التعليم العالي؟

- ما هي تحديات ممارسة الاتصال المؤسسي في ميادين التعليم العالي؟

- ما هي الاستراتيجيات الاتصالية المنتهجة لضمان الجودة الداخلية في مختلف ميادين التعليم العالي؟

- ما هي خصائص الموارد البشرية العاملة في مصلحة الاتصال والعلاقات العامة في الجامعة الجزائرية ومخطط ضمان جودتها الداخلية؟

3- أهداف الدراسة

تخدم هذه الدراسة ثلاثة أهداف:

- توعية صانعي القرار في التعليم العالي (العمداء، رؤساء الأقسام، الأساتذة، مدراء الاتصالات ...) بقضايا الاتصال، لجعلهم يدركون أهمية ممارسة الاتصال كعلم وفن في مؤسساتهم؟
- الكشف عن وظائف الاتصال في تركيبة المرجع الوطني لضمان الجودة الداخلية في مؤسسات التعليم العالي.
- تقييم لحالة الاتصالات في الجامعات بدراسة مختلف مجالاته، كالتسويق المباشر، والعلاقات الصحفية، وإدارة السمعة والهوية، واتصالات الأزمة...

4- تحديد مفاهيم الدراسة

الاتصال: يعرفه الباحث "كارل هو فلاند" بأنه "العملية التي يتم من خلالها نقل وتبادل الأفكار أو المعلومات أو الآراء أو الانطباعات بين الطرفين أو أكثر سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة باستخدام وسيلة أو عدة وسائل بهدف الإعلام أو الدعاية أو الإعلان أو الإقناع أو التأثير العقلي أو العاطفي أو الإيحاء بأفكار أو الاتجاهات لتحقيق أهداف معينة (2)".

والاتصال في هذه الدراسة هو العملية المخططة لتنظيم العلاقات بين أعضاء مؤسسات التعليم العالي وشركائها من أجل تبادل المعلومات والأفكار حول جودة مدخلاتها ومخرجاتها.

مفهوم الجودة في التعليم العالي: وفقا لما تم الاتفاق عليه في مؤتمر اليونسكو للتعليم الذي انعقد في باريس في أكتوبر سنة 1998 جاء كما يلي: " للجودة في التعليم مفهوم متعدد الأبعاد ينبغي أن يشمل جميع وظائف التعليم وأنشطته مثل: المناهج الدراسية، والبرامج التعليمية، والبحوث العلمية، والطلبة، والمباني والمرافق والأدوات، وتوفير الخدمات للمجتمع، والتعليم الذاتي الداخلي وتحديد معايير مقارنة للجودة معترف بها دوليا (3).

وتعني الجودة في الدراسة ضمان مؤسسات التعليم العالي في الجزائر لمعايير الاتصال المتعارف عليها دوليا لتحقيق أداء ممتاز حول وظائف التعليم العالي وأنشطته.

5- منهج وأداة الدراسة

استخدمنا في هذه الدراسة منهج دراسة الحالة الذي يصنف ضمن مناهج البحوث النوعية والذي به يتم التعرف على كل ما له علاقة بالظاهرة المدروسة، بالبحث عما يسمى "وحدات النشاط التي يمكن تفكيك كل واحدة منها إلى وحدات صغيرة" والتي تمثل المتغيرات أو عناصر الموضوع (4) ويعد هذا المنهج مناسباً للوقوف عن قرب على واقع الاتصال والعلاقات العامة في قطاع التعليم العالي الجزائري نظرياً وتقييم الاتصال كممارسة، من خلال أداة الملاحظة البسيطة وتجربة الباحث في القطاع ورجوعاً لنتائج الدراسات السابقة لموضوع تطبيقات الاتصال والعلاقات العامة في الجامعة، فضلاً عن استخدام تقنية تحليل المضمون التي يستخدمها الباحثون في مجالات بحثية متنوعة وعلى الأخص في علوم الاتصال لوصف المحتوى الظاهر للمضامين المراد تحليلها من حيث الشكل والمضمون وتلبية للاحتياجات البحثية المصاغة في تساؤلات البحث أو فرضياته الأساسية طبقاً للتصنيفات الموضوعية التي يحددها الباحث (5)، من خلال تحليل كيفية لمخطط " المرجع الوطني لضمان الجودة الداخلية في مؤسسات التعليم العالي"، بالاستناد على مدخل الترميز المسبق، أين يتم تحديد فئات التحليل قبل البدء فيها وذلك

في ضوء الأدبيات والدراسات السابقة والنظريات العلمية في مجال المادة التي سيتم تحليلها⁽⁶⁾، بالتركيز أكثر على التحليل الكيفي لمادة الاتصال (ماذا قيل؟) وحصرها في فئة واحدة رئيسية، متمثلة في موضوع الاتصال الذي يمثل نظام المعلومات في ميدان الحكامة في المرجع الوطني لضمان الجودة الداخلية في مؤسسات التعليم العالي التي تضم فئتين أساسيتين هما تنظيم الاتصال والجانب العلائقي، مقسمتين بدورهما إلى فئات فرعية تعكس المراجع الخمسة لحقل نظام المعلومات في المخطط وهي: سياسة الاتصال، وتنظيم الاتصال، والإعلام، والاتصال الرقمي، والجمهور المستهدف.

6- الدراسات السابقة

دراسة إدارة الجودة الشاملة وضمان الجودة في التعليم العالي في الجزائر⁽⁷⁾: هدفت الدراسة للتعرف الى مبادئ ومعايير إدارة الجودة الشاملة ومدى تطبيقها بالمؤسسات الجامعية الجزائرية من خلال التعرض إلى الإصلاحات التي باشرتها الحكومة الجزائرية قصد ضمان جودة التعليم العالي وتسليط الضوء على التحديات التي تقف كحجر عثرة أمام تطبيق هذه الفلسفة، وذلك من خلال التساؤل: كيف تسهم إدارة الجودة الشاملة في تحقيق جودة التعليم العالي؟ وهل اعتمدت معاييرها في قطاع التعليم العالي بالجزائر؟ أم لا تزال تواجه تحديات في مسار تطبيقها؟ وقد خلصت هذه الدراسة إلى أنه رغم المساعي الحكومية لتطبيق إدارة الجودة الشاملة وضمان جودة التعليم العالي، إلا أن واقع الممارسة يعكس وجود فروقات جوهرية بين النص القانوني وواقع التعليم العالي الذي لا يزال يتخبط في عديد من التحديات اللازم تجاوزها والعمل بجدية لتنفيذ هذه الاستراتيجية للنهوض بقطاع التعليم العالي.

دراسة نظام مقترح لإدارة الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم العالي في الجزائر⁽⁸⁾: تتناول الدراسة من خلال منهج وصفي تحليلي النجاح الهائل الذي حققته إدارة الجودة الشاملة في مختلف التنظيمات الاقتصادية الصناعية والخدمية في الدول، والتحول نحو الاهتمام بتطبيق منهج إدارة الجودة الشاملة كأسلوب إداري متميز في الجامعات، ولكن هل يمكن لهذه الجامعات أن تسلك ذات الطريق الذي سلكته المؤسسات الإنتاجية والخدمية للحصول على الخدمة الأفضل وبالتالي تحقيق رضا الزبون (الطالب والمجتمع المحلي)؟ تستعرض هذه الدراسة مفهوم إدارة الجودة الشاملة والمبادئ الأساسية التي يتمحور حولها هذا المفهوم في التعليم الجامعي، كما تتطرق لمعوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي داخل الوطن العربي، وأخيرا تخلص الدراسة إلى اقتراح نظام لإدارة الجودة الشاملة بالجامعة الجزائرية في ظل التجارب العالمية.

دراسة دور الحكامة في تحسين جودة وأداء مؤسسات التعليم العالي دراسة مقارنة لنتائج التقييم الذاتي لميدان الحكامة بين المركز الجامعي مرسلني عبد الله - تيبازة - والمركز الجامعي عبد الحفيظ بالصوف - ميلة -⁽⁹⁾:

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على معايير ضمان الجودة للتعليم العالي في الجزائر من خلال قراءة للدليل الوطني لضمان الجودة، ثم الوقوف على الجانب الميداني لعملية التقييم الذاتي لميدان الحكامة لإبراز مساهمتها في بناء وتطوير هذا النظام من جهة وفي تحسين جودة وأداء مؤسسات التعليم العالي من جهة أخرى. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال وصف الدليل الوطني لضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي ثم تحليل ومقارنة نتائج التقييم الذاتي لميدان الحكامة لمركزين جامعيين بالجزائر هما المركز الجامعي بولاية تيبازة والمركز الجامعي بولاية ميلة وتوصلت الدراسة إلى ضرورة تفعيل وتحسين ميدان الحكامة بالمركزين الجامعيين من خلال:

- وضع خطة تنفيذية واضحة ومعلنة تضمن استدامة عملية التقييم الذاتي بميدان الحكامة؛

-إعادة تصميم نظام العمل في رئاسة المركزين الجامعيين لكي يتضمن تحقيق فاعلية أكبر في العملية الأكاديمية والإدارية؛

-استحداث إجراءات تقييم أداء القيادات الإدارية والأكاديمية، وتحديد آليات تنفيذها ومتابعتها والاستفادة من نتائجها؛

- استحداث نظام للحوافز وآليات تطبيقه .

- تطوير آليات التشاور الداخلي والخارجي بغرض إعداد السياسات المختلفة في التكوين والبحث والتسيير الإداري والحكمة؛

-تعزيز ثقافة الجودة في مختلف الأنشطة بالمركزين الجامعيين وذلك من خلال التقييم الذاتي الدوري والحرص على معالجة الاختلالات المحتملة.

الاستفادة من الدراسات السابقة

-تحديد المشكلة البحثية للدراسة، وصياغتها بشكل دقيق .

-صياغة تساؤلات البحث بشكل دقيق .

-تحديد محاور استمارة التحليل .

-التعرف على أبعاد ومؤشرات ميدان الحكامة في الدليل الوطني لضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي.

ثانيا- الجانب النظري للدراسة

1- المقاربة النظرية للدراسة

سوف يتم الاعتماد في هذه الدراسة على نظرية الامتياز كونها تركز على مجال الاتصال الممتاز الذي يتطلب من العاملين فهما دقيقا بالعمليات الإستراتيجية كالبحث والتخطيط والتقييم وتقديم المشورة، إلى جانب الاتصال في اتجاهين القائم على التفاعلية والمشاركة في اتخاذ القرارات، حيث قدم جيمس جرونيچ ومجموعة من زملائه نظرية الامتياز من خلال مشروع بحثي بدأ سنة 1985، تم جمع بياناته بواسطة ثلاثة استبيانات لعينة من كبار ممارسي العلاقات العامة في الولايات المتحدة، وكندا والمملكة المتحدة في 326 منظمة لتحديد طبيعة وممارسة العلاقات العامة بها، واستمر هذا المشروع عقدا كاملا لتحديد خصائص وسمات العلاقات العامة التي يمكن أن توصف بالتمتازة Excellence public relation والتي توصل من خلالها الفريق إلى مبادئ للعلاقات العامة الممتازة والمتمثلة في(10):

✓ الإدارة الإستراتيجية لبرامج العلاقات العامة، فإدارة العلاقات العامة هي التي تتولى تطوير برامج اتصالية توجه إلى الجماهير سواء التي تمثل فرصة أو تهديدا للمنظمة.

✓ فصل العلاقات العامة عن التسويق مع وجود قسم منفصل ومتكامل للعلاقات العامة بعيدا عن الوظائف الأخرى، فعندما تكون إحداها تابعة للأخرى فإن المنظمة تفقد كثيرا من قيمة وجدوى الوظيفة التابعة.

✓ إشراك الجماهير الإستراتيجية في عملية صنع القرار في المنظمة إلى جانب العلاقة المباشرة مع الإدارة العليا وتأبيدها لأنشطة العلاقات العامة، فإن عضوية مدير العلاقات العامة في الإدارة العليا وعملية صنع القرار أحد الخصائص المهمة في ممارسة العلاقات العامة الممتازة.

✓ وجود كوادرات إدارية وفنية في المنظمة، فعادة ما يكون لممارس العلاقات العامة دور إداري Manager يقوم من خلاله بالإشراف على برامج الاتصال وإدارتها، ودور فني Technician وفيه يقوم بالكتابة والتحرير وتصميم المطبوعات وترتيب الأحداث الخاصة.

✓ اعتماد المنظمات على مبدأ الفاعلية في مواجهة المواقف المختلفة وذلك من خلال الاعتماد على النموذج المتماثل للاتصال للتأقلم مع هذه البيئة والاستجابة لها.

✓ وجود سياق تنظيمي مدعم للعلاقات العامة من خلال أربعة أساليب تتمثل في وجود هيكل إداري يعتمد اللامركزية ويعزز استقلالية العاملين، وكذلك أن تدعم ثقافة المنظمة المشاركة وعدم السلطوية، أما الاتصال الداخلي فيجب أن يكون مفتوحاً لا يتقيد بالهرمية، إلى جانب وجود نسبة ممثلة لدور المرأة في ممارسة العلاقات العامة، حيث تمثل المرأة 60% من الممارسين للعلاقات العامة في الولايات المتحدة و80% من الدارسين لها. ومن ناحية أخرى يؤكد جرونيغ على أن المدخل السيمتري ثنائي الاتجاه يهتم بمصلحة كلا الطرفين، ويعد التفاوض والحوار وإستراتيجية حل الصراع خطوات أساسية في عملية التغير الرمزي في الاتجاهات والأفكار والسلوك لكل من الجمهور والمؤسسة، ويشير إلى أهمية عملية التكيف المشترك بدلاً من أسلوب السيطرة والاحتكار. وتتميز التنظيمات التي تتخذ من الأسلوب السيمتري، بخاصية الاعتماد المتبادل على اعتبار المؤسسة كياناً لا يمارس وظائفه في فراغ أو بمعزل عن البيئة الاجتماعية، حيث يوجد اعتماد متبادل بين أجزاء النسق الواحد وكذلك بين النسق والبيئة المحيطة به، ما يفرض على التنظيم أن يكون مفتوحاً ومتفاعلاً مع سائر الأنساق الأخرى القائمة على التوازن فيما بينها إما عن طريق السيطرة أو من خلال تحقيق التعاون معها، إذ لا بد أن يحصل الأفراد داخل التنظيم على فرص متساوية مع تخصيص حيز من الاستقلالية للشعور بالرضا الوظيفي داخل التنظيم ولتحقق التعاون والإنجاز على المستوى الخارجي وحتى يتسنى لهم الابتكار وذلك بتقديم الآراء والأفكار الجديدة القائمة على الإدارة اللامركزية، إلى جانب تحمل المسؤولية من الطرفين سواء من ناحية المؤسسة أو من حيث عمالها والسعي لحل الصراع باستخدام إستراتيجيات المناقشة والحوار والاتصال ثنائي الاتجاه⁽¹¹⁾.

2- تطور ممارسة الاتصال في مؤسسات التعليم العالي

يعتبر تاريخ الاتصال في التعليم العالي تاريخاً حديثاً، فمنذ مدة طويلة، شكلت المدارس والجامعات عالمها الخاص، منفصلة عن اهتمامات وقيود بقية مؤسسات المجتمع وفي التاريخ الحديث، هناك ثلاث فترات متميزة للاتصال في التعليم العالي في العالم⁽¹²⁾:

2-1- العصر البرونزي أو وقت الرواد

أصبحت الحاجة إلى القيام بعمل أفضل في مجال الاتصال رسالة واضحة للجامعات في الولايات المتحدة، بمجرد أن بدأت المؤسسات في التنافس مع بعضها البعض، لجذب الطلاب والأساتذة وجمع الأموال، كانت هناك حاجة إلى العمل على إدارة السمعة وتعزيز التميز، لذلك أنشأت في سنوات الستينيات، جامعة هارفارد، وجامعة بنسلفانيا، ومعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا وغيرها من الجامعات الأمريكية الكبرى أقساماً لهذا الغرض، بينما كانت الجامعات الأوروبية أبطأ في تبني هذا النهج، بحيث أنشأت شيئاً فشيئاً المدارس الكبرى الأوروبية، ثم الجامعات، أقسام اتصال.

في هذه المرحلة، كان الاتصال يقتصر على نشر كتيب يصف جميع أنشطتها، والحفاظ على ضمان الحد الأدنى من العلاقات مع الصحافة (الداخلية والخارجية) وشراء بعض المساحة الإشهارية في الصحف، لتتطور

الممارسة الاتصالية أكثر، عندما شرعت الصحف في إظهار اهتمام أكبر بالتعليم العالي وبدأت العديد منها في نشر ملاحق منتظمة مخصصة للتعليم العالي ووظائف الخريجين.

2-2- عصر الويب:

من خلال إتاحة الوصول إلى المعلومات في أي وقت ومن أي مكان، تلعب خدمات الواب دور الوسيط الميسر والمسرّع لمختلف نشاطات ومجالات التعليم العالي، لذلك أنشأت كل مؤسسة موقعاً إلكترونياً، كان بعضها أكثر قوة أو أقل أو أكثر سهولة من الآخرين، لكن المحتوى كان محدوداً: عرض البرامج أو النشاطات المقدمة، كلمة من المدير أو العميد، بعض الصور للحرم الجامعي أو الطلاب، وأحياناً مساحة تفاعلية صغيرة.

2-3- الاتصالات اليوم: الويب 2.0 والفيديو والمدونات والشبكات الاجتماعية⁽¹³⁾

في هذه المرحلة تغير المشهد الاتصالي، بدءاً من 2005-2006، مع ظهور الويب 2.0 أو ما يسمى بالواب التفاعلي، حيث تم إثراء مواقع الويب بغرف الدردشة والمنتديات والمدونات والعديد من مقاطع الفيديو، وتنامي الشبكات الاجتماعية (Facebook، LinkedIn..)، ولم يعد الاتصال مجالا حصرياً للإدارات المتخصصة: فكل فرد يمكنه أن يشارك في الاتصال، يقول ريتشارد ديسوينجز **Richard Descoings**، مدير معهد العلوم السياسية باريس "لقد سمح لي الفيس بوك بإنعاش التواصل مع طلابي".

علاوة على ذلك، تشمل هذه الاتصالات التي تصنف اليوم في دائرة الاتصال المتكامل، الطرق العديدة التي يمكن للمؤسسة من خلالها التعبير عن نفسها (ومعالجتها): إدارة الهوية المؤسسية Identity Corporate، والمرئية المؤسسية corpoatevisibility، والشهرة، السمعة، والعلامة التجارية، والنشر، والتصميم الغرافيكي، والعلاقات الصحفية، والتسويق المباشر، والاتصال الحداثي، والتواصل الداخلي، والرصد، والمشاركة، والتفاعل.

3- وظائف الاتصال في ميادين التعليم العالي

من الواضح أنه لا يزال هناك سوء فهم في العديد من البلدان حول ممارسة الاتصالات في التعليم العالي، حيث ترى العديد من الجهات الفاعلة أنها نشاط غير ضروري، وهي نفقات غير منتجة، أما الآخرون الذين لديهم دافع أكثر بقليل، فهم يميلون إلى الاعتقاد بأن مجرد ظهور عدد قليل من المواعيد في وسائل الإعلام يعزز الصورة الذهنية وغالباً ما تختزل خطط الاتصال الخاصة بهم إلى اختيار دعامة لتمرير بعض الدعاية الإعلانية أو مقابلة تُمنح من وقت لآخر إلى الصحافة، فيما تتلخص ميزانية اتصالاتهم في "نفقات" قليلة لنشر كتيب أو شراء مساحة إعلانية.

ولكن التجربة تدل على أن الاتصال نهج متطور، يتكيف مع الوضع الجديد للتعليم العالي، فلكي تحقق مؤسسات التعليم العالي نتائج جيدة: يجب عليها اليوم أن تتصل وتتواصل بشكل مخطط يتيح لها وضوح مخرجاتها وشهرة منتوجاتها وإبراز هويتها، وعلامتها التجارية، مما يجعلها "تتموقع" في ذهن الجمهور بفضل الخصائص المتميزة التي يسوقها الاتصال عنها، فالاتصال الجيد هو أيضاً وسيلة لإحداث فرق في عالم التعليم العالي الذي يتزايد فيه التنافس.

3-1- الاتصال انعكاس لهوية المؤسسة الجامعية

إن الرغبة في الاتصال ليست كافية إذا لم تخضع للتخطيط العلمي المبني على الدراسات والبحوث المستمرة، حتى لا يساء فهم أهداف وغاياته وطرق ممارسته، بتحويله لمجرد ملحق بسيط في مكتب الاستقبال والتوجيه، فالاتصال انعكاس لثقافة المؤسسة الجامعية، لأن الثقافة اتصال والاتصال ثقافة كما يقول "إدوارد هول"، كما أن

الاتصال هو انعكاس لرؤية ورسالة ومشروع المؤسسة الجامعية الذي يجب أن يترجم إلى إستراتيجية، تساهم في بناء "العلامة التجارية" للمؤسسة، والمشاركة في تطويرها.

وتعني مرحلة بناء الهوية المؤسسية عملية تحديد الأهداف الاتصالية للجامعة، والتي تتحدد بناء على الأهداف الكلية لقطاع التعليم العالي التي ستشكل فلسفة الاتصالات حول القضايا والموضوعات التي يجب على الجامعة أن تهتم بالحديث حولها. أي ماذا نقول؟ ما كمية المعلومات التي يجب نقلها؟ كيف يتم قولها أي كيف يتم التعامل معها؟ من خلال بعض الوظائف مثل بحوث الصورة، مراقبة القضايا الاجتماعية والسياسية، العلاقات مع وسائل الإعلام ويجب أيضا تقديم تقرير سنوي حول النشاط الإشعاعي والاعلامي للجامعة⁽¹⁴⁾.

باختصار، يرتبط الاتصال والاستراتيجية ارتباطاً وثيقاً، فلن تكون لنا سياسة اتصال فعالة إذا كنا لا نعرف حقاً ما نحن فيه وأين نحن ذاهبون؟

2-3- تطوير الاستراتيجية:

يرى الباحث "Olivier Rollot" أن العديد من الجامعات أو حتى المدارس المرموقة، لا تملك إستراتيجية واضحة ومحددة في ميدان الاتصال⁽¹⁵⁾.

وتشير الباحثة "Brigitte Fournier" أن الشعارات أو الرسائل التي تسوقها بعض الجامعات ("لكي نكون من بين الأفضل"، "للتقدم في الترتيب"، "لتدريب قادة الغد") لا يمكن أن تحل محل الرؤية الإستراتيجية، حيث يجب أن تقدم مؤسسة التعليم العالي وجهة نظر طويلة الأمد، مفهومة ومقبولة من قبل جميع أصحاب المصلحة، داخلياً وخارجياً، لأن الاهتمام الرئيسي باستراتيجية الاتصال يعني المراجعة المستمرة لصورة المؤسسة وسمعتها، ووضعها التنافسي، ونقاط قوتها وضعفها، وهوامش تقدمها ودراسة المخاطر المحدقة بها...⁽¹⁶⁾

3-3- علاقة مصلحة الاتصال مع الإدارة العامة

تقتضي الممارسة العملية للاتصال في الجامعة مايلي:

أولاً: أن الجامعة أو المدرسة التي ترغب في المشاركة يجب أن تكون لها إدارة حقيقية للاتصال بمختلف جماهيرها الداخلية والخارجية وأصحاب المصالح، معترف بها على أعلى مستوى في المؤسسة، إدارة مسؤولة فعلاً عن الاتصال، والذي لا يكون مسؤولاً عن المهام الفنية فقط - إنتاج الكتيبات وتنظيم المؤتمرات- بل إدارة استراتيجية تساهم في تحقيق رؤية ورسالة الجامعة.

ثانياً: يجب أن تعمل إدارة الاتصال هذه بالتنسيق الوثيق مع الهيئة المسؤولة عن استراتيجية المؤسسة - أي الرئاسة أو الإدارة العليا وأن تكون مرتبطة مباشرة بها - وهذه الصلة المزدوجة الهرمية والجغرافية، ستعزز حقاً حواراً مستمراً لا غنى عنه بين الهيكلين.

ثالثاً: يجب تنظيم اتجاه الاتصال والعمل بشكل احترافي في هذا المجال، يربط بين نوعية التعليم والعلاقات مع وسائل الإعلام.

رابعاً: يجب أن تكون مصلحة الاتصال تحت قيادة أخصائي رفيع المستوى، مع معرفة عميقة لمهنته وتحدياتها، مع النظرة الثاقبة لآفاقها، ففي كثير من الأحيان، يعهد الاتصال إلى المديرين أو الأساتذة الذين يتسلحون بالإرادة الجيدة لممارسة المهنة، ولكنهم في مرحلة اكتشاف الوظيفة. وهو ما يفسر افتقارهم للرؤية الاستراتيجية... وتقديراتهم المهنية.

خامساً: يجب أن تكون لإدارة الاتصالات ميزانيتها الخاصة بها، وأن يكون الموظفون متكيفين مع المهمة الموكلة إليهم، ويستخدمون الأدوات والأساليب المتقدمة⁽¹⁷⁾.

3-4- تطور مهام مصلحة الاتصال في عصر الواب التفاعلي:

أصبحت مهام قسم الاتصالات متعددة ومتنوعة في العصر الرقمي، وغدا الأمر متروكاً لها لتطوير وتنفيذ جميع جوانب سياسة الاتصالات في المؤسسة التي تتدفق من إستراتيجيتها. وبذلك تعمل كمستشارة للإدارة العامة (أو الرئاسة) في كل ما يتعلق بـ "التحدث"، والصورة، وعلامة المؤسسة، داخلياً وخارجياً. وهذا يعني على وجه الخصوص:

- تولي المسؤولية عن التصميم والتصميم الجرافيكي والهوية البصرية ؛
- إنتاج كتيبات ونشرات ووثائق أخرى ؛
- ضمان محتوى موقع الويب وتحديثه وتحريكه، وهو أول معرض للمؤسسة ؛
- تنظيم أو المشاركة في الأحداث (المؤتمرات، المنتديات، الأيام المفتوحة، مسابقات الطلاب، الذكرى السنوية، التحالفات، إطلاق برامج جديدة ...) ؛
- إدارة العلاقات مع الصحافة (استراتيجية التصنيف) ؛
- تنظيم الحملات الإعلامية والإشهارية (الصحافة، العرض ...) ؛
- نشر الدراسات والبحوث ؛
- تولي مسؤولية تسويق المؤسسة - خاصة اتجاه الطلاب والشركات ؛
- إدارة ونشر الرسائل الإخبارية الخارجية ؛
- المشاركة في الإصدارات المشتركة من الكتب ؛
- تنظيم تصوير (الصور ومقاطع الفيديو) للمؤسسة، فضلاً عن توزيعها ؛
- ضمان المراقبة على المدونات ومنتديات الإنترنت والشبكات الاجتماعية والمجموعات ؛
- توفير جهاز اتصال للأزمة ؛
- تعبئة وتحفيز الشبكات الداخلية (الخريجين، الأساتذة، جمعيات الطلاب ...) ؛
- ضمان ترابط الرسائل الصادرة عن مختلف مكونات المؤسسة (الإدارة العامة، الإدارات، الأساتذة، الجمعيات، الطلاب، إلخ)، تحريك الإنترنت وأدوات الاتصال الداخلي⁽¹⁸⁾.

4- تحديات الاتصال في مؤسسات التعليم العالي:

يدخل التعليم العالي عصر المنافسة محلياً، وطنياً أو على المستوى الدولي، وحتى يبقى في السباق ويحدث الفارق، يجب أن تكون مدخلاته ومخرجاته مرئية بشكل واضح وأن ينظر إليها بشكل إيجابي، حيث لم يعد التميز الأكاديمي لمؤسسات التعليم العالي كافياً، إذا لم تعلم الفاعلين وعامة الناس حوله وهو ما لا يتحقق إلا من خلال الاتصالات الفعالة والمهنية المناسبة.

4-1- صعوبة الممارسة:

يشعر المهنيون بالصعوبة المتزايدة في تطبيق الاتصال المؤسسي مع تنامي التحديات والمخاطر وتنوع القضايا والاشكاليات المطروحة حول ماذا؟ كيف يتم؟ متى؟ كم مرة؟ من هو الجمهور؟ وماذا سكلف؟ ماذا سيكون عائد الاستثمار؟ هذه هي الأسئلة التي يطرحها صناع القرار في التعليم العالي على مهنيي الاتصال والتي لا توجد

وصفات جاهزة لتطبيقها⁽¹⁹⁾، حيث تفرض الموصفة العالمية الأيزو 9001-2015 على المنظمة تحديد الاتصالات الداخلية والخارجية ذات العلاقة بنظام الجودة وتشمل "من يتصل، حول ماذا سيتم الاتصال، كيف، متى، مع من سيتم الاتصال"⁽²⁰⁾، أضف إلى ذلك العوامل العديدة التي تزيد من تعقيد الأمور: الثورة الرقمية، وأزمة النموذج الاقتصادي لقطاع الصحافة، والوصول إلى مسرح اللاعبين الجدد والأدوات الجديدة ...

فضلا عن ذلك، هناك تحديات خاصة بالتعليم العالي، فالجمهور متنوع للغاية: الطلاب، والأساتذة والمدراء التنفيذيون ومديرو الشركات بالإضافة إلى عامة الناس، وهم ينتشرون في جميع أنحاء العالم، أما في مجال الإعلام فهو متنوع ويتطور بشكل متزايد، بفضل تعدد منصاته وحوامله من وسائل الإعلام التقليدية (الصحافة المكتوبة والإذاعة والتلفزيون والملصقات وما إلى ذلك)، إلى الصحف الطلابية والمواقع الإلكترونية والمدونات والمنشورات الإلكترونية والشبكات الاجتماعية ...

2-4- جمهور شديد الطلب

يتميز جمهور قطاع التعليم العالي بتنوع حاجياته والتقلب في وقت واحد، من ناحية، يعتبر الطلاب من أكثر الفئات صعوبة في استهدافهم: فهم أكثر دراية، حيث يتم تحويل انتباههم بسرعة من قضية إلى أخرى (مواثبون zappeurs)، وهم نقاد وخبراء في الكشف عن "اللغة المزدوجة" أو لغة الخشب، وعلى صلة وطيدة بالتكنولوجيات الجديدة⁽²¹⁾، فهم يعيشون في عالم الاتصالات المتنقلة (الهواتف المحمولة والرسائل النصية وملفات MP3 والهواتف الذكية وأجهزة الكمبيوتر المحمولة) والويب التفاعلي. وكما يستخدمون بشكل كبير الطنين buzz، "السمعة الإلكترونية"، الكلمة الشفهية، والشبكات الاجتماعية وأخيراً، فهم متحمسون للأفلام وألعاب الفيديو والمؤثرات الخاصة والموسيقى، لذلك ليس هناك جدوى من محاولة التقاط هذا الجمهور بأدوات من عصر غوتنبيرغ، أو العروض التوضيحية PowerPoint.

من ناحية أخرى، هناك ذهنيات مشككة اتجاه قضايا وأساليب الاتصال، فلا يزال العديد من الأساتذة، وحتى الإداريين، يعتقدون أن التواصل خارج نطاق المجال الأكاديمي أمر محفوف بالمخاطر بقدر ما هو غير ضروري - وأن رسالتهم ستضيع على الشخص العادي - يرى بعض صانعي القرار في التعليم العالي أنه في الأساس مضیعة للوقت، يميل الكثيرون إلى الاعتقاد بأن شهرة اسم مؤسستهم وحدها يجب أن يكون كافياً لجذب الطلاب وتوليد الحماس. "نحن ممتازون والجميع يعرفون ذلك، لذلك نحن لسنا في حاجة للإعلان والاشهار". هذه الحجة تعمل في أحسن الأحوال لقلة من المؤسسات في العالم، ولكن بالنسبة لمعظمها، فإن هذه المقاربة ببساطة غير واردة، لذلك عندما يصبح الاتصال ضرورياً، يمكن أن يكون تحدياً كبيراً لتلك المؤسسات التي لا تزال غير مستعدة⁽²²⁾.

3-4- اتصال هاو أم اتصال محترف

هناك تباينات هائلة بين مؤسسات التعليم العالي عندما يتعلق الأمر بمستوى ممارسة الاتصالات، على الرغم من أن البعض - ولاسيما في الولايات المتحدة وبريطانيا وإسبانيا - طوروا منذ فترة طويلة أنشطة اتصالات عالية الاحترافية، لا يزال البعض الآخر في المرحلة الجنينية، يعرف المهنيون القدامى في المجال كيفية الحصول على أقصى استفادة من أدوات الاتصالات الحديثة، وبالتالي لديهم ميزة كبيرة من حيث تصميم إستراتيجية متماسكة والتسويق لصورة وهوية مؤسساتهم ... ولا يزال المبتدئون في خط البداية ومن الواضح أن هناك بعض المؤسسات التي يمكن أن يطلق عليها الهواة، وهذه ليست مجرد مسألة تتعلق بالحجم أو الميزانية، بعض المؤسسات ذات

الموظفين المحدودين جيدة للغاية في أداء الاتصال، بينما البعض الآخر، على الرغم من وجود وسائل كبيرة، بالكاد يمكنهم المواكبة⁽²³⁾.

ثالثاً: تقييم جودة أداء الاتصال في التعليم العالي ودوره في ضمان جودة ميادينه

1- قراءة في المرجع الوطني لضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي

1-1 أهم مراحل تطبيق نظام جودة التعليم العالي في الجزائر

مر تجسيد نظام ضمان الجودة في التعليم العالي الجزائري بعدة مراحل أهمها:

- قامت وزارة التعليم العالي بتنظيم مؤتمر دولي حول ضمان الجودة والذي كان انطلاقة لدراسة إمكانية تطبيق ضمان الجودة في المؤسسات الجامعية الجزائرية؛
- تم إنشاء المجلس الوطني للتقييم (CNE) سنة 2008، كما انبثقت فرقة عمل كلفت بالتفكير في المشروع مدعمة ببعض الخبراء الدوليين⁽²⁴⁾.
- في 31 ماي 2010 تم ترسيم عمل الفرقة بقرار إنشاء اللجنة الوطنية لتطبيق ضمان الجودة في التعليم العالي والبحث العلمي (CIAQES)⁽²⁵⁾.
- إعداد المرجع الوطني لضمان الجودة الداخلية في مؤسسات التعليم العالي ليقدم لأول مرة في 2014، ثم تحديثه في 2016 .
- مراسلة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي لجميع مؤسسات التعليم العالي في جانفي 2017 للشروع في عملية التقييم الذاتي لمختلف الميادين.

1-2 تركيبة المرجع الوطني لضمان الجودة الداخلية بمؤسسات التعليم العالي:

يحتوي المرجع الوطني لضمان الجودة على سبعة ميادين أو مجالات، كل واحد منها مجزأ إلى حقول يتراوح عددها بين ثلاثة وسبعة؛ تمثل المجالات والحقول النشاطات الموجودة عادة في المؤسسات الجامعية.

جدول رقم (01) : تركيبة المرجع الوطني لضمان الجودة الداخلية بمؤسسات التعليم العالي

الميادين	الحقول	المراجع	المعايير	الإثباتات
التكوين	7	23	49	106
البحث العلمي	3	17	32	55
الحكامة	5	27	53	180
الحياة الجامعية	4	14	25	71
الهياكل القاعدية	5	17	19	38
التعاون مع المحيط الاجتماعي والاقتصادي	3	11	19	40
العلاقة مع المحيط الاجتماعي والاقتصادي	4	14	22	70
المجموع	31	123	219	563

المصدر: اللجنة الوطنية لتطبيق ضمان الجودة في التعليم العالي، المرجع الوطني لضمان الجودة (الميادين، المجالات، المراجع)، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجزائر العاصمة، الفصل الأول، 2016، ص 08.

تكشف قراءتنا لتركيبية المرجع الوطني لضمان الجودة الداخلية في مؤسسات التعليم العالي أن الوزارة الوصية أدرجت نظام المعلومات كحقل فرعي من ميدان الحكامة كمنهج ورؤية حديثة بالإدارة، تساهم في تزويد المؤسسة بالسياسات، والأساليب والطرق النوعية لإدارة العمل بكفاءة وفعالية، حيث يضم ميدان الحكامة خمسة مراجع هي:

نظام المعلومات، وشروط إعداد السياسات، وتنظيم وقيادة المكونات والمصالح، وإدارة الوظائف الداعمة في خدمة المهام، ومقاربات الجودة.

ومما يلاحظ على هذا التصنيف، أن الوزارة الوصية تولي أهمية كبيرة لإدارة المعلومات التي تعتبر أساس جودة التعليم العالي في مختلف ميادين من خلال محاولة تأسيس نظام للمعلومات، لكن ما يؤخذ على هذا التصنيف خلطه بين الأصل والفرع، حيث قزم وظيفة الاتصال والعلاقات العامة واعتبرها مرجعا فرعيا من نظام المعلومات، مع أن المنطق يفرض امتلاك المؤسسة الجامعية لإستراتيجية اتصال ثم نظام اتصال مكون من أنظمة فرعية تتعلق بالإعلام، والعلاقات العامة، والعلاقات مع الصحافة والإشهار والاتصال الرقمي... ثم أن نظرة الوزارة الوصية لحقل الاتصال من خلال المرجع الوطني لضمان الجودة لازالت إدارية صرفة بمعنى حصر وظيفة الاتصال في التنسيق بين خلية الاتصال على مستوى الجامعة وإداراتها أوفي نشر المعلومات إلى الصحافة أو تغطية الأحداث الكبرى المنظمة، رغم أن التوجهات الأكاديمية والمهنية في هذا المجال خصوصا في العصر الرقمي، تشير إلى تحول المنظمات من إدارة الاتصال إلى إدارة العلاقات مع الجماهير والفاعلين والتركيز على بناء السمعة والعلامة لدخول عالم المنافسة وتسلق سلم ترتيب الجامعات في العالم .

إن الاتصال عنصر أساسي في إستراتيجية ميدان حوكمة مؤسسات التعليم العالي، لكن ينبغي أن يعمم حضور الاتصال كمفهوم وممارسة في جميع ميادين التعليم العالي في التكوين والبحث العلمي والحياة الجامعية والتعاون والعلاقة مع المحيطين الاجتماعي والاقتصادي والهيكل القاعدية والاهتمام بالصورة الذهنية لكل هذه المجالات حتى يكون الاتصال الذي تنتهجه الجامعة ومنسوبيها حولها إيجابيا.

2- دور الاتصال في مخطط ضمان جودة التعليم العالي في الجزائر:

يقدم هذا المحور تحليلا لدور الاتصال في مشروع ضمان الجودة الداخلية في مؤسسات التعليم العالي انطلاقا من ميدان الحكامة للمرجع الوطني الذي يضم حقل نظام المعلومات المكون من خمسة مراجع هي:

❖ المرجع ك 11 :تمتلك المؤسسة سياسة جمع للمعلومات وضمان أمنها ومعالجتها وتحليلها واستغلالها.

❖ المرجع ك 21 : المؤسسة مزودة بهيكل معلومات واستشراف.

❖ المرجع ك 31 : تقوم المؤسسة بأرشفة ونشر المعلومات الإدارية والبيداغوجية والعلمية .

❖ المرجع ك 41: تضع المؤسسة خدمات رقمية تحت تصرف طلابها وموظفيها.

❖ المرجع ك 51 : تقوم المؤسسة بتنظيم وتسيير وترقية الاتصالات مع الأطراف المعنية الداخلية والخارجية.

يصف الفيلسوف الأمريكي "الفين توفلر" تحول مجتمع ما بعد الصناعة منذ أواخر خمسينيات القرن العشرين، بالموجة الثالثة في تاريخ تطور المجتمعات وهي الموجة التي يعتمد فيها المجتمع على «المعرفة» كمورد أساسي، وهو المجتمع الذي أطلق عليه مجتمع المعلومات، المرتبط بعصر الفضاء والاتصال الرقمي، وهو عصر لا يؤمن بالتضخيم في الإنتاج والتوزيع وغيرها، وإنما يركز على التنوع والجودة والذوق، والإنتاج المعرفي، والقدرة على التجاوب مع تسارع التغيير «غير الخطي»⁽²⁶⁾.

وعلى هذا الأساس، تظهر أهمية تزويد الجامعة بنظام معلوماتي ضخم، موثوق وآمن لتسيير مختلف المجالات التي أشار إليها المرجع الوطني لضمان الجودة على غرار التكوين والبحث العلمي والتعاون والحكامة والعلاقات مع المحيطين الاجتماعي والاقتصادي.

ونظرا لتعدد حقول التعليم العالي وتداخلها وارتباطها بعدة أطراف فاعلة من الداخل أو الخارج، تبرز الحاجة إلى إعداد وصياغة استراتيجيات تمنهج سياسة جمع ومعالجة المعلومات في الجامعات أو المدارس وهو ما أشار إليه المرجع ك 11 "تمتلك المؤسسة سياسة جمع للمعلومات وضمان أمنها ومعالجتها وتحليلها واستغلالها"، من خلال اتباع الإجراءات التالية:

- مخطط هرمي وتحديد الجهاز المسؤول عن نظام المعلومات.
- بطاقات الوصف الوظيفي و/أو الملفات الإدارية للمسؤولين.
- الأجهزة والأنظمة المتوفرة لإقامة نظام المعلومات (البرامج، والأنظمة الرقمية وغيرها)
- وبالإضافة إلى الأنظمة المعلوماتية والمخططات، أنشأت الجامعة وفق الرمز ك 112، جهازا لجمع ومعالجة المعلومات ومراقبتها؛ جهاز مسؤول عن الإعلام والاتصال رغم أن الجامعة تحتاج إلى مديرية للاتصال والعلاقات العامة تعكف على ضمان سيرورة المعلومات وبناء علاقات ممتازة مع مختلف الجماهير والمؤثرين.
- ويحتاج تنفيذ استراتيجية ضمان جودة المعلومات في التعليم العالي تكويننا وتدريبنا جيدا للموارد البشرية المطلوبة، وتخصيص ميزانية مناسبة وتوفير الهياكل والوسائل الضرورية، حيث يشير المرجع ك 21 بأن " المؤسسة مزودة بهيكل معلومات واستشراف"، من خلال:
- وجود جرد للوسائل (بعدد كاف) (الهياكل القاعدية والعتاد).
- الموظفين المكلفين باستخدام وصيانة الوسائل أو المساعدة.
- بطاقات الوصف الوظيفي والكفاءات.
- الميزانية المخصصة للصيانة وتطوير نظام المعلومات.
- يعتبر تطبيق استراتيجية جودة الإعلام والاتصال في التعليم العالي عملية مستمرة ومتواصلة تتطلب التقييم والتقويم في مختلف المراحل المخطط لها، لهذا يقترح المرجع الوطني لضمان الجودة في هذا الشأن إنشاء الجامعة جهاز رصد ومتابعة يتكفل ب:
- تعيين الأشخاص المكلفين بعملية المتابعة.
- حصيلة وتقارير متابعة الفحوصات.
- إنشاء المؤسسة جهازا للمتابعة.
- تعيين الموظفين المكلفين بالمتابعة.
- الحصيلة والتقارير.
- إن فعالية نظام المعلومات واستراتيجية الإعلام التي ستنهجها الجامعة مع مختلف شركائها يمر أيضا عبر تحديد وسائل وقنوات الاتصال المناسبة لكي تضمن وصول معلومات مفهومة غير مشوهة وأمنة من خلال: موقع الانترنت، والمنشورات، واللقاءات المتعلقة بمواضيع معينة، والأيام المفتوحة، والمطويات والملصقات، واستعمال وسائل الإعلام.
- وفي عصر الرقمنة والواب التفاعلي، صار حتما على الجامعة الاستفادة من خدمات الشبكة العنكبوتية في تطوير اتصالها الجماهيري والشخصي، وفي هذا الصدد يشير المرجع ك 41 " تضع المؤسسة خدمات رقمية تحت تصرف طلابها وموظفيها"، حيث تكون هذه الخدمات الرقمية معرفة ويعدد كاف على غرار:

المباني، والوسائل الملحقة، والربط بشبكة الانترنت، والخدمات المساعدة، والوسائل الرقمية، والموارد الرقمية، ونسبة الاستعمال.

كما يقترح المرجع الوطني لضمان الجودة في مجال رقمنة الإعلام، توفير الأدوات والوسائل الرقمية (موقع الانترنت، البريد الرقمي) تستجيب لاحتياجات المستخدمين عن طريق:

- التسجيل اليومي للمستخدمين (سجل أويطات التسجيل والاستعمال).
- موقع الانترنت الخاص والأمن للمؤسسة لفائدة الطلبة، والأساتذة والموظفين (عدد الزائرين)، لكن يظهر أن العديد من مواقع الجامعات الجزائرية وحتى موقع الوزارة المعنية مازالت تدير عمليتي الإعلام والاتصال مع مختلف شركائها بفلسفة الويب 1.0.

- سجل الشكاوى تحت تصرف المستخدمين والإجراءات المتخذة في إطار حصيلة الهيئة المعنية، وهو وسيلة اتصالية هامة إذا تم تعميمها على جميع الأقسام والكليات والإدارة العامة وتم تفعيل مضامينها، حتى تتعزز أكثر علاقة الإدارة بمستخدميها وشركائها نحو مزيد من الثقة والمصادقية في صنع واتخاذ القرارات.
- تطوير التعليم الإلكتروني، عن طريق الالتزام بمواصفات ومعايير الجودة في هذا المجال.

المرجع ك 51 "تقوم المؤسسة بتنظيم وتسيير وترقية الاتصالات مع الأطراف المعنية الداخلية والخارجية." يرى المرجع الوطني لضمان الجودة أنه من واجب الجامعة توفير الوسائل الملائمة لتعزيز الاتصال الداخلي والخارجي وذلك بتوفير الإمكانيات المناسبة للمؤسسة للاتصال الداخلي والخارجي من خلال:

- وجود خلية للاتصال (التركيبة وكيفية العمل).
- النظام الداخلي والميثاق.
- الميزانية المخصصة.
- التكوين في تقنيات الإعلام والاتصال.
- الوسائل المساعدة على الاتصال: موقع الانترنت والبريد الإلكتروني الداخلي وجريدة المؤسسة، المنشورات، والملصقات.

- مجالات التبادل (لقاءات، زيارات،...).
 - الاجتماعات مع الجهات المهمة (محاضر الاجتماعات).
 - تقارير التقييم الداخلي وخطط التحسين.
- ويهتم المرجع الوطني لضمان الجودة بدور الاتصال في إدارة الأزمات التي يمكن أن تتعرض لها الجامعة من خلال الإجراءات التالية:

- أنشأت المؤسسة خلية أزمة وحضرت استراتيجية اتصال لساعة الأزمة.
- حددت المؤسسة مسؤوليات الأشخاص المكلفين بعملية الاتصال ساعة الأزمة (التكوين والتحضير لعملية الاتصال ساعة الأزمة).
- تمتلك المؤسسة خطة لتسيير حالة أزمة (تسجيل عمليات محاكاة وتحضير).

3- تقييم أداء الاتصال المؤسسي في الجامعة الجزائرية:

3-1- نقاط القوة:

- وجود عتاد وتأطير بشري قادر على رقمنة المعلومات ومعالجتها؛

- وجود تجهيزات ومتخصصين وموارد لتطوير نظام المعلومات؛
 - نشر وتبادل المعلومات من خلال الأيام المفتوحة، والمطويات والملصقات ووسائل الإعلام .
 - تمتلك مؤسسات التعليم العالي واجهات الكترونية لنشر المعلومات ،بالإضافة إلى مواقع الكترونية.
 - للجامعة هيئات لتطوير العلاقات الداخلية والخارجية⁽²⁷⁾.
- 3-2-نقاط الضعف:
- عدم وجود دائرة أو خلايا للاتصال والعلاقات العامة في الجامعة أو الكليات أو الأقسام مستقلة عن المصالح الأخرى تتولى مهمة البحث والتخطيط وتطوير برامج اتصالية توجه لمنسوبي الجامعة وشركائها ممن يمثلون فرصة أو تهديداً لها، كمبدأ من مبادئ تحقيق التميز، بما أن وظيفة الاتصال تمارسها نيابة مديرية الجامعة للعلاقات الخارجية والتعاون والتنشيط والاتصال والتظاهرات العلمية، وهذا يتنافى مع المبدأين الأول والثاني لنظرية الامتياز .
 - عدم وجود مخططات للاتصال التقليدي أو الرقمي للجامعة في الحالات العادية أو أثناء الأزمات.
 - ضعف الاتصال والعلاقات العامة الداخلية والخارجية في غياب سياق تنظيمي مدعم للعلاقات العامة خصوصا مع وجود هياكل إدارية في مؤسسات التعليم العالي تعتمد المركزية وتقيد إستقلالية العاملين، وتمارس سلطة الانفراد بصنع القرار ولا تدعم ثقافة المشاركة وهو ما يتنافى كذلك مع المبدأ الخامس لنظرية الامتياز في الاتصال والعلاقات العامة .
 - حصر وظيفة خلية الإعلام التابعة لمدير الجامعة في الأدوار التقنية والعلاقات مع الصحافة.
 - عدم وجود كوادر إدارية وفنية مختصة في الاتصال والعلاقات العامة في مجالات التعليم والبحث العلمي .
 - غياب ميزانية خاصة بتنفيذ برامج الاتصال وحملاته في مؤسسات التعليم العالي.
 - ضعف سيرورة المعلومات حول مخطط ضمان الجودة الداخلية عبر الأقسام والكليات خصوصا في مرحلة التقييم الذاتي الحالية.
 - ضعف الربط بشبكة الانترنت على مستوى الأقسام والكليات، ناهيك عن سرعتها.
 - عدم الاستثمار الجيد في الأدوات والوسائل الرقمية (موقع الانترنت، البريد الرقمي، الشبكات الاجتماعية) لا تستجيب لاحتياجات المستخدمين بالشكل الجيد.
 - عدم وجود لوحات الكترونية إعلامية على مستوى الأقسام والكليات.
- تكشف نتائج التقييم عدم إدراج الوزارة الوصية للاتصال كميدان أساسي في الميادين السبعة للمرجع الوطني للجودة الشاملة، بل جاء حقل الاتصال مرجعا فرعيا من ميدان نظام المعلومات، مع أن المنطق يفرض امتلاك المؤسسة الجامعية لإستراتيجية اتصال ثم نظام اتصال مكون من أنظمة فرعية تتعلق بالإعلام، والعلاقات العامة، والعلاقات مع الصحافة والإشهار والاتصال الرقمي، كما أن وظيفة الاتصال في نظام المعلومات لازالت إدارية صرفة، حيث تعنى بالتنسيق بين خلية الاتصال على مستوى الجامعة وإداراتها أوفي إدارة العلاقات الإعلامية، رغم أن التوجهات الأكاديمية والمهنية في هذا المجال خصوصا في العصر الرقمي، تشير إلى تحول المنظمات من إدارة الاتصال كوظيفة إدارية إلى إدارة الحوار مع الجماهير والفاعلين والتركيز على بناء السمعة والعلامة والمرئية المؤسسية .

وعليه تبرز حاجة الجامعات الجزائرية إلى تفعيل الاتصال من الناحية الهيكلية والعلاقاتية الاستراتيجية للاقترب من الممارسة الممتازة التي جاءت بها مبادئ نظرية الامتياز ونظريات أخرى في الاتصال المؤسسي والعلاقات العامة كنظرية الحوار ونظرية النظم.

خاتمة:

تشكل وظيفة الاتصال والعلاقات العامة واجهة الجامعة الخارجية والداخلية فهي تنظم العلاقات الداخلية والخارجية بها وتعنى بتقديم صورة إيجابية عنها، وفي ظل متغيرات العلوم الإدارية ومتطلبات المنظمات الإدارية الحديثة والحاجة لتحقيق الجودة في الأداء، أصبحت هذه الإدارة من أهم الإدارات لما لها من دور حيوي في تنفيذ إستراتيجية الجامعة، فهي تسمح بمشاركة الأفكار الجديدة والتطورات الأخيرة مع الإدارة، والأساتذة والطلاب وكذلك مع الشركاء خصوصاً المحيطين الاجتماعي والاقتصادي على حد سواء.

يساعد الاتصال الجامعة على الوصول إلى مستويات أعلى من التميز من خلال التأكيد على الصلة بين البحث وعالم الأعمال؛ وهو ما ينعكس إيجاباً على سمعة وهوية المؤسسة الجامعية، فعدم التمكن من الوصول أو التأثير في عالم الأعمال، معناه عدم وجود تربية أو دورات تدريبية، أو مؤتمرات مع الشركات، أو توظيف، أو تمويل.

لقد كشف تحليل وثيقة المرجع الوطني لضمان الجودة الداخلية في مؤسسات التعليم العالي والملاحظات والبحوث الميدانية حول واقع الاتصال في الجامعة، الحاجة إلى إعادة تقييم شاملة لإستراتيجية الاتصال والعلاقات العامة في مؤسسات التعليم العالي، يشارك فيها خبراء الاتصال والإعلام وتأخذ بعين الاعتبار رؤيتها وأهدافها ورسالتها وتتطلب من خلالها في التخطيط لاتصال تسويقي متكامل يستجيب لمعايير الجودة حول هويتها وصورتها وعلامتها ومختلف الميادين والأطراف المستهدفة.

ولهذا فإن تنمية مهارات مهنيي الاتصال في مؤسسات التعليم العالي، أضحت اليوم مطلباً هاماً ليتمكن القائمون على هذه الوظيفة بأداء المهمة بكفاءة وفعالية تحقيق الإنتاجية العالية وضمان الجودة في الأداء.

- الإحالات والهوامش:

1-Campus France(Mars2019), L'essentiel des chiffres clés. Collection Les chiffres clés, Paris,p 06. (campusfrance.org) consulté le 15-01-2020.

- 1- غريب عبد السميع غريب(1996)، الاتصال والعلاقات العامة في المجتمع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ص 13.
- 2- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، التعليم العالي في القرن الحادي والعشرين الرؤية والعمل، " اليونسكو"، المؤتمر العالمي للتعليم العالي، وثيقة عمل-باريس، 9 أكتوبر 1998، ص 40 .
- 3- محمد عبد العزيز الحيزان(2014)، البحوث الإعلامية، أسسها، أساليبها، مجالاتها، مطبعة سفير، الرياض، ص 24 .
- 4- سمير حسين(1982)، اتجاهات حديثة في بحوث الإعلام، مذكرات مطبوعة، جامعة القاهرة: كلية الإعلام، ص 43.
- 5- محمد عبد الحميد(1979)، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 53.
- 6- طواهرية منى(2018)، إدارة الجودة الشاملة وضمان الجودة في التعليم العالي في الجزائر، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية، مجلد 8، عدد 24، ص ص 161-171.
- 8- محمد فلاق(2015)، نظام مقترح لإدارة الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم العالي في الجزائر، مجلة الإدارة والتنمية للبحوث والدراسات، المجلد 4، رقم 1، ص ص 48-68.
- 9- بدوي سامية، بن الدين احمد(جوان2018)، دور الحكامة في تحسين جودة وأداء مؤسسات التعليم العالي: دراسة مقارنة لنتائج التقييم الذاتي لميدان الحكامة بين المركز الجامعي مرسلتي عبد الله - تيبازة - والمركز الجامعي عبد الحفيظ بالصوف ميلة، مجلة اقتصاديات المال والأعمال، العدد السادس، 607-618.

- 10- راسم محمد الجمال(2005)، خيرت معوض عياد، إدارة العلاقات العامة المدخل الإستراتيجي، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص ص68-71.
 - 11-شدران علي شيبه(2016)، العلاقات العامة بين النظرية والتطبيق، ب.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص ص115-116.
 - 12-Brigitte Fournier (Juillet 2009),l'enseignement supérieur à l'épreuve de la communication, Agence Noir sur Blanc,Paris, p12.
 - 13-Jill Armstrong and Tom Franklin(2008), A review of current and developing international practice in the use of social, John University networking (Web 2.0) in higher education, Franklin Consulting, franklin-consulting.co.uk (consulté le 06-02-2019)
 - 14-علي عوجة(2001)، الإدارة الإستراتيجية وإدارة الأزمات، عالم الكتب، مصر، ص 134.
 - 15-Olivier Rollot(2015), la communication dans les établissements d'enseignement supérieur: Grandes Écoles et Universités face aux défis de la communication globale, p46.<https://education.newstank.fr/>
 - 16-Brigitte Fournier, Op.Cit,p23.
 - 17- محمد منير حجاب، سحر محمد وهبي: المداخل الأساسية للعلاقات العامة، المدخل الاتصالي، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1995، ص 88.
 - 18- Brigitte Fournier,Op.Cit, p24.
 - 19-Marilyn. Lombardi, Authentic Learning for the 21st Century(May2007), ELI Paper 1:, The EDUCAUSE Learning Initiative, p07.
 - 20- المواصفة الدولية لنظام إدارة الجودة، المواصفة العالمية الأيزو 9001-2015، تر.أسامة سيد عبد الحميد، ص 22 .
 - 21-Magdalena IORDACHE-PLATIS(2009), Ioana JOSAN,Communication Efficiency within Higher Education Institutions: The Case of Romania, European Research Studies, Volume XII, Issue (2),p60.
 - 22-Agence Noir sur Blanc,Op.Cit,p07.
 - 23-Laura. Wankel, Charles Wankel(2011) ,Higher Education Administration with Social Media, Emerald Group Publishing.,p26.
 - 24-BOUZID, Zineddine BERROUCHE et Nabil(2008), Assurance Qualité Dans L'enseignement Supérieur. Support de cours de la session 2 de la formation des RAQ, Alger: CIAQES, MESRS.
 - 25- CIAQES (2011), http://www.ciaques-mesrs.dz/presentation_suite.html (consulté le 25/02/2019).
 - 26- ألفين توفلر(1990)، حضارة الموجة الثالثة، تر. قاسم عصام الشيخ، الدار الجماهيرية للنشر والإعلان، القاهرة، ص 18 .
 - 27- بدوي سامية، بن الدين امحمد، المرجع السابق، ص ص 616.613.
- قائمة المصادر والمراجع:**
- باللغة العربية:**
- ألفين توفلر(1990)، حضارة الموجة الثالثة، تر. قاسم عصام الشيخ، الدار الجماهيرية للنشر والإعلان، القاهرة.
 - بدوي سامية، بن الدين امحمد(2018)، دور الحكامة في تحسين جودة وأداء مؤسسات التعليم العالي: دراسة مقارنة لنتائج التقييم الذاتي لميدان الحكامة بين المركز الجامعي مرسلتي عبد الله - تيبازة - والمركز الجامعي عبد الحفيظ بوصوف ميلة،مجلة اقتصاديات المال والأعمال، العدد السادس.
 - الجمال راسم محمد (2005)، خيرت معوض عياد، إدارة العلاقات العامة المدخل الإستراتيجي، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
 - حسين سمير (1982)، اتجاهات حديثة في بحوث الإعلام، مذكرات مطبوعة، جامعة القاهرة: كلية الإعلام.
 - الحيزان محمد عبد العزيز (2014)، البحوث الإعلامية، أسسها، أساليبها،مجالاتها، مطبعة سفير، الرياض .
 - شيبه شدران علي (2016)، العلاقات العامة بين النظرية والتطبيق، ب.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
 - عبد الحميد محمد (1979)، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
 - علي عوجة(2001)، الإدارة الإستراتيجية وإدارة الأزمات، عالم الكتب، مصر.
 - غريب عبد السميع غريب(1996)،الاتصال والعلاقات العامة في المجتمع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
 - طواهرية منى(2018)، إدارة الجودة الشاملة وضمان الجودة في التعليم العالي في الجزائر، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية، مجلد 8، عدد 24 .

-محمد فلاق(2015)، نظام مقترح لإدارة الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم العالي في الجزائر، مجلة الإدارة والتنمية للبحوث والدراسات، المجلد 4، رقم 1.

- محمد منير حجاب، سحر محمد وهبي: المداخل الأساسية للعلاقات العامة، المدخل الاتصالي، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1995.

- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة(1998)، التعليم العالي في القرن الحادي والعشرين الرؤية والعمل، "اليونسكو"، المؤتمر العالمي للتعليم العالي، وثيقة عمل-باريس.

- المواصفة الدولية لنظام إدارة الجودة، المواصفة العالمية الأيزو 9001-2015، تر.أسامة سيد عبد الحميد .

باللغة الأجنبية:

- Bouzid, Zineddine Berrouche Nabil(2008), Assurance Qualité Dans L'enseignement Supérieur. Support de cours de la session 2 de la formation des RAQ, Alger: CIAQES, MESRS.
- Campus France(Mars2019), L'essentiel des chiffres clés. Collection Les chiffres clés, Paris. (campusfrance.org) consulté le 15-01-2020.
- CIAQES (2011), http://www.ciaques-mesrs.dz/presentation_suite.html (consulté le 25/02/2019).
- Fournier Brigitte (Juillet 2009), L'enseignement supérieur à l'épreuve de la communication, Agence Noir sur Blanc, Paris.
- Ioradache-Platis Magdalena (2009), Ioana JOSAN, Communication Efficiency within Higher Education Institutions: The Case of Romania, European Research Studies, Volume XII, Issue (2).
- Lombardi Marilyn, Authentic Learning for the 21st Century(May2007), ELI Paper 1, The EDUCAUSE Learning Initiative.
- Rollot Olivier (2015), la communication dans les établissements d'enseignement supérieur: Grandes Écoles et Universités face aux défis de la communication globale, 76p.
- Wankel Laura, Charles Wankel(2011) ,Higher Education Administration with Social Media, Emerald Group Publishing.

واقع حملات التسويق الاجتماعي عبر الانترنت في العالم العربي - دراسة لاستخدامات الفيسبوك
في حملات التحسيس والتثقيف من طرف المؤسسات الحكومية -
د. حسينة أقراد

جامعة الجزائر 3، كلية علوم الإعلام والاتصال، agreed.hassina@univ-alger3.dz

تاريخ الإيداع: 2020/02/19

تاريخ المراجعة: 2022/10/17

تاريخ القبول: 2022/10/25

ملخص

تعالج الدراسة الحالية إشكالية واقع استخدام المؤسسات الحكومية العربية للفيسبوك في مجال التسويق الاجتماعي. ونهدف من خلال هذه الدراسة إلى التعرف على الأهمية التي توليها الوزارات الحكومية للفيسبوك كوسيلة للتسويق الاجتماعي. هذه الدراسة هي دراسة مزدوجة قمنا في المحور الأول بإجراء دراسة مسحية لصفحات الوزارات الحكومية على الفيسبوك للدول العربية التالية: تونس، والجزائر، ومصر، والإمارات العربية المتحدة. وفي المحور الثاني أجرينا دراسة تحليلية وصفية لمحتوى صفحة الفيسبوك لوزارة التربية التونسية كنموذج باعتماد أداة تحليل المحتوى. تمثلت عينة الدراسة المسحية في 62 وزارة من مجموع 84 وزارة أي تلك التي لها فقط صفحة فيسبوك. تم التوصل من خلال الدراسة الحالية إلى وجود فروقات واضحة في حجم اهتمام الدول العربية محل الدراسة باستغلال الفيسبوك كوسيلة للتسويق الاجتماعي، وجاءت غالبية الحملات في الوقاية من الأمراض وتعزيز قيم التضامن والتسامح. الكلمات المفتاحية: تسويق اجتماعي، مواقع تواصل اجتماعي، تكنولوجيات حديثة، فيسبوك، مؤسسات حكومية ورسمية، دول عربية.

Réalité des campagnes de marketing social en ligne dans le monde Arabe -- l'Usage de Facebook dans les campagnes de sensibilisation et d'éducation des institutions gouvernementales.

Résumé

La présente étude aborde le problème de la réalité de l'utilisation de Facebook par les institutions gouvernementales arabes dans le domaine du marketing social. À travers cette étude, nous cherchons à identifier l'importance que les ministères attachent aux réseaux sociaux comme moyen de marketing social. L'objectif initial de cette étude est de comprendre comment les pays arabes (Tunisie ; l'Algérie ; l'Egypte ; les émirats arabes) ont eu recours à des technologies de l'information et de la communication moderne pour gérer leurs états et leurs institutions, ainsi que leur tendance à l'utilisation des réseaux sociaux dans le développement social à tous les niveaux.

Mots-clés: Marketing social, réseaux sociaux, Technologies modernes, Facebook, Institutions gouvernementales et officielles, Pays arabes.

Reality of Online Social Marketing Campaigns in the Arab World - A Study of Facebook Uses sensitization and education campaigns by government institutions.

Abstract

Social marketing has a great importance in modern societies, It contribuâtes to the promotion of democratic practice and the promotion of citizenship. Social networks are the most influential media of the public today. for this reason many Arab countries have used modern information and communication technologies for the management of their states and institutions, as well as the tendency to use such media in social development at all levels.

Keywords: Social Marketing Campaigns, Arab world, social networks , facebook, governmental , official institutions.

أصبحت الانترنت واستخداماتها من ضمن ظواهر العصر الحديث التي تتفاعل مع المتغيرات الاجتماعية الأخرى، حيث تؤثر وتتأثر بما يتضمنه السياق العام للمجتمع ثقافيا واجتماعيا وتكنولوجيا، وبالتالي أفرزت استخدامات الانترنت في العالم العربي إشكالات عديدة متعلقة بفعاليتها في التواصل والإشباع المحققة منها، وتأثيراتها الاجتماعية والثقافية والاتصالية، وعلاقتها بالجمهور وطبيعة المحتويات والمضامين التي تنتشر في مواقعها المختلفة، وكذلك الأبعاد الاجتماعية في مضامينها.

يندرج التسويق الاجتماعي في إطار الأنشطة التي تمارسها المؤسسات والمنظمات الحكومية وغير الحكومية لتسويق الأفكار والسلوكيات الإيجابية، ومع توسع استخدامات التكنولوجيات الحديثة وعلى رأسها الانترنت. وقد أضحت حملات التحسيس والوقاية جزءا من المضامين التي تنتشر عبر مواقع التواصل الاجتماعي لاسيما الفيسبوك. هذا ويكتسي التسويق الاجتماعي في المجتمعات الحديثة أهمية كبيرة في مجال الممارسة الديمقراطية، وذلك بالنظر إلى تجسيدها لمبدأ المشاركة، فضلا عما يلعبه من دور محوري وحيوي في فعاليات العمل التنموي بالنسبة للمجتمعات النامية، وترقية سلوك المواطنة والحس الاجتماعي وزرع السلوكيات الإيجابية لدى المواطنين وتنمية وعيهم وحسهم الاجتماعي اتجاه القضايا الاجتماعية والإنسانية، والبيئية، والأخلاقية، والتربوية وغيرها.

تتجلى أهمية دراسة مواقع التواصل الاجتماعي ودورها في تحقيق مبادئ التسويق الاجتماعي في المكانة التي اكتسبتها بين الوسائط الحديثة في التأثير على اتجاهات وسلوكيات الجمهور في المجتمعات العربية. وهو الأمر الذي دفع ببعض الدول العربية الى السعي نحو مواكبة التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال، والاستفادة من تطبيقاتها في مجال تسيير المؤسسات الرسمية والحكومية للدولة والترويج لأفكارها ومشروعاتها. بالإضافة إلى الاتجاه نحو زيادة البحث عن سبل تعزيز وتفعيل إسهامات هذه الوسائط في التنمية الاجتماعية على كل المستويات، ومن ناحية ثانية ربط جسور التواصل والمشاركة مع الجمهور المستخدم لهذه التكنولوجيات، لاسيما مع زيادة عدد مستخدميها وسرعة انتشارها. إذ تشير دراسة أجريت حول استخدام الوسائط المتعددة في العالم العربي والتي قام بها باحثان من جامعة نورث وسترن الأمريكية إلى ارتفاع نسبة الفيسبوك بين المشاركين وصلت إلى 95 بالمائة من مستخدمي وسائل الإعلام⁽¹⁾.

تؤكد التطورات السياسية والاجتماعية التي شهدتها غالبية الدول العربية في السنوات القليلة الماضية على أهمية وسائل الإعلام والاتصال الحديثة وعلى رأسها مواقع التواصل الاجتماعي في خدمة المجتمع ونظامه السياسي ومصالحه الفنية، فهي المنفذ الرئيسي للخطابات السياسية والاجتماعية المؤثرة في الرأي العام، كما أنها أضحت أهم الوسائل الأكثر حضورا من خلال الوظيفة الإعلامية والإخبارية، وهذا دون أن نتناسى الأدوار التعليمية، والتثقيفية، والتنموية، والإعلانية، والخدماتية التي تقع مسؤوليتها على عاتق وسائل الإعلام والمؤسسات المجتمعية على السواء.

يتأسس هذا البحث إذن، على خلفية الطرح المذكور أعلاه في محاولة بحثية ميدانية لمعرفة مدى اتجاه الدول العربية نحو استغلال تكنولوجيات الاتصال الحديثة تحديدا مواقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك) في مجال التسويق الاجتماعي وخدمة القضايا الاجتماعية. سنحاول في هذه الدراسة التعرف أولا على مدى اعتماد الوزارات الحكومية على مواقع التواصل الاجتماعي لنشر حملات التوعية والتحسيس والتثقيف، وذلك بإجراء دراسة مسحية

لصفحات وزارات بعض الدول العربية على موقع الفايسبوك، ومن ثم سنتوجه إلى دراسة محتوى صفحة الفايسبوك لوزارة التربية التونسية وتفكيك مضمون حملات التحسيس التي نشرت على صفحتها للكشف عن طبيعة موضوعاتها وخصائصها الفنية والشكلية. وبالتالي فإننا نرى في توجهنا البحثي هذا من الأهمية العلمية ما يسهم في إثراء البحوث العربية في مجال التسويق الاجتماعي عبر وسائل الاتصال الحديثة، ونتوقع أن يكون إضافة متواضعة إلى الرصيد العلمي في مجال تخصصنا.

1- الإجراءات المنهجية للدراسة

1-1- إشكالية الدراسة وتساؤلاتها

يكتسي التسويق الاجتماعي أهمية كبيرة في المجتمعات الحديثة نظرا لإسهامه في تعزيز الممارسة الديمقراطية وتجسيد مبدأ المشاركة، وترقية سلوك المواطن والحس الاجتماعي. تعد مواقع التواصل الاجتماعي من بين أهم الدعامات الأكثر تأثيرا على الجمهور في عصرنا الحالي، ومن هذا المنطلق اتجهت العديد من الدول إلى توظيفها في مجال تسيير المؤسسات الرسمية والحكومية للدولة، والترويج لأفكارها ومشروعاتها. بالإضافة إلى الاتجاه أكثر نحو زيادة تعزيز وتفعيل إسهامات هذه الوسائط في التنمية الاجتماعية على كل المستويات. ومن هذا المنطلق تسعى الدراسة الحالية إلى معرفة واقع استخدام المؤسسات الحكومية للدول العربية للفايسبوك للتحسيس والتثقيف، في محاولة الإجابة عن السؤال الرئيسي التالي: **ما هو واقع استخدام المؤسسات الحكومية العربية للفايسبوك في مجال التسويق الاجتماعي؟** وتفرعت عنه التساؤلات التالية:

- 1- ما هو حجم الاهتمام الذي توليه المؤسسات الحكومية العربية لمواقع التواصل الاجتماعي؟
- 2- ما هي نوع الحملات التي تنشرها المؤسسات الحكومية العربية عبر الفايسبوك؟ وما هي موضوعات هذه الحملات؟
- 3- ما وظيفة موضوعات حملات التحسيس لوزارة التربية التونسية وكيف كانت اتجاهات المعالجة، وما هي الشخصيات المحورية التي تم توظيفها في خطاب الحملات؟
- 4- ما هي أشكال القوالب والأساليب المستخدمة في عرض حملات التحسيس والوقاية عبر صفحة الفايسبوك لوزارة التربية التونسية؟

1-2- أهداف الدراسة

تتمثل الأهداف التي تحيط بها الإشكالية البحثية المتناولة في الاقتراب من واقع استخدام الوزارات الحكومية لموقع التواصل الاجتماعي الفايسبوك كوسيلة للتسويق الاجتماعي. وتسعى الدراسة التحليلية الى تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

- ✓ محاولة الاقتراب من تجربة الدول العربية في مجال التسويق الاجتماعي عبر الانترنت، وتقييم مدى اعتماد المؤسسات الرسمية على الفايسبوك في مجال التوعية والتحسيس. ومستوى فهمها لطبيعة الدور الذي يمكن أن يلعبه التواصل مع الجمهور في خدمة أهدافها التسويقية والاتصالية.
- ✓ تنصب الأهداف البحثية لهذه الدراسة في تفكيك وتحليل الخطاب الإعلامي الذي تنشره المؤسسات الحكومية عبر مواقع التواصل الاجتماعي ومن ثم التعرف على سماته وأهم خصائصه.

✓ نهدف أيضا إلى الخروج بجملة من التوصيات المتعلقة باستخدامات الانترنت لتحقيق مبادئ وأهداف التسويق الاجتماعي على مستوى المجتمع العربي لاسيما ما يتعلق بجمهور الشباب.

1-3- منهجية الدراسة وأدواتها

أ- منهج الدراسة

نشير بداية إلى طبيعة هذه الدراسة من حيث كونها مزدوجة فهي في المستوى الأول دراسة مسحية تحليلية لمواقع الوزارات الحكومية للدول العربية على الفايسبوك، والتي نهدف من خلالها الكشف عن الوزارات التي تستخدم مواقع التواصل الاجتماعي لنشر حملات التحسيس والوقاية، ومن ثم معرفة مدى الاهتمام الذي تحظى به هذه المضامين لدى المؤسسات الحكومية العربية.

ويندرج الجزء الثاني من هذه الدراسة في إطار الدراسات الوصفية التحليلية، ذلك أنها تستهدف وصف واستنباط بعض الخصائص في الظاهرة المدروسة، من خلال استخدام أداة تحليل المحتوى لمضامين حملات التحسيس والتثقيف التي تنشرها وزارة التربية التونسية على صفحتها في الفايسبوك. يساعدنا المنهج الوصفي التحليلي في جمع معلومات مقننة وتصوير الظاهرة وتصنيف عناصرها وتحليلها، وقد اعتمدنا فيها على تحليل المحتوى كأداة تحليلية.

ب- أداة تحليل المحتوى

تعتمد الدراسة على تحليل المحتوى كأداة لجمع البيانات وتحليل عينة الدراسة، وتعتبر هذه الأداة جد فعالة حينما يتعلق الأمر بدراسة وفهم محتوى الاتصال الإنساني بمختلف أشكاله. وتحليل المضمون كما يعرفه "أرفينغ جانيس" هو أسلوب البحث الذي يهدف إلى تحليل المحتوى الظاهري لمادة الاتصال عن طريق تبويب خصائص المضمون وتصنيفها وفقا لقواعد يحددها الباحث تحديدا علميا يساعد للوصول الى نتائج ذات مغزى⁽²⁾.

ج- تحديد فئات التحليل

فئات الشكل

* فئة الشكل الفني: تساعد هذه الفئة على تحديد الشكل الفني للحملة الإعلامية وتتمثل في شريط فيديو، صورة، ملصق، خبر، رابط الكتروني.

* فئة القالب: تخص هذه الفئة نوع القالب أو الأسلوب الإعلامي الموظف في الحملة هل هو بصيغة خبر، تقرير، أو إعلان مصور، أو أسلوب حملة إعلامية.

فئات المضمون

* فئة الموضوع: تهدف هذه الفئة إلى التعرف على موضوعات حملات التحسيس، والتعرف على نوعها، في هذه الفئة تحاول الدراسة تحديد وظيفة المضمون بصفة عامة والموضوعات المطروحة في الحملات الإعلامية. وقد حددت الباحثة هذه الوظائف من خلال الاطلاع على الحملات وقد تم تقسيمها إلى:

1- حملات التوعية والتحسيس والوقاية.

2- حملات الإعلام والتوجيه.

3- حملات التثقيف وتنمية الفكر.

* فئة الشخصيات: تهدف هذه الفئة إلى تحليل الشخصيات المحورية في الحملات الإعلامية، وقد سعيينا إلى تناول ذلك وفق الشخصيات الآتية: الوزير، مسئولون في الوزارة، شخصيات عامة، مواطنون.

*- **فئة اللغة:** تهدف هذه الفئة إلى معرفة اللغة التي استخدمت في الحملات: لغة عربية فصحي، لغة عربية عامية (اللهجة التونسية)، لغة أجنبية (انجليزية / فرنسية).

د- وحدات التحليل

استخدمت في تحليل الحملات الإعلامية من خلال العينة محل الدراسة وحدتا الكلمة والفكرة، وهو مقياس يهدف إلى التعرف على مدى تكرار الكلمة (في فئة الشخصيات) ووحدة الفكرة (فئة الموضوع).

1-4- عينة الدراسة ومجتمع البحث

يتمثل مجتمع بحث الدراسة المسحية في صفحات الوزارات الحكومية الرسمية للدول العربية (تونس، الجزائر، مصر، الإمارات العربية) على موقع الفيسبوك، والتي بلغ عددها من خلال الحصر الشامل 84 وزارة، أما عينة الدراسة فقد شملت 62 وزارة من مجمل الوزارات أي تم تحليل كل الوزارات التي لها صفحة على الفيسبوك واستنتجت الدراسة 22 وزارة ليس لها صفحة عبر الفيسبوك. أما الدراسة التحليلية لمحتوى صفحة الفيسبوك لوزارة التربية التونسية فقد اعتمدنا فيها على العينة القصدية لرغبتنا في تقديمها كنموذج نظرا لاعتمادها الكثيف على استخدام التسويق الاجتماعي عبر الفيسبوك والتفاعل مع الجمهور وهذا ما بالاستناد إلى نتائج الدراسة المسحية الأولية، تم إجراء الدراسة في إطار المجال الزمني للفترة الممتدة ما بين جانفي 2019 إلى غاية مارس 2019.

الدولة	عدد الوزارات	عدد الوزارات التي لها صفحة	الفيسبوك
تونس	24	16	04
الجزائر	17	09	02
مصر	27	24	09
الإمارات	16	13	11
المجموع	84	62	26

جدول رقم (01): يمثل مجتمع البحث وعينة الدراسة

1-5- تحديد المفاهيم والمصطلحات

أ- التسويق الاجتماعي

الاتصال الاجتماعي هو علم نقل الأفكار الجديدة من طرف إلى طرف ثاني، وهو الركيزة الأولى للسلطة التي تستعمله من أجل تطوير المعارف ودفع الوعي الاجتماعي عن طريق المنظمات العمومية أو الجمعيات التي تخدم المجتمع بصفة عامة، ومن أهداف الاتصال الاجتماعي الوقاية من الأمراض والحوادث والتربية الصحية وحماية المحيط وترسيخ القيم الاجتماعية وتطوير مفهوم المشاركة في القرارات العمومية والخاصة⁽³⁾.

يهدف هذا النوع من الاتصال إلى المصلحة العامة للمجتمع، فهو يتجاوز تبادل المعلومات بين طرفين، حيث يحاول التأثير على الآخرين بالاعتماد على الاقتناع بهدف تعديل المعارف والمواقف والآراء والسلوكيات، بغية تحقيق المصلحة المجتمعية بالدرجة الأولى، وبذلك فهو يحفز كل فرد من المجتمع ويدعوه إلى التحلي بالمسؤولية لخدمة المصلحة العامة للمجتمع⁽⁴⁾.

التسويق الاجتماعي هو استخدام تقنيات التسويق للترويج لقضايا وأفكار وسلوكيات اجتماعية، حيث يهدف التسويق الاجتماعي إلى تغيير أو تعديل سلوكيات الأفراد وأفكارهم السلبية المضرة بالمجتمع، وبالمقابل نشر سلوكيات وأفكار وقيم إيجابية، وذلك باستخدام تقنيات التأثير والإقناع. كما أنه يمثل جملة النشاطات التسويقية التي تنصب أهدافها وعملياتها في مبدأ نشر السلوكيات الإيجابية والقيم في المجتمع، ويعد هذا النوع من التسويق المسؤول عن بناء الصورة الذهنية للمنظمات والمؤسسات.

ب- الحملات الإعلامية

يمكن تعريف الحملة الإعلامية على أنها جهود اتصالية تستهدف تخطيط وإدارة عمليات التأثير في تصورات واتجاهات، وأنماط تفكير، وسلوك جمهور أو فئة ما نحو موضوعات محددة أو شاملة لقيم سائدة، أو تنمية أفكار ومواقف معينة. الحملة الإعلامية هي سلسلة من الرسائل الاتصالية، وهي نشاط اتصالي مخطط وهادف، تقوم به مؤسسات أو هيئات أو أشخاص، ابتغاء تحقيق جملة من الأهداف، تتعلق أساسا بإحداث تأثيرات على مستوى سلوكيات وأفكار ومعتقدات الجمهور باستخدام أساليب وآليات إقناعية متعددة.

2- الدراسة المسحية التحليلية لاستخدامات وزارات الدول العربية للفايسبوك في مجال التسويق الاجتماعي.

يتعلق الأمر في هذا المحور بمسح صفحات الوزارات الحكومية على موقع التواصل الاجتماعي الفاييسبوك، وتخص هذه الدراسة الدول العربية التالية: تونس، والجزائر، ومصر، والإمارات العربية المتحدة.

يتمثل مجتمع البحث في صفحات الوزارات الحكومية الرسمية للدول العربية المذكورة أعلاه على الفاييسبوك (62 وزارة)، باستثناء تلك التي ليس لها صفحة على هذا الموقع (22 وزارة)، أما المجال الزمني للدراسة فيتمثل في الفترة الممتدة ما بين جانفي 2019 إلى غاية مارس 2019.

2-1- عرض وتحليل نتائج الدراسة المسحية لاستخدامات الوزارات الحكومية التونسية لموقع التواصل

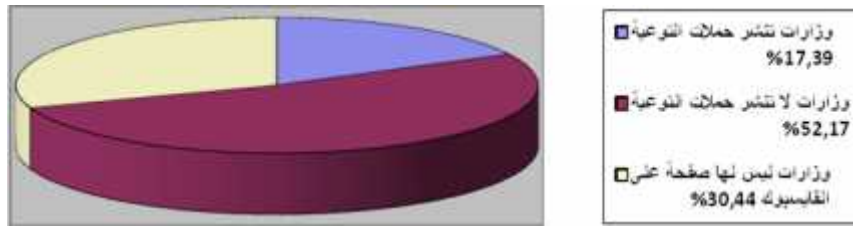
الاجتماعي الفاييسبوك في مجال التسويق الاجتماعي

اسم الوزارة	صفحة الفاييسبوك	عدد المشتركين	نشر حملات التوعية	المواضيع المنشورة
وزارة الثقافة والمحافظة على التراث	نعم	91827	نعم	تغطية نشاطات الحماية المدنية والمؤسسات الثقافية. حملة إعلامية حول العنف ضد المرأة. حملة إعلامية للتعريف بالمنتوج الثقافي.
وزارة النقل	نعم	109950	نعم	تغطية نشاطات الوزير، ونشر بلاغات إعلامية حول الأحوال الجوية، وأخرى حول حصيلة حوادث المرور. حملة لحماية الأطفال من حوادث المرور. حملات للوقاية و الأمن عبر الطرقات.
وزارة التربية	نعم	404770	نعم	تغطية نشاطات الوزير ومشاريع الوزارة. عرض أعمال وإنجازات تلاميذ المدارس. حملات حول موضوعات متعددة الصحة المدرسية، البيئة، سلوك المواطن، حملات تضامن، حملات تحسيس لنبد العنف والمخدرات.
وزارة الصحة	نعم	297837	نعم	تغطية نشاطات الوزير والوزارة. حملة إعلامية حول التلقيح، حملات حول مرض

السرطان، حملات حول الفيروس س.				
وزارة الشؤون الاجتماعية	نعم	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير والوزارة.	
وزارة الداخلية التونسية	نعم	لا توجد	تغطية نشاطات الحماية المدنية والمؤسسات الأمنية تدخلات المصالح الأمنية. بلاغات أمنية وبلاغات مرورية عن حوادث ملاحظة: حملات التحسيس من حوادث المرور يتم نشرها عبر المرصد الوطني للسلامة المرورية onsr.	926204
وزارة الشؤون الخارجية	نعم	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير والوزارة.	259172
وزارة العدل التونسية	نعم	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير والوزارة من ورشات العمل والملتقيات.	230324
وزارة المالية	نعم	لا توجد	تغطية نشاطات الوزارة ونشر بلاغات لإعلام المواطنين.	55578
وزارة الصناعة	نعم	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير والوزارة.	75682
وزارة الفلاحة والموارد المائية والصيد.	نعم	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير والوزارة. وبلاغات لإعلام المواطنين.	45498
وزارة تكنولوجيا الاتصال والاقتصاد الرقمي.	نعم	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير والوزارة.	84417
وزارة التنمية والاستثمار والتعاون الدولي	نعم	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير والوزارة. و مداخلات المسؤولين في الإذاعة والتلفزيون.	49131
وزارة السياحة والصناعات التقليدية.	نعم	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير والوزارة.	382693
وزارة التجهيز والإسكان	نعم	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير والوزارة.	160074
وزارة الشباب والرياضة	نعم	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير والوزارة.	9670
وزارة الوظيفة العمومية والحكومة	لا	-	-	-
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي	لا	-	-	-
وزارة التشغيل والتكوين المهني	لا	-	-	-
وزارة البيئة	لا	-	-	-

والتنمية المستدامة				
وزارة الطاقة والمناجم	لا	-	-	-
وزارة الدفاع الوطني	لا	-	-	-
وزارة الشؤون الدينية	لا	-	-	-

جدول رقم (02): يمثل استخدامات الوزارات الحكومية التونسية للفايسبوك في مجال التحسيس



شكل (1): يوضح النسبة المئوية لاستخدام الفاييسبوك في مجال التحسيس من طرف الوزارات التونسية تشير نتائج الدراسة المسحية المدرجة في الشكل (1) إلى انخفاض نسبة استخدام الوزارات التونسية لموقع التواصل الاجتماعي فايسبوك في مجال التسويق الاجتماعي حيث تم إحصاء 12 وزارة لا تستخدم الفاييسبوك بنسبة 52.17%، وهي نسبة مرتفعة، مقارنة مع نسبة استخدام الفاييسبوك لنشر حملات التحسيس والوقاية والتثقيف التي سجلنا فيها نسبة 17.39%، هذا ومن ناحية ثانية تشير البيانات الإحصائية إلى كون 30.44% من الوزارات ليس لها صفحة على موقع التواصل الاجتماعي الفاييسبوك.

وفي هذا الصدد احتلت تونس المرتبة 87 من أصل 148 بلدا في ما يتعلق باستعمال التكنولوجيات الحديثة للاتصال الذي يعده منتدى الاقتصاد العالمي بدافوس، حيث تحصلت على 3.77 نقطة من ضمن 10 نقاط في البلدان التي شملها الإحصاء. ويحلل التقرير مستوى استعداد البلدان للاستعمال الفعلي للتكنولوجيات الحديثة للاتصال حسب خصائص محددة مسبقا على غرار الأعمال بالمفهوم الواسع والإطار التنظيمي والبنية الأساسية للتكنولوجيات الحديثة للاتصال ومدى استعداد الأشخاص في القطاع الخاص والعام للاستفادة من هذه التكنولوجيات المتوفرة⁽⁵⁾.

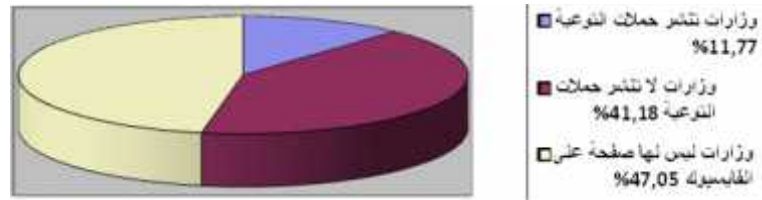
2-2- عرض وتحليل نتائج الدراسة المسحية لاستخدامات الوزارات الحكومية الجزائرية لموقع التواصل الاجتماعي الفاييسبوك في مجال التسويق الاجتماعي

اسم الوزارة	صفحة الفاييسبوك	عدد المشتركين	نشر حملات التوعوية	المواضيع المنشورة
وزارة الداخلية والجماعات المحلية	نعم	1365	نعم	تغطية نشاطات الوزير وإنجازات الوزارة. حملة إعلامية للتحسيس حول حوادث المرور. حملة حول الانتخابات.

وزارة الشؤون الدينية	نعم	1601	نعم	تغطية نشاطات الوزير، ونشر محاضرات وندوات فكرية وعلمية. حملة توعوية حول اختطاف الأطفال. حملة تطوعية في المساجد. ندوة تحسيسية حول الطفولة. حملة حول سلامة البيئة
وزارة التربية الوطنية	نعم	234646	لا توجد	تغطية نشاطات الوزيرة والوزارة.
وزارة الثقافة	نعم	4618	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير والوزارة على فترات متقطعة.
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي	نعم	14611	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير والوزارة في شكل أخبار ومختصرات.
وزارة الصحة والسكان وإصلاح المستشفيات	نعم	55578	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير في فترات متقطعة.
وزارة البريد وتكنولوجيات الإعلام والاتصال	نعم	75682	لا توجد	تغطية نشاطات الوزيرة. آخر مرة تم النشر سبتمبر 2015.
وزارة المالية	نعم	12121	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير والوزارة. نشر قوانين، وإجراءات جبائية.
وزارة السياحة والصناعات التقليدية.	نعم	382693	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير والوزارة.
وزارة العدل	لا	-	-	-
وزارة السكن والعمران	لا	-	-	-
وزارة النقل	لا	-	-	-
وزارة التشغيل والتكوين	لا	-	-	-

المهني				
وزارة الأشغال العمومية	لا	-	-	-
وزارة الموارد المائية	لا	-	-	-
وزارة الدفاع الوطني	لا	-	-	-
وزارة الشؤون الخارجية	لا	-	-	-

جدول رقم (03): يمثل استخدامات الوزارات الحكومية الجزائرية للفايسبوك في مجال التحسيس



شكل (2): يوضح استخدام الفاييسبوك في مجال التوعية من طرف الوزارات الجزائرية

تبين البيانات المتضمنة في الشكل (2) إلى انخفاض نسبة استخدام الوزارات الجزائرية لموقع التواصل الاجتماعي فايسبوك في مجال التسويق الاجتماعي، ويتضح أن نسبة 41.18% من الوزارات لا تستخدم الفاييسبوك، بل أن نسبة 47.05% ليس لها صفحة رسمية على الفاييسبوك وهي مرتفعة جدا تعكس التأخر المسجل في مجال استخدام الإدارات الحكومية لتكنولوجيات الإعلام والاتصال في الجزائر رغم توفر الإمكانيات والبنى التحتية لتعميم استخداماتها، وقد تم تسجيل نسبة ضعيفة جدا من حالات استخدام الفاييسبوك لنشر حملات التحسيس والوقاية والتنظيف والتي تقدر بـ 11.77%، وتتمثل هذه الوزارات في وزارة الداخلية والجماعات المحلية، ووزارة الشؤون الدينية والأوقاف. وقد لاحظنا أن عدد هذه الحملات قليل جدا كما أنها ترد في شكل أخبار مصورة أو تغطية إخبارية، يتضح مما سبق أن المؤسسات الجزائرية لم تطور أسلوبها في التعامل والتواصل مع الجمهور من خلال موقع التواصل الاجتماعي، بالرغم من ارتفاع عدد المشتركين فيها في الجزائر في السنوات الأخيرة خاصة فئة الشباب، حيث كشفت الإحصائيات التي ينشرها دوريا موقع "سوشيال باكرز" أن عدد المشتركين في موقع التواصل الاجتماعي الأكبر في العالم وصل بالجزائر ثلاث ملايين و433 ألف شخص منتصف السنة الجارية أي بزيادة قاربت النصف مليون مشترك منذ بداية السنة. وحسب الموقع تحتل الجزائر المرتبة 45 عالميا من حيث عدد المشتركين وجاءت بعد كل من مصر، والسعودية والمغرب عربيا⁽⁶⁾.

وإذا ما دققنا في الشرائح الاجتماعية المستعملة لهذا النوع من شبكات التواصل نجد أن الرجال يستخدمون الفاييسبوك بنسبة 68 بالمائة مقابل 32 بالمائة من النساء، أما فيما يخص الفئات العمرية فنجد فئة الشباب

المتروحة أعمارهم بين 18 و 24 سنة هم أول الفئات نشاطا على الشبكة بنسبة تناهز 42 بالمائة تليها الفئة العمرية بين 25 و 34 سنة بنسبة 27 بالمائة. أمّا المراهقون أو القصر فيشكلون نسبة 19 بالمائة.

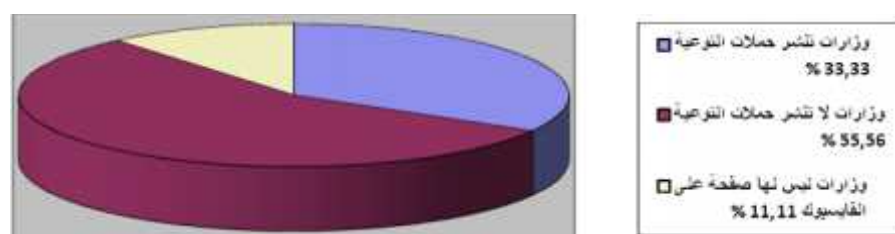
2-3- عرض وتحليل نتائج الدراسة المسحية لاستخدامات الوزارات الحكومية المصرية لموقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك في مجال التسويق الاجتماعي

اسم الوزارة	صفحة فيسبوك	عدد المشاركين	نشر حملات التوعية	المواضيع المنشورة
وزارة التعليم العالي	نعم	49191	نعم	تغطية نشاطات الوزير، ونشر إعلانات إخبارية - حملة قوافل مجتمعية خيرية. - حملة صحية لقوافل طبية وبيطرية.
وزارة التربية والتعليم المصرية	نعم	623820	نعم	تغطية نشاطات الوزير وبيانات إعلامية. حملة للتوعية حول خطورة المخدرات. مشاركة الوزارة في حملات توعية العاملين، ومشاركة في مهرجان المشي، وفي الاحتفال باليوم العالمي للانترنت الآمن.
وزارة الشباب والرياضة	نعم	120883	نعم	نشاطات الوزير. ونشر فرص العمل المتوفرة - حملة لتشجيع المشاريع الخاصة، حملة العادات الحسنة.
وزارة التعاون الدولي	نعم	32064	نعم	تغطية نشاطات الوزيرة، أخبار عن المشاريع والإنجازات. حملة إعلامية للمشاركة.
وزارة الداخلية	نعم	6186330	نعم	تغطية نشاطات الوزير والوزارة. نشاطات مدريات الأمن، نشر أخبار السجناء. - حملة الانضباط.
وزارة الأوقاف المصرية	نعم	1015090	نعم	تغطية نشاطات الوزير، نشر مقالات دعوية، وخطبة الجمعة. - حملات توعية للمقبلين على الزواج.
وزارة الموارد المائية	نعم	101787	نعم	- تغطية نشاطات الوزير، أخبار حول الإنجازات. - حملة للتوعية والإرشاد المائي.

وزارة البيئة المصرية	نعم	76450	نعم	تغطية نشاطات الوزير، نشر أخبار وموضوعات تخص البيئة. - حملات تحسيسية للمحافظة على البيئة، وحماية البيئة من التغيرات المناخية.
وزارة التضامن الاجتماعي	نعم	47765	نعم	تغطية نشاطات الوزير، نشر أخبار وموضوعات تخص القطاع. حملة صحية حول الفيروس س، وحملات لمكافحة المخدرات.
وزارة الشؤون الخارجية المصرية	نعم	1119454	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير والسفارات. الإعلان عن إجراءات جديدة، نشر مواقف السياسة الخارجية.
وزارة السياحة	نعم	18930	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير ونشر بيانات حول قرارات الوزارة. الإعلان عن مواعيد فنية وثقافية، الترويج للسياحة.
وزارة الآثار	نعم	73529	لا توجد	تغطية نشاطات الوزيرة، نشر نشرات إخبارية مطبوعة، وأخبار القطاع عبر وسائل الإعلام، الإعلان عن معارض فنية وأخبار المتاحف، إعلانات داخلية للموظفين.
وزارة النقل	نعم	163654	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير. نشر روابط لاستقبال شكاوي المواطنين، نقل أخبار القطاع عبر وسائل الإعلام.
وزارة الطيران المدني	نعم	65897	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير. نشر تقارير وأخبار الطيران، نشرات إعلامية، وإعلانات داخلية للعاملين في القطاع.
وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات.	نعم	17053	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير والوزارة. وأخبار حول المنتديات والمعارض.
وزارة القوى العاملة	نعم	5469	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير.
وزارة العدل	نعم	42784	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير، ونشر قوانين، وأخبار النيابة الإدارية.

وزارة التموين والتجارة الداخلية	نعم	343341	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير. نشر تصريحات الوزير عبر الصحافة. نشر أسعار المنتجات.
وزارة الإسكان والمرافق والمجمعات العمرانية	نعم	113571	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير، بيانات إعلامية، وأخبار القطاع.
وزارة التجارة والصناعة	نعم		لا توجد	تغطية نشاطات الوزير، الإعلان عن قوانين وإجراءات تهم الجمهور، وأخبار المعارض.
وزارة الزراعة ولسنصلح الأراضي	نعم	3412	لا توجد	نشاطات الوزير وتصريحاته عبر الصحافة، تقارير حول القطاع.
وزارة الدولة للهجرة	نعم	3083	لا توجد	نشاطات الوزير، بيانات إعلامية معلومات للمغتربين.
وزارة التخطيط والمتابعة	نعم	49174	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير.
وزارة الصحة والسكان	نعم	39950	لا توجد	تغطية نشاطات الوزير، توقف النشر منذ جويلية 2015.
وزارة التنمية المحلية	لا	-	-	-
وزارة الشؤون القانونية	لا	-	-	-
وزارة قطاع الأعمال	لا	-	-	-

جدول رقم (04): يمثل استخدامات الوزارات الحكومية المصرية للفايسبوك في مجال التحسيس



شكل (3): يوضح استخدام الفاييسبوك في مجال التوعية من طرف الوزارات المصرية

تشير النتائج المعروضة في الشكل (3) إلى كون غالبية الوزارات المصرية لا تتوجه إلى استخدام موقع التواصل الاجتماعي فايسبوك في مجال التسويق الاجتماعي حيث تم تسجيل نسبة 55.56% من الوزارات لها حساب على الفايسبوك لكن استخداماتها لا تتعدى تغطية نشاطات الوزارة والتعريف بالإنجازات المحققة ونشر بعض البلاغات الإعلامية للجمهور، أما نسبة استخدام الفايسبوك لنشر حملات التحسيس والوقاية والتنقيف فتمثلت في 33.33%، كما تشير البيانات الإحصائية إلى كون 11.11% من الوزارات ليس لها صفحة على موقع التواصل الاجتماعي الفايسبوك.

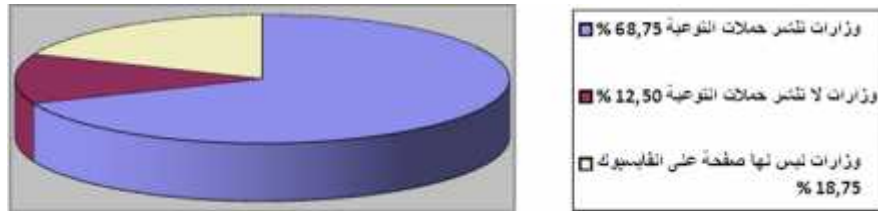
2-4- عرض وتحليل نتائج الدراسة المسحية لاستخدامات الوزارات الحكومية لدولة الإمارات العربية المتحدة لموقع التواصل الاجتماعي الفايسبوك في مجال التسويق الاجتماعي

اسم الوزارة	صفحة الفايسبوك	عدد المشتركين	نشر حملات التوعية	المواضيع المنشورة
وزارة التربية والتعليم	نعم	372483	نعم	تغطية نشاطات الوزير والمشاريع المنجزة. حملة للحث على السلوك الإيجابي "مبادرة خليك إيجابي". دعوة لتعزيز الولاء للوطن و التحلي بالقيم الوطنية. خلوة الخير ومبادرات الخير. حملة حول التربية الصحية ضد الأفكار الهدامة.
وزارة تنمية المجتمع	نعم	720	نعم	نشاطات الوزير. حملات تنقيفية وإعلامية للمواطنين. اليوم الدولي للأشخاص ذوي الإعاقة، واليوم العالمي للمسنين. وحملة لتشجيع الابتكار المجتمعي.
وزارة الموارد البشرية والتوطين	نعم	387	نعم	تغطية نشاطات الوزير ولقاءاته الرسمية، نشر مجلة العمل مطبوعة. تعريف الجمهور بحقوق العمل. التعريف بإجراءات الوقاية من حوادث العمل. الترويج لأفكار إيجابية السعادة في بيئة العمل. الحث على القراءة، مبادرة لإسعاد الموظف.
وزارة تطوير البنية التحتية	نعم	13124	نعم	تغطية نشاطات الوزير. مبادرة اليوم الرياضي، التعريف بالخدمات الذكية. حملات مجتمعية للفحص الطبي لدى العمال.
وزارة الثقافة وتنمية	نعم	-	نعم	تغطية نشاطات الوزارة والفعاليات الثقافية. التعريف بخدمات الوزارة.

المعارف				مبادرة تشجيع القراءة، الاحتفال باليوم العالمي للغة العربية.
وزارة الداخلية	نعم	689992	نعم	- تغطية نشاطات الوزير. - مبادرة لرعاية الأحداث. وحملة مرورية حول السرعة. - حملة للاستخدام الإيجابي لمواقع التواصل الاجتماعي.
وزارة المالية	نعم	31448	نعم	- تغطية نشاطات الوزير، أخبار القطاع. - فيديو تعليمي حول استخدام الانترنت، التعريف بخدمات الموردين. إعلان حول مهرجان الابتكار. تدعيم البرنامج الوطني للتسامح، التعريف بالخدمات الذكية والالكترونية.
وزارة التغيير المناخي والبيئة	نعم	76450	نعم	تغطية نشاطات الوزير، نشر أخبار وموضوعات تخص البيئة. - حملات لحماية المناخ. التعريف باليوم الوطني للبيئة. - حملة توعية لحماية الأسماك من الصيد. - حملة الحفاظ على النظافة.
وزارة الاقتصاد	نعم	13767	نعم	تغطية نشاطات الوزير، نشر أخبار تخص القطاع. - إعلان لاستبدال حزام الأمن. - مبادرة توعية المستهلكين.
وزارة الصحة ووقاية المجتمع	نعم	74267	نعم	تغطية نشاطات الوزير. - حملة إعلامية لمرضى السكري، حملة الفحص الطبي.
وزارة العدل	نعم	13507	نعم	تغطية نشاطات الوزير، نشر قوانين جديدة. - التعريف بالكاتب الذكي. - حملة الأسبوع المروري. وحملة التبرع بالدم.
وزارة الخارجية والتعاون الدولي	نعم	3959	نعم	تغطية نشاطات الوزير والسفارات. توقف النشر منذ شهر جويلية 2016.
وزارة الطاقة	نعم	2676	نعم	تغطية نشاطات الوزير ونشر أخبار تخص القطاع. توقف النشر منذ شهر أبريل 2015.
وزارة الدولة	لا	-	-	-

لشؤون المجلس الوطني الاتحادي				
وزارة شؤون الرئاسة	لا	-	-	-
وزارة شؤون مجلس الوزراء	لا	-	-	-

جدول رقم (05): يمثل استخدامات الوزارات الحكومية للإمارات العربية المتحدة للفيسبوك في مجال التحسيس



شكل (4): يوضح استخدام الفيسبوك في مجال التوعية من طرف الوزارات الإمارات العربية المتحدة تبين نتائج الدراسة المسحية المدرجة في الشكل (4) إلى ارتفاع نسبة استخدام الوزارات بدولة الإمارات العربية المتحدة لموقع التواصل الاجتماعي فايسبوك في مجال التسويق الاجتماعي حيث تم تسجيل أعلى نسبة في الاستخدام مقارنة مع الدول العربية الأخرى، وتقدر بـ 68.75%، أما الوزارات التي لا تستخدم الفيسبوك فقد شكلت نسبة 12.50%، هذا وقد تم إحصاء 18.75% من الوزارات التي ليس لها صفحة على موقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك.



شكل (5): يوضح ترتيب الدول العربية حسب استخدام وزاراتها للفيسبوك في مجال التسويق الاجتماعي حسب نتائج الدراسة.

3- عرض وتحليل نتائج الدراسة التحليلية لمضمون الحملات التي تنشرها وزارة التربية لدولة تونس عبر صفحاتها على الفايسبوك

نشير بداية إلى كون الدراسة الحالية تخص مضامين الحملات الإعلامية التي تبثها وزارة التربية التونسية، وقد وقع اختيارنا عليها استنادا إلى نتائج الدراسة المسحية التي لاحظنا من خلالها كثافة الحملات في صفحة الفايسبوك، حيث سجلنا 40 موضوعا منشورا على صفحة وزارة التربية والتعليم وذلك خلال شهر فيفيري فقط أما العدد الإجمالي للحملات فيمثل في 420، ولذا سوف نحاول فيما يلي أن نقدم نموذجا لتحليل هذا الموقع باستخدام أداة تحليل المضمون التي تركز على مرحلتين للتحليل الكمي والكيفي، وذلك على أساس الفئات التي سبق تحديدها في شرح منهجية الدراسة.

أ- فئة الشكل

النسبة %	التكرار	الشكل
10.95	46	شريط فيديو
37.14	156	صور
7.14	30	ملصق
42.39	178	نص وصور
2.38	10	رابط الكتروني
100	420	المجموع

تشير البيانات الكمية المتعلقة بالشكل الذي تقدم فيه حملات التوعية والتحسيس والتثقيف لوزارة التربية التونسية إلى اعتمادها بشكل كبير على النص والصورة بنسبة 42.39 % حيث يتم تقديم الموضوع في شكل معلومة مع إرفاقه بصور حول التظاهرة أو الموضوع. كما سجلنا نسبة مرتفعة بالنسبة لتقديم موضوع الحملة في شكل صور 37.14 %، أما استخدام الفيديوهات فقد كان بنسبة 10.95 % وهي تتعلق في جلها بالتغطية الإخبارية للأنشطة التحسيسية وقليل منها تمثل مضمون الحملة في شكل ومضة، أما استخدام الملصقات الإعلامية فقد كان ضعيفا حيث سجل نسبة 7.14 % من مجموع الصيغ الشكلية لتي جاءت فيها الحملات التحسيسية، ونشير هنا إلى كون الاتجاه الغالب في تقديم وعرض الحملات التحسيسية هو الصور وبالتالي فإن دورها يقتصر على إعلام الجمهور بموضوعات الحملات التي تنظمها وزارة التربية، ومنه يمكن القول إن وظيفتها التأثيرية والإقناعية ضعيفة.

ب- فئة الموضوعات

النسبة %	التكرار	الموضوع
51.19	215	توعية وتحسيس ووقاية
11.90	50	إعلام وتوجيه
30.91	155	قيم ايجابية وعادات حسنة
100	420	المجموع

تشير النتائج المتوصل إليها إلى أن موضوعات التحسيس والوقاية تحتل أعلى مرتبة من حيث موضوعات الحملات بتكرار 215 ويعد هذا الأمر إيجابياً حيث تساهم وزارة التربية من خلال هذه النشاطات في توعية التلاميذ حول موضوعات الصحة الجسمية والصحة النفسية، والوقاية من الحوادث وتنمية وعي التلاميذ وتربيته على نبذ العنف وتعاطي المخدرات. كما تضمنت نسبة 30.91 % من الحملات موضوعات الحملات حث على سلوكيات وقيم إيجابية مثل قيم المواطنة وتربية الأطفال على السلوك الانتخابي، وزرع روح التضامن الاجتماعي في نفوسهم من خلال المشاركة في حملات لفائدة المحتاجين والمسنين، ومن الموضوعات التي تركز العادات الحسنة كذلك تكريم المعلمين واحترام البيئة وممارسة الرياضة.

ج- فئة الشخصيات

الشخصيات	التكرار	النسبة %
الوزير	28	6.67
مسؤولون وشخصيات رسمية	34	8.09
متخصصون	110	26.19
مواطنون	248	59.05
المجموع	420	100

يتضح من نتائج الجدول أعلاه أن النسبة الكبيرة من الشخصيات التي برزت في الحملات تمثل فئة المواطنين وبالأخص التلاميذ ب 59.05 %، وتليها فئة المتخصصين كالأطباء ورجال الحماية المدنية والمربين بنسبة 26.19 % حيث يساعد ظهور هذه الفئة على تدعيم قوة الرسالة الإقناعية والتأكيد على مصداقيتها، أما فئة الشخصيات الرسمية والوزير فلم يتم التركيز عليها كثيراً في الحملات إلا في تغطية البعض من الموضوعات، وهذا الأمر ساهم في إضفاء المصداقية على الحملات الإعلامية التي كانت في جلها تركز على الأطفال وقد يساعد هذا الأمر في زيادة انجذابهم إلى الرسائل الموجهة لهم كونهم الجمهور الأساسي المستهدف من العمليات التحسيسية.

د- فئة القالب الإعلامي

القالب	التكرار	النسبة %
خبري (خبر مصور)	222	52.86
تقرير إخباري	160	38.09
إعلان مصور (ملصق)	30	7.14
ومضة إعلامية	08	1.91
المجموع	420	100

تبين نتائج الجدول أن غالبية الحملات جاءت في صيغة خبرية إما في شكل خبر وصور أو في شكل فيديو منقول عن نشرة إخبارية لقناة تلفزيونية حيث مثل هذا النوع 52.86 % من مجموع القوالب المستخدمة في عرض الحملات، كما جاءت نسبة 38.09 % منها في شكل تقرير إخباري ينقل تفاصيل التظاهرات والنشاطات المتعلقة

بالحملة، أما شكلا الإعلان المصور أو الملصق والومضة فقد كان استخدامهما ضعيفا جدا بالرغم من كونهما يمثلان أسلوبين مباشرين في عرض وتقديم الحملات، ويتميزان من الناحية التقنية والفنية بجملة من القواعد التصميمية التي تجعل الحملة أكثر جاذبية وأكثر تأثيرا وفعالية، ومن هذا المنطلق يمكن القول إن أساليب عرض الحملات الإعلامية في مواقع التواصل الاجتماعي لم يرقَ إلى المستوى الفني والتقني الذي يجب أن تصمم وفقه الحملة الإعلامية التحسيسية كي تحقق أهدافها في الإقناع والتأثير.

د- فئة اللغة

اللغة	التكرار	النسبة %
عربية فصحي	219	52.14
عربية عامية محلية / لهجة تونسية	170	40.48
لغة فرنسية	31	7.38
لغة انجليزية	00	00
المجموع	420	100

تظهر نتائج الجدول أن غالبية الحملات تمت صياغتها باللغة العربية الفصحى بنسبة 52.14% من مجموع الحملات، وقد جاءت نسبة 40.48% منها باللغة العربية العامية (اللهجة التونسية)، أما استخدام اللغة الأجنبية في الحملات المنشورة عبر صفحة فايسبوك وزارة التربية التونسية، فقد كان ضعيفا حيث انعدم استخدام اللغة الانجليزية، في حين مثلت اللغة الفرنسية نسبة قليلة قدرت بـ 7.38%، ويبدو أن السبب خلف عرض الحملات الإعلامية التحسيسية باللغة العربية الفصحى بالدرجة الأولى كونها اللغة الرسمية في الدولة وهي تمثل لغة الخطاب الرسمي المعتمد مع جمهور المواطنين في الجمهورية التونسية، كما جاء استخدام اللهجة التونسية بنسبة مرتفعة لزيادة فعالية الرسالة الإعلامية وتقريب الفهم أكثر لدى الجمهور العام سواء كان من ضمن التلاميذ أو أوليائهم، وزيادة قوة التأثير والإقناع وهي معادلة تمثل فيها اللغة عاملا مهما ومحوريا.

4- النتائج العامة للدراسة

تم التوصل من خلال إجراءات الدراسة التحليلية إلى نتائج عدة منها:

- تم التوصل من خلال الدراسة الحالية إلى وجود فروقات واضحة في حجم اهتمام الدول العربية محل الدراسة باستغلال مواقع التواصل الاجتماعي (الفايسبوك) في مجال التسويق الاجتماعي، حيث تبين أن كل من دولة الإمارات العربية المتحدة ومصر أكثر تقدما في هذا المجال من كل من تونس والجزائر، ومن ناحية ثانية توصلنا إلى كون حجم استخدام مواقع التواصل الاجتماعي بالتحديد الفيس بوك ضعيفا مقارنة بحجم عدد المشتركين الذي يزداد يوما بعد يوم والذي يقدر بالملايين من الجماهير العربية. ويمكن القول إن الدول العربية لم تولِ اهتماما أوفر بمواقع التواصل الاجتماعي وتسخيرها في خدمة القضايا الاجتماعية والوطنية، في حين نجد أن ذات المواقع تستغل من قبل جهات تخدم مصالح أخرى قد تكون مسيئة للمجتمع ومهددة لأمنه وسلامته.
- أما فيما يخص نوع الحملات التي تنشرها المؤسسات الحكومية العربية عبر موقع التواصل الاجتماعي الفيس بوك وموضوعات هذه الحملات، فقد تبين أنها تتعلق بالتحسيس والتوعية من الأمراض ومن الآفات المجتمعية، والدعوة إلى ترسيخ قيم التضامن والتسامح والمواطنة، وكذلك الإعلام والتوجيه والإرشاد، وهي في جلها موضوعات

تدعم السلوكيات والقيم الإيجابية، بإمكانها أن تساهم في التغيير والبناء الاجتماعي بإشراك جمهور المواطنين لاسيما فئة الشباب في العمليات التنموية وتحقيق أهداف الدولة في الخدمة العامة ورفاهية المجتمع.

- تم الكشف من خلال الدراسة التحليلية لمضمون صفحة الفيسبوك لوزارة التربية التونسية على أهم سمات خطاب الحملات المروج لها. فمن الناحية الشكلية تبين أن الاتجاه الغالب في هذه الحملات هو الشكل الإخباري كعرض موضوع الحملة في شكل تغطية إخبارية لإحدى القنوات التلفزيونية أو في شكل خبر مصور، بينما لم تكن الحملات المنشورة تستجيب إلى الشروط الفنية والتقنية التي يجب أن تتوفر في الرسالة الإعلامية كي تحقق أهدافها في التأثير والإقناع، فلم يُستخدم أسلوبا الملصقات والومضات الإعلامية إلا بصورة قليلة. وفيما يخص طبيعة الشخصيات المحورية التي تم توظيفها في الحملات فقد تبين أن من بينها من تركز على شخصية الوزير والشخصيات الرسمية المسؤولة في القطاع، من خلال تبيان مساهمته في دعم برنامج الحملة ومشاركته في الفعاليات والتظاهرات المنظمة في إطارها. ومن الحملات من اتخذت وجهة أخرى مغايرة هي أكثر تأثيرا ومصادقية لدى الجمهور المتعرض حيث ركزت هذه الأخيرة على إشراك الجمهور المستهدف من المواطنين في العملية الإعلامية وهو الأمر الذي يجعلها أكثر قبولا لدى الجمهور خصوصا لدى فئة الأطفال.

5- توصيات

من خلال النتائج المتوصل إليها نقدم بعض التوصيات من شأنها المساهمة في زيادة الاهتمام بمواقع التواصل الاجتماعي كوسيلة لخدمة أهداف التسويق الاجتماعي على المستوى العربي خاصة بالنسبة للدول التي تعرف تأخرا في هذا المجال.

- الاهتمام باستغلال مواقع التواصل الاجتماعي (بقدر الاهتمام بالتلفزيون) من أجل توضيح سياسة الدولة وتوجهاتها، و دفع أبناء المجتمع إلى المشاركة والمساهمة في حل مشكلات المجتمع ومكافحة الآفات الاجتماعية كال فقر والبطالة والمحافظة على الممتلكات العامة ونظافة البيئة، وزرع ثقافة السلم والتسامح والمواطنة والتضامن والتكافل الاجتماعيين.
- تتوفر مواقع التواصل الاجتماعي على درجة عالية من التفاعلية والتواصل المباشر، لذا على المؤسسات الرسمية أن تجعل منها فضاءات مفتوحة للحوار والتفاعل مع الجمهور والاستماع إلى شكاويهم وانشغالاتهم والتعامل معها بجدية.
- الاتجاه نحو نظرة إيجابية لمواقع التواصل الاجتماعي ليس على أساس أنها وسائط سلبية التأثير وجب الحد من انتشارها، بل محاولة الاستفادة من الإيجابيات التي تتمتع بها خصوصا وأنها أصبحت اليوم من أهم مصادر المعلومات لدى الجمهور ومن الوسائط الأكثر تأثيرا وانتشارا.
- تطوير أساليب عرض حملات التسويق الاجتماعي بما يتماشى مع طبيعتها وخصوصية الرسالة الإعلامية القائمة أساسا على الإقناع والتأثير العاطفي والوجداني والعقلاني، وتطبيق المبادئ والقواعد التقنية والفنية المعتمدة في مجال تصميم الحملات الإعلامية ذات الصالح العام.

الهوامش:

- 1- عبد الفتاح علي، (2014)، الإعلام الاجتماعي، دار اليازوري، عمان، ص 54.
- 2- المشابقة بسام عبد الرحمن، (2014)، مناهج البحث الإعلامي وتحليل الخطاب، عمان، ص 63.
- 3- بوخبزة نبيلة، (2014)، الاتصال العمومي، دار هومة، الجزائر، ص 18-19.
- 4-Michel Lenet, (1992), la communication publique, ed de documentaion francaise, paris, p13.

- 5- الترهوني سلوى: تونس الـ87 عالميا في مؤشر استعمال التكنولوجيات الحديثة، بحث على موقع: www.tunisien.tn، اطلع عليه يوم 25-02-2019- الساعة 20:00.
- 6- الشروق اونلاين الجزائر تحتل المرتبة 45 عالميا من حيث استخدام الفايبيوك، بحث على موقع: www.echoroukonline.com/ara/news، اطلع عليه يوم 25-02-2019.

قائمة المراجع

الكتب:

- 1- المشابقة بسام عبد الرحمن، (2014)، مناهج البحث الإعلامي وتحليل الخطاب، عمان.
- 2- عبد الفتاح علي، (2014)، الإعلام الاجتماعي، دار اليازوري، عمان.
- 3- بوخبرة نبيلة، (2014)، الاتصال العمومي، دار هومة، الجزائر.
- 4 -Lenet Michel:la communication publique, ed de documentaion francaise,paris,1992.

المواقع الالكترونية:

- 1- الترهوني سلوى: تونس الـ87 عالميا في مؤشر استعمال التكنولوجيات الحديثة، بحث على موقع: www.tunisien.tn ، اطلع عليه يوم 25-02-2019- الساعة 20:00.
- 2- الشروق اونلاين الجزائر تحتل المرتبة 45 عالميا من حيث استخدام الفايبيوك، بحث على موقع: www.echoroukonline.com/ara/news، اطلع عليه يوم 25-02-2019.

مقاربة بين مشروع السلام العالمي عند "إيمانويل كانط" والفنون الخطابية عند "يورغن هابرماس" والصحة الكونية عند "جوديث بتلر"

محمد لمين قوادري⁽¹⁾ أ.د محمد بن علي⁽²⁾

1- جامعة أحمد زبانه - غليزان، mohamedlamine.kouadri@univ-relizane.dz

2- جامعة أحمد زبانه - غليزان، mohamed.benali@univ-relizane.dz

تاريخ القبول: 2022/11/10

تاريخ المراجعة: 2022/10/26

تاريخ الإيداع: 2022/07/30

ملخص

يستعرض هذا العمل مجموعة من القضايا المتعلقة بماهية العالمية وآليات عملها على المستوى الكوني، وسنقوم تدريجياً كيف يمكن للإنسان أن يرتقي بفكره ليؤسس حضارة كونية تكون فيها أقدارنا مترابطة. وسنقوم القارئ في أربعة مباحث مختصرة في جولة نطلع فيها على تجربة العالمية بأبعادها الفلسفية. وسنركز في سياق بناء مناقشتنا على سؤال السلام العالمي عند "إيمانويل كانط" والملاحم الأخلاقية للفنون الخطابية عند "يورغن هابرماس" وتأويلية "جوديث بتلر" للتفكير الأناني والصحة الكونية.

الكلمات المفتاحية: سلام عالمي، تفاعل، أنانية، صحة كونية.

An approach between Kant's world peace project, Communicative Action of Habermas and Judith Butler's cosmic health

Abstract

We aim through this research paper to analyze the nature of universality and to scrutinize the mechanisms of its operation at the cosmic level. We invite the human to establish a cosmic civilization that connects us all. This work includes four brief sections on the experience of the world in its philosophical dimensions. We are going to deal with three very important personalities: "Kant" and his cosmopolitanism, Communicative Action of "Habermas" and the experience of cosmic health of "Judith Butler".

Keywords: World peace, Interaction, selfishness, cosmic health.

Une approche entre le projet de paix mondiale de Kant l'action communicative de Habermas et la santé cosmique de Judith Butler

Résumé

Nous visons à travers ce document de recherche à analyser la nature de l'universalité et à saisir les mécanismes de son fonctionnement au niveau cosmique et à comprendre progressivement comment l'humanité peut élever sa pensée pour établir une civilisation communautaire dans laquelle nos capacités sont interconnectées.. Cet article comprend quatre brèves sections sur l'expérience du monde dans ses dimensions philosophiques, Nous allons traiter de trois personnalités très importantes: "Kant" et son cosmopolitisme, l'action communicative de Habermas et l'expérience de la santé cosmique chez "Judith Butler".

Mots-clés: Paix mondiale, Interaction, Égoïsme, Santé cosmique.

توطئة (مقدمة):

تُشير العالمية إلى بلوغ الوعي الإنساني مرحلةً متقدمةً جداً من التفكير؛ تقدّم غير محدودٍ وتحرّر تدريجيّ للإنسان من عقيدة الانتماء المحلي، قومياً كان أم وطنياً. ولقد حاول الفكر الأوروبي الحديث في حلته التثويرية رصد أسس هذه الظاهرة في تجربة تُعبّر في صورتها الأكثر طموحاً عن رغبة عارمة في صياغة برنامج نظري مُهتمّ بتفكيك الملامح الإيديولوجية والمعرفية للعلاقة بين الذات والآخر في مجرى التواصل الثقافي والحضاري بين الأمم من جهة، والتواصل السياسي القائم بين الفرد والسلطة من جهة ثانية.

ومن الواضح أنّ هذا العمل ما هو في حقيقة الأمر سوى استجابة حتمية فرضها السياق الإيديولوجي والفلسفي الذي تمارس فيه السلطة كملكية حسب تحديد "ميشال فوكو" "Michel Foucault". وكل ذلك يجري في عصر أضحت فيه الحرية والرغبة في الاعتراف المتبادل بين الذات والآخر شرطاً ضرورياً للحياة الجيدة. ومن هنا تظهر الحاجة الماسة لطرح الإشكال التالي:

- ما معنى أن تكون عالمياً؟

- وكيف تعامل الفكر الغربي مع العالمية؟

إنّ مقارنة العالمية التي سأتناولها هنا ستكون قائمة على أسس مكينة وغير مُهتمة بالفروق الوصفية. وسنحاول في سياق بناء مناقشتنا رسم خارطة ينمّ من خلالها ضبط الوحدات الفكرية المرتبطة بالانتماء والهوية والكشف عن الكيفية التي استقبل بها الفكر الأوروبي العالمية مستخدمين في ذلك أربع مقاربات تأسيسية وهي كالتالي:

✓ قراءة سريعة في مشروع السلام الدائم عند "إيمانويل كانط" "Emmanuel Kant".

✓ "هابرماس" "J_Habermas" ورهانات التواصل الشفاف.

✓ كلام مُثير في الأنانية والصحة الكونية: تحليل "جوديث بتلر" "Judith Butler" جنباً إلى جنب مع تحليل "إليزابيث وارن" "Elizabeth Warren" و"بيرني ساندرز" "Bernie Sanders".

وقد اعتمدنا في ذلك على التحليل كإجراء منهجي، وهو لا يُعطي طبعاً نتائج جاهزة وقطعية أو معرفة يمكن امتلاكها، بل إنّ القصد من وراء استخدام التحليل إنّما هو فحص انتقادي للكيفية التي استوعبت بها مختلف النصوص الفلسفية تجربة العالمية، وذلك من خلال تعاملنا مع شخصيات فلسفية في غاية الأهمية. وفهم تالياً كيف يمكن للحرب وقمع الحرية والعنصرية والأنانية أن تؤدي إلى تدمير ترابطنا الكوني.

سنتعرف في هذه الورقة البحثية على الأبعاد الإنسانية للعالمية كمشروع فلسفي، ونبيّن حاجة الإنسان المعاصر لقيم السلم والتفتح والتعاطف الحيوي والحوار العادل بين كلّ الأطراف بعيداً عن الأنانية وعن جميع مظهرات التهميش والاضطهاد والعنصرية تحت أيّ مبرر كان. في الحقيقة نريد التعبير بكلّ حرية عن رفضنا المطلق لمختلف الخطابات الراديكالية التي تختزل الوجود في مركزية الذات المتعالية. فوحدة المصير تضعنا أمام حتمية التفكير في الآخر والانتقال من الإطار المحلي نحو الإطار العالمي. وقد تبدو الأمور صعبة بعض الشيء إذا نحن أخذنا بعين الاعتبار تعدّد الثقافات والأعراف وتنوّع الأعراق والتجمعات ناهيك عن تفاقم النزاعات الدولية والإقليمية وحتى الوطنية مع تصاعد نسبي في جرائم الاضطهاد مما يهدّد الاستقرار ويجعل فرص التقارب بين الذات والآخر عرضة للتلاشي. وإذا ما تأملنا القضية جيّداً، فإن الحياة الجيدة تبقى ممكنة عندما نعرف كيف نحول ضلعنا المشترك إلى التزام متبادل وتضامن حيوي ونضال مشترك دون التقيّد بشرط معرفة الآخر، ومن هنا تأتي أهمية هذا العمل.

1- العالمية: استرجاع وتجديد

لقد اكتسبت العالمية حظوة لا نظير لها، ومع ذلك فنحن نعلم أنها تبقى مجرد حلم شعوب وأمم تعيش على وقع الاضطهاد السياسي بما يحمله من دلالات الاستبداد والتعسف وقمع حرية الرأي والتعبير وتكبيد للعقول. وجميع الفروض التي تدل عليها العالمية قد تشكل بالنسبة لبعضهم خطراً حقيقياً. يتبين لنا من الوهلة الأولى أن هناك مقاماً مشتركاً واضحاً غير أننا بحاجة لرصد آليات وكيفية العمل من أجل تحقيقه. وفي الحقيقة، فإن حاجتنا للعالمية اليوم تبدو أكثر من أي وقت مضى خاصة على خلفية المشاكل المتعلقة بتقييم مردود السياسات الوطنية والقومية والتي أثبتت فشلها في التعامل مع المواطنين، ونتيجة لذلك فإن التصور الخاص الذي تتبناه الفلسفة يفترض العيش على حدود مزدهرة، تجعل كل فرد يشعر بانتمائه لهذا الكوكب، لكن هذا الضرب الخاص من الشعور يخضع لرقابة ضمنية من طرف الإرادات الحاكمة، غير أننا وتحت تأثير المناقشات العقلية سنخضع بعض الفروض المتعلقة بهذا الموضوع للتقريب الفلسفي.

في البداية اعتقد أننا بحاجة لنرى المعنى الحقيقي للعالمية الذي لا يمكن ضبطه إلا من خلال التمييز بينها وبين العولمة، فإذا كانت العولمة هي إرادة هيمنة ونفي ومحاولة هادفة لاختزال الوجود بمفهومه الأوسع في مركزية متعالية فإن العالمية غير ذلك، فهي طموح إنساني للارتقاء بالخصوصية المحلية إلى المستوى الكوني فيصبح حينها العالم؛ الوطن الأكبر. يقدم الدكتور "إبراهيم مذكور" في معجمه الفلسفي تعريفاً للعالمية على أنها: "نزعة ترمي إلى اعتبار الإنسانية أسرة واحدة وطنها العالم وأعضاؤها أفراد البشر جميعاً دون اعتبار لاختلافهم في اللغة أو في الجنس أو في الوطن قال بها الروائيون قديماً وأخذ بها بعض المعاصرين"⁽¹⁾.

العالمية بهذا المفهوم هي توجه إنساني نبيل تنظر لكل فرد على أنه إنسان قبل أن يكون مسلماً أو كردياً أو يهودياً أو أسود أو أبيض اللون ودون إعطاء أي اعتبارات للحدود والرقع الجغرافية إن الإطار الذي يجب أن نفهم من خلاله العالمية يجري استخدامه من خلال برنامج "غراس للمعرفة الكونية"، كمطلب معرفي وأخلاقي يفترض أربعة معالم جوهرية. أولها، التوازن العاطفي الذي يهدف لتحقيق التواصل الحضاري والثقافي بين مختلف الأمم والشعوب مع الاحتفاظ بالجانب الخصوصي شريطة عدم ظهوره كعائق يحول دون تحقيق التواصل. ثم هناك الحس الإنساني المشترك بما يتضمنه من أواصر التعاطف الحيوي مع الأقليات التي يجري اضطهادها وتهميشها وكذلك مع الأمم التي تعاني المعاناة. أما المعلم الثالث فيتمثل في القيم الإنسانية وهناك رابعاً القيادة والتفاعل مع الفضاء الكوني ونقصد بذلك الانفتاح على مشاهد الحياة ومعايشة الأحداث العالمية مع السعي لأن تكون الذات طرفاً فاعلاً في القضايا الحساسة ذات البعد العالمي كالدفاع عن حقوق الأقليات ونبد العنصرية⁽²⁾.

2- "إيمانويل كانط" وبداية التفكير خارج حدود الذات

نشأت العالمية على خلفية بعض التحولات العميقة التي مسّت التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ففيما مضى لم يكن هناك تجريد للحياة السياسية حيث كانت حياة الشعب وحياة الدولة متطابقتين، فالإنسان هو المبدأ الواقعي للدولة، غير أن ذلك لم يدم طويلاً لتحل ثنائية مجردة محل ذلك التطابق. وهذا هو الشكل الذي يظهر فيه التعارض المجرّد بين الطرفين. خلال القرنين 17 و18 وتزامناً مع عصر الأنوار أرسيت الأسس الفلسفية والسياسية للعالمية. يذهب الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانط" "Emmanuel Kant" من خلال عمله الموسوم بـ: "مشروع السلام الدائم" "Vers la paix perpétuelle" إلى نبذ الصراعات والحروب على اعتبار أنه لا طائل منها سوى نشر الرعب والفرع و توسيع الهوة بين الأفراد. وحسب "كانط"، فإنه لا يتم حفظ السلام العالمي

إلا بإعادة النظر في طبيعة أنظمة الحكم من حيث علاقتها بالتقويم الخلقي. ونحن نعلم أن النزاهة هي أفضل سياسة. وبهذا يكون "كانط" قد أعاد الاعتبار للكرامة الإنسانية. وهو يدعو صراحة إلى طرح القوانين الوطنية جانباً والعمل على صياغة دستور عالمي يتمتع بالسلطة المطلقة حتى عندما يتعلق الأمر بقضايا الفساد التي تخص الحاكم والملك وكبار المستشارين⁽³⁾.

إن حماسة "بيرتراند راسل" "Bertrand Russell" السياسية وتجذبه للدفاع عن قضايا السلم العالمي ووقوفه إلى جانب الأقليات المقهورة كانت سبباً في اعتقاله مرتين؛ الأولى كانت في عام 1918 لمدة ستة أشهر بسبب اتخاذه موقفاً معارضاً من الحرب العالمية الأولى، والثانية كانت لفترة وجيزة سنة 1961 وعمره يناهز 89 سنة إثر مشاركته في التظاهرات السلمية ضد التخصيب النووي. لقد كان تصوّره للعالمية في حقيقة الأمر تكملة لمشروع "السلم الدائم". فالعالم بحاجة إلى الحكمة والتعاون والعطف الإنساني بدرجة متساوية وهو الأمر الذي نفقّر إليه في الوقت الحالي. كما أن الحرب في نظره ليست الوسيلة الأنسب لحلّ المشاكل والخلافات فهي تزيد من درجة الهوة بين الشعوب، ولا يمكن حلّ هذه الصراعات إلا بالتفاهم والتراضي والحوار والتخفيف التدريجي من الحقد والكراهية بين الأمم وذلك بنشر ثقافة التسامح بين الثقافات. ناهيك عن إيمانه بضرورة إنشاء حكومة واحدة ذات صبغة عالمية تتمتع بالسلطة المطلقة لحماية الشعوب التي يجري اضطهادها وجرمانها من التعبير والمعارضة. وتسليط الرقابة على نشاط الحكومات الوطنية وكيفية تعاملها مع مواطنيها. لهذا ظلّ "راسل" يؤكد أن الشيء الوحيد الذي يحرّر البشر هو الاتحاد والتلاحم⁽⁴⁾، فمن واجب كل إنسان أن يساعد بنزاهة على إقامة آلية عالمية قوية وفعالة بحيث تشترك في تشييدها جميع الشعوب والأمم والعمل على تأسيس حضارة إنسانية واحدة دون إقصاء لأي ثقافة من الثقافات الأخرى.

يعلق "جون ستيوارت ميل" "John Stuart mill" في الفصل الثاني من كتابه "الحرية" "On Liberty" عن رأيه في منع الفرد من التعبير عن رأيه بأنه حتى ولو كانت الإنسانية كلها على رأي باستثناء شخص واحد، وكان لهذا الشخص رأي مخالف لرأي الإنسانية جمعاء لما كان للإنسانية حق فرض الصمت عليه. وإن لم يكن لرأي ما أي قيمة إلا عند صاحبه، فمن الواجب احترامه والدفاع عن حقه في أن يقول ما يريد حتى وإن كان الشخص المدافع عنه لا يوافق فيما يقول بالضرورة. وبمجرد أن نمنع شخصاً من التعبير عن رأيه نكون قد سلّبنا الإنسانية كلها حقها⁽⁵⁾.

كانت معاناة الشعوب من شتى مظاهر الاضطهاد الوطني عاملاً حاسماً وهاماً في تاريخ البشرية. خلال القرن العشرين تأسست هيكل عالمية تتمتع بالشرعية الدولية لمراقبة نشاط القوميات الوطنية. ولتأخذ على سبيل المثال "محكمة العدل الدولية" "Cour internationale de justice" وهي بمثابة محكمة عالمية تعنى بالنظر في مختلف المسائل القضائية ذات البعد العالمي. في بعض الدول يتعرض المواطنون للتعسف والاستبداد من قبل حكومتهم الوطنية، ومحكمة العدل الدولية الواقع مقرها بـ "لاهاي" "La Haye" "هولندا" "Hollande" مجندة للنظر في مثل هذه القضايا ووضع حدٍّ لمثل تلك الممارسات. فهي تصدر من حين لآخر قرارات وتوجه تعليمات لبعض الحكومات تطالبهم من خلالها بضرورة السماح للمواطنين بالظهور الحر والتعبير عن مواقفهم دون ممارسة أي ضغط عليهم.

3- الملامح الأخلاقية للفنون الخطابية: "هابرماس" ورهانات الشفافية

يُمثل "يورغن هابرماس" "Jurgen Habermas" الجيل الثاني من النظرية النقدية التي أُطلقَ عليها بعد عودة مؤسسيها من المنفى "مدرسة فرانكفورت" "École de Francfort"، ويمكن القول إن تحليلات "هابرماس" النقدية للسياسات الوطنية جعلت منه أبرز مفكري الفلسفة الألمانية خلال القرن العشرين. وتتميز مقارنته قبل كل شيء بالتزامها - كمشروع نظري وعملي - بإعادة صياغة الميكانيزمات التي يجري من خلالها التنظير للعلاقة بين الذات، والنموذج الذي يكتب له "هابرماس" يتجاوز الحدود الوطنية والقومية ليجد لنفسه مكاناً في الفضاء العالمي، وهذا المشروع لن يكتب له النجاح إلا إذا أعدنا النظر في شروط ومعايير التواصل. وظهرت مجمل هذه الأفكار في كتابه الموسوم بـ: "الوعي الأخلاقي والفعل التواصلي" "Moral Consciousness and Communicative Action".

ينطلق "هابرماس" من استبعاد جميع أشكال التواصل الغائي الذي ينظر للآخر كهدف استراتيجي يرجى من ورائه تحقيق مصالح شخصية، بل يجب أن تكون الغاية القصوى التي تترجى من وراء التواصل هي التفتح على الآخر وتقبل آرائه استناداً على معيار أقوى حجة بغض النظر عن الانتماءات الثقافية والعرقية والتوجهات الإيديولوجية مع احتفاظ جميع الأطراف بحق النقد والنقض ومعارضة ادعاءات مخاطبيهم دون أن تمارس عليهم أي سلطة أو هيمنة⁽⁶⁾، وبهذا يكون "هابرماس" قد أحدث قطيعة مع جميع المواقف الفلسفية التي تتبنى نظريات القوة والصراع وحتى مع الهياكل الإيديولوجية المركزية بتقنياتها الإدارية التي تتخذ من المواطنين ذريعة لممارسة السلطة والتي تتفرد في اتخاذ قرارات لها أغراض شخصية تخدم مصلحة الطبقة الحاكمة، وتهدد باستمرار جميع أولئك الذين يرفضون المصادقة على إيديولوجياتها بالسجن والنفي والفصل من العمل مستعملة في ذلك القوة القمعية.

تنبهنا "جوديث بتلر" "Judith Butler" إلى الحاجة الحيوية للمساواة في التعامل مع الأحداث الخطابية وحتى التجمعات الجماهيرية. وأعتقد أنه يمكننا أن نفهم هذا الأمر فهماً حدسياً إذا ما نحن انتبهنا إلى معنى كلمة الحجب كما استخدمها "جون إينازو" "John Inazu". وتقدم "جوديث بتلر" في الفصل الثاني من كتابها "ملاحظات نحو نظرية الأداء في التجمع" "Notes Toward a Performative Theory of Assembly"، والموسوم بـ: "تكتل الهياكل وسياسة الشارع" "Bodies in Alliance and the Politics of the Street" تحليلاً موضوعياً تنتقد من خلاله ازدواجية المعايير في التعامل مع الخطابات الجماهيرية بحيث يتم السماح بالظهور "Apparaître" فقط للخطابات المسرحية التي تظهر حياة الشعب والسلطة متطابقتين بعيداً عن كل تجريد ثنائي وهذه الميلودرامية تؤدي إلى استحالة تصور وجود شفافية موازية للبنية الأنطولوجية لذلك الخطاب. وحتى يكون هناك تواصل شفاف لا بد من توفر شروط تضمن له مثاليته تتمثل إجمالاً في المساواة في الفرص، حيث يحصل جميع الأطراف على فرص متساوية لإبداء آرائهم، فلا يتم منح الفرصة فقط لأولئك الذين يقدمون آراء تتماشى مع إرادة الخطيب، بل يجب الاستماع أيضاً لآراء أولئك الذين يتبنون وجهات نظر معارضة لإيديولوجيات السلطة والسماح لهم بالظهور في الساحات العمومية وعلى شاشات التلفزيون مع احترام حقهم في الحرية والتعبير عن المواقف دون تجاهل أو قمع أو تقزيم أو إخفاء⁽⁷⁾.

يؤكد "هابرماس" في كتابه: "التقنية والعلم كإيديولوجيا" "Technology and Science as Ideology" أن النموذج المرغوب فيه للديمقراطية هو الذي يمكن كل المواطنين من التعبير عن أفكارهم وانتماءاتهم الثقافية

وتوجهاتهم الإيديولوجية، وعلى هذا الأساس فإن السلطة التواصلية هي سلطة لا قمعية ولا قهرية وهذا النموذج لا يكون إلا في دولة الحق والقانون. كل هذا يظهر تجسّد "هابرماس" للدفاع عن قيم العدالة والحرية والحق وسعيه لإعادة إحياء نظرية العقد الاجتماعي عند "جان جاك روسو" Jean Jacques Rousseau بجعل العلاقة بين السلطة والمواطنين أفقية بدل أن تكون عمودية. وبهذا فإن مشروع "هابرماس" يهدف لخلق فضاء تواصلية حقيقي بين الفرد والسلطة ينطلق من بناء علاقة قوامها الاحترام.

تتمتع هذه المعايير الأخلاقية ببعد عالمي كوني، لن يؤتى لها التجسد إلا في ضوء دولة دستورية - دستورية في مضمونها وليس في ظاهرها- لا تقمع الحرية وتحترم رأي الجميع وتتقبل النقد ولا تمارس العنف. وهكذا يكون "هابرماس" منشغلاً بسنّ معايير كونية تكون بالمرصاد للقوميّات الوطنية وتتمتع بالقدرة على حلّ المشكلات التي يتخبط فيها المواطنون وتعمّق ثقافة السلام والحوار والتواصل. الأمر الذي جعل بعض المفكرين المهتمين بأفكاره يذهبون إلى اعتبار أن أخلاقيات النقاش المفتوح تؤسس لمجتمع مدني عالمي. وعلى سبيل المثال يذهب "جان كوهن" Jean Cohen إلى أن تلك الأخلاقيات تمثل نظرية سياسية تعمل على التأسيس لمجتمع عالمي ديمقراطي يستوعب التعدد ويكرّس الحوار.

يتحدث "هابرماس" عن الفعل التواصلية العقلاني والذي يسميه أحياناً بالعقلانية التواصلية. في الحقيقة، إذا ما أردنا أن نبني مجتمعاً تواصلياً عالمياً علينا البحث عن مرجعية عالمية تجمع بيننا جميعاً وليس ثمة مرجعية تضاهي ملكة العقل. يوضح "هابرماس" في كتابه: "الفكر ما بعد الميتافيزيقي" "Postmetaphysical Thinking" طبيعة وخصوصية هذا العقل التواصلية؛ الذي يجرده تماماً من جميع الاعتبارات الميتافيزيقية الموروثة من التصورات اللاهوتية وتقاليد فلسفات الوعي التي تجعل منه كائنًا فينومينولوجياً منطوياً على نفسه - عقل متحرر من كل رهان فلسفي أو قيود لاهوتية، متجسّد ومنخرط ومتحقّق في العالم ككائن تاريخي بالمفهوم الميرلوبونتي وليس العقل الترنسندنتالي بمفهوم المثالية الألمانية. وكل ذلك يكشف تفضيله لنموذج التفاعل المستمر بين الذات. وعلى هذا الأساس، فإن الحقيقة عند "هابرماس" تتجاوز حدود الذات ونطاقها، فهي عابرة للذات لا تعترف سوى بشيء واحد فقط وهو العقل بما ينتج من حجج وبراهين. ونحن ندعم مثل هذه الآراء، ونقول يجب أن نتعلم كيف نستبعد في تواصلنا مع الآخر جميع الاعتبارات اللغوية أو الدينية أو الإنشائية كما لا يجب أن نقيم تواصلنا على مصالح وأهداف شخصية وإستراتيجية. وبالتالي فإن مشروعنا لا يختلف عن مشروع "هابرماس" يرمي لبلوغ عقلانية جديدة يسميها العقلانية التواصلية وليس عقلانية أدائية غرضها تحقيق منافع شخصية.

لقد أثمرت جهود ومساعي مدرسة فرانكفورت على وجه العموم و"يورغن هبرماس" على وجه التحديد نتائج مرضية على الصعيد السياسي، فالديمقراطية التشاورية التي خصص لها "هابرماس" أعماله المتأخرة ابتداءً من التسعينيات تعدّ أهم إنجاز في ميدان الفلسفة السياسية المعاصرة، وهي امتداد وتوسيع لمجال الفعل التواصلية والديمقراطية التشاورية هي البديل الذي يطرحه "هابرماس" للديمقراطية الليبرالية؛ ديمقراطية تقوم على أساس جماعة متواصلة خالية من أي هيمنة عدا هيمنة أفضل حجة. وهكذا يضيف "هابرماس" من خلال الفعل التواصلية وأخلاقيات النقاش لمسته الخاصة على مشروع العالمية منقداً جميع أشكال الديمقراطية الغائبة التي لا تمثل لمبدأ التواصل الشفاف والعقلاني والتي تمارس سلطتها على المواطنين بطرق إستراتيجية تتحول في ظلها كائنات العقل والحرية إلى مجرد أشياء مستلبة الحرية والتفكير. ومثل هذه الديمقراطيات التي لا تتواصل بطرق شفافة

وأخلاقية تتحمل مسؤولية الوضع المزري الذي أدى إلى إحداث قطيعة بين الأطراف المتواصلة وربما التزام الصمت تجاه قضايا الرأي العام والإغراض عن الانخراط في الفضاء العمومي.

إن التواصل الديمقراطي القائم على التشاور كفيل للدفع بالقوميات الوطنية للالتحاق بمصاف الديمقراطيات العالمية التي تنطلق في أداء مهامها من الفضاء العمومي، وتتجسد في هذا الفضاء العالمية لأنه ساحة لبحث قضايا الرأي العام والمصلحة العامة وهو أساس السلطة. والديمقراطيات التمثيلية على حد تعبير "هابرماس" مطالبة بتقبل المسألة النقدية ومراقبة نشاطها للتحقق من شرعية ممارساتها ومما إذا كانت القوانين والسياسات تخدم الصالح العام أم لا. وهي العملية التي يتحرر من خلالها الفعل السياسي والاجتماعي من فعل الذات إلى الفعل البيذاتي الأخلاقي، فيصير سامياً كونياً وإنسانياً لاعتماده على إيتيقا الحوار القائمة على ادعاءات الصلاحية المتمثلة في الحُجج، والصدق والحقيقة (8).

4- كلام مؤثر في الأنانية والصحة الكونية: تحليل "جوديث بتلر" "Judith Butler" جنباً إلى جنب مع تحليل "إليزابيث وارن" "Elizabeth Warren" و"بيرني ساندرز" "Bernie Sanders".

سنقدم فيما يلي قراءة جريئة لمجموعة واسعة من الافتراضات المتعلقة بالأزمة الصحية وباء "Corona Virus 19"، التي وضعتنا أمام حتمية إعادة النظر في توزيع العدالة الاجتماعية والتفكير بجديّة في المساواة. وفي الحقيقة، إن فيروس كورونا وحده لا يمارس العنصرية ولا يعرف التمييز بين البشر فهو يعاملنا جميعاً على قدم المساواة، فالكُل مُعرّض لخطر الإصابة والكُل تحت تهديد فكرة الموت. ويُعتبر هذا العمل تدخلاً استفزازياً يثير غضب أولئك الذين قصروا استخدام اللقاحات ذات النوعية الرفيعة على أنفسهم وأهلهم فقط، أعتقد أنني لو كنت مكانهم لما شعرت بسعادة غامرة بفكرة نجاتي وأهلي من الموت بينما الشعوب الأخرى تُعاني.

غير أن "ألكسندر كوجيف" "Alexandre Kojève" الذي كان موضع نقاش في رسالة الدكتوراه "Ph.D" التي تقدّمت بها "جوديث بتلر" سنة 1984 لـ "جامعة ييل" "Yale University" تحت عنوان: موضوعات الرغبة عند هيغل، كوجيف، هيبوليت وسارتر. "The projects of desire in Hegel, Kojève, Hyppolite and Sartre". يتحدث عن حكمة تلحّ على اللحظات العنيفة والدموية في تاريخ البشرية وهو بذلك يُعيد تأويل "جدلية السيد والعبد" "Dialectique du maître et de l'esclave" للفيلسوف الألماني "جورج وليام فريدريك هيغل" "Georg Wilhelm Friedrich Hegel" بعيداً عن معالمه العقلانية. خلال أحداث مايو 1968 كان "كوجيف" قد أعلن أنه مادام الدم لم يرق فإنه لم يحدث أي شيء. وعمل "هيغل" الموسوم بـ "فينومينولوجيا الروح" "La Phénoménologie De L'esprit"، يصحّ اعتباره رواية عالمية عن التاريخ الكوني للبشرية تكون فيه الصراعات الدموية لا التعاطف الحيوي هي التي تحقّر الأشياء وتحركها نحو نهايتها السعيدة (9).

تناولت "جوديث بتلر" قضايا حساسة جداً وفي غاية الأهمية ترتبط بتجربة الأنانية والفردانية. ومن خلالهما تُبين كيف عمل بعض رجال السياسة على تسييس الأزمة الصحية وتسخيرها لتحقيق مراميهم السياسية، وكيف يمكن للأنانية أن تؤدي إلى تدمير ترابطنا الكوني؛ بعضهم كان السباق في اقتناء اللقاح المضاد للوباء دون الاهتمام بحياة الآخرين وهذا يكشف ضمناً اعتقادهم بأن حياتهم أكثر قيمة وأحقّ تقديراً من حياة باقي الأفراد وهو ما تُسميه "بتلر" "تعزيز الذات" "Self - aggrandizement". ومما لا شك فيه أيضاً أن رجال الأعمال حرصوا على رأسلمة الأزمة الصحية وإذا كان هناك ما يمكن قوله في هذا السياق أو على الأقل الإشارة إليه في لغة رمزية

تضع القارئ أمام حتمية تأويلها لاستخراج المعاني الكامنة خلف هذه السطور هو أن اللقاءات ذات النوعية الرفيعة كانت في متناول فئة معينة من الأشخاص دون غيرهم.

وهذه النقاط المشار إليها آنفاً لا تمثل إلا مظهرًا من مظاهر الأناية واللامساواة، فإلى جانب هذه المادية المتطرفة هناك مادية أخرى لا تقل جشعاً وأناية عن الأولى. ففي الوقت الذي كان فيه المواطنون يكابدون مشقة البحث عن جرعات من الأوكسجين لإنقاذ حياتهم أو حياة أقاربهم استغل بعضهم هذا الوضع الصحي لتعزيز قوَى الانتقام داخل مناطق الوباء. غير أنني من جهتي أعرف كلاباً عواطفها أفضل وأعمق من عواطف كثير من الناس.

تتأقش "جوديث بتلر" مسألة الصحة العمومية من وجهة نظر ديمقراطية اجتماعية وهي لا تختلف في طرحها للقضية عما اقترحت "إليزابيث وارن" "Warren Elizabeth" و"بيرني ساندرز" "Bernie Sanders". وفي ضوء هذه المقاربات يختفي معنى العنصرية في تقدير الحياة لتحل محلها رغبة جماعية في المساواة، فكل الحياة الاجتماعية ستكون معرزة ببرنامج الصحة العمومية، ومن الممكن وصف حركة كهذه بأنها سعي لإعادة إحياء التراث الاشتراكي في ثوب فرانكفورت. فالرعاية الطبية يجب أن تكون في متناول الجميع بغض النظر عن منزلة الشخص أو ما يملكه من مال. ليس هذا فقط، بل يجب أيضاً أن تكون الرعاية الصحية عابرة للأوطان، وهذا ما نقصده بالصحة الكونية، إذ يتعين على كل فرد أن لا يفكر في نفسه فقط، بل أن يتعاطف مع الآخرين ويؤدي تضامناً حيويًا مع الشعوب والأمم الفقيرة⁽¹⁰⁾.

إننا نرى المعنى الحقيقي لمفهوم العالمية، وهذه المقاربة تتميز قطعاً بتفحص سؤال الكونية وفق تمثيل قراءة مغايرة، مبتكرة ونقدية للأزمة الصحية مع تحديد لانعكاساتها الاجتماعية والسياسية. وكل ذلك يظهر قدرتها على تأكيد ذاتها في الفلسفة الغربية المعاصرة؛ مقارنة جعلتنا ندرك بوضوح أن الأناية هي حاجز رئيسي في طريق الكونية. وإن ما شد الجمهور إلى فكر "جوديث بتلر" هو طريقة تناولها لمشروع العالمية وتعاملها مع مناطق في غاية الأهمية من الحياة اليومية كالخبث السياسي والعنف الأخلاقي والتي لم تكن نرتادها إلى غاية ذلك الوقت بعبارة أخرى إنها تحاول شد انتباهنا إلى الوجه اللاعقاني الذي يختفي وراء العقلانية.

خاتمة

النتيجة التي خلصنا إليها بعد النظر في قيمة الافتراضات التي تطرحها هذه الورقة البحثية تقول إن العالمية لا هي مقارنة سوسولوجية ولا سياسية ولا حتى هي مفهوم تاريخي، إنها نمط حضاري وثقافي متميز يتعارض مع النمط التقليدي القومي والوطني الذي يفترض وجود حدود ضيقة تحول دون إبحار الإنسان في هذا الفضاء الرحب الذي نسميه "كوكب الأرض"، ليجد الإنسان نفسه في ظل ذلك النمط أسير عاطفة قومية أو وطنية معينة. والعالمية من حيث هي كم غير قابل للقياس وغير قابل للتراجع _ إنها بالمفهوم الهيجلي صيرورة جدلية _ فإن ما يميزها هو سعيها لتكون إنسانية قبل كل شيء؛ هو تغنيها بقيم الحرية والسلام والتعبير وتبني المواقف بطريقة حرة. فهي بعد أن تمكنت من التخلص من قيود القوميات الوطنية برقعها الجغرافية وتجاوز المفهوم الضيق للانتماء المحلي، ها هي تعطي الامتياز للحاضر والمستقبل معاً وتكشف على نحو جوهري القيمة العملية والحاجة الفلسفية إلى انتماء كوني إنساني.

نقرض العالمية نفسها على أنها ثقافة لا تغير أي اهتمام للاختلافات العرقية أو الدينية أو اللغوية أو غير ذلك. فهي دعوة صريحة للتجانس تحت راية الإنسانية وكوكب الأرض؛ دعوة للتعاطف الأخلاقي مع الآخر بهدف

الاحالات والهوامش:

- ## قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: اللغة العربية

- ## ثانياً: اللغة الأجنبية

- 48

من أجل معرفة ملائمة - رؤية إدغار موران

د. داود خليفة

جامعة حسينية بن بو علي بالشلف، k.daoud@univ-chlef.dz

تاريخ الإيداع: 2022/07/30

تاريخ المراجعة: 2022/10/24

تاريخ القبول: 2022/10/24

ملخص

مرت المعرفة الإنسانية بحالة مرضية تمثلت في منظومة التبسيط والاختزال التي سيطرت على الفكر العلمي بعد الثورة العلمية في القرن السادس عشر، والتي اختزلت كل الواقع إلى أصغر المكونات الجزئية، وقامت بفصل حقول المعرفة بعضها عن بعض وقد حاول إدغار موران إصلاح المعرفة عن طريق الدعوة إلى فكر مركب باعتباره مفتاحا للمعرفة العلمية المعاصرة، ويمثل تحديا ودافعا للعقل للتعامل مع الشكوك والتناقضات واللايقين.

الكلمات المفتاحية: معرفة، فكر مركب، اختزالية، تعقيد، سياق، نكاء أعمى.

*For a suitable knowledge – the vision of Edgar Moran***Abstract**

Human knowledge has gone through a satisfactory state of simplification and reduction that dominated scientific thought after the scientific revolution of the 16th century, which reduced all reality to the smallest partial components, and separated the fields of knowledge from each other. Edgar Moran has tried to reform knowledge by advocating complex thought as a key to contemporary scientific knowledge, challenging and motivating the mind to deal with uncertainties, contradictions and uncertainties.

Keywords: Knowledge, complex thought, reductionism, complexity, context, blind intelligence.

*Pour une connaissance appropriée – vision d'Edgar Moran***Résumé**

La connaissance humaine est passée par un état satisfaisant de simplification et de réduction qui a dominé la pensée scientifique après la révolution scientifique du 16ème siècle, qui a réduit toute la réalité aux plus petites composantes partielles et séparé les domaines de la connaissance les uns des autres. Edgar Moran a tenté de réformer la connaissance en préconisant la pensée complexe comme clé de la connaissance scientifique contemporaine, défiant et motivant l'esprit à faire face aux incertitudes et aux contradictions.

Mots-clés : Connaissance, pensée complexe, réductionnisme, complexité, contexte, intelligence aveugle.

يعد التفكير في المعرفة والبحث فيها من أهم المباحث الابستمولوجيا المعاصرة، بهدف التحليل الفلسفي لطبيعة المعرفة ومصدرها ومدى ارتباطها بالحقيقة، وكذا البحث في مجالاتها المختلفة. ولما كانت مسألة المعرفة مسألة تتسم بشيء من التعقيد، وجب النظر إليها من هذه الزاوية، وذلك خلافاً للابستمولوجيات الكلاسيكية التي قامت على فكرة البساطة والاختزال والتجزئة والفصل، وهو ما أدى إلى تشويه الكثير من الحقائق؛ ذلك لأن مبدأ الفصل والاختزال يتجاهل التركيب والتعقيد الذي تتميز به المنظومات والظواهر المدروسة، وهو ما يؤدي بالضرورة إلى نتائج لا تتطابق مع الواقع والوقائع.

انطلاقاً من ذلك، جاءت دعوة إدغار موران إلى ضرورة إصلاح الفكر، الذي يتحقق بتبني "فكر مركب" يجمع المعارف بعضها إلى بعض، فكر يراعي ما هو مركب، يربط ما هو واحد بالمتعدد، وما هو جزئي بالكلي، وهذه هي الابستمولوجيا المركبة، وبالتالي يكون الفكر المركب هو الأساس المعرفي اللازم والملائم لطبيعة المعرفة المعاصرة.

إشكالية الدراسة

نحاول في هذه الورقة البحثية معالجة الإشكالية التالية: إلى أي مدى يمكن للفكر المركب أن يواجه التحديات التي تواجه المعرفة المعاصرة جراء الابستمولوجيات الكلاسيكية؟ وإلى أي حد يمكن أن تساهم رؤية إدغار موران في إصلاح المعرفة وبالتالي المضي قدماً في تحديثها وتطويرها؟

أهمية الدراسة

يكثسي البحث أهميته من ضرورة مساءلة المعرفة الإنسانية في معناها وطبيعتها وحدودها وعلاقاتها مع الواقع ومع الحقيقة وفي علاقة المعارف ببعضها ومحاولة الربط بينها استناداً إلى رؤية مركبة، بهدف إصلاحها من النماذج التبسيطية الاختزالية التي سيطرت على الفكر العلمي منذ القرن السادس عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر. وبالتالي الإسهام في تطور المعرفة نحو الشمولية التي تراعي التعقيد والتركيب.

منهج الدراسة

اعتمد بحثنا على المنهج التحليلي، حيث سنقف بالتحليل على رؤية إدغار موران لمشكلة المعرفة المعاصرة، ودعوته لإصلاحها، وكذا تحليل أهم المبادئ التي ينبغي أن تقوم عليها هذه المعرفة.

1- إصلاح الفكر هو إصلاح المعرفة

يذهب "إدغار موران" إلى أننا عندما نتساءل عن ذواتنا "من نحن؟" نجد أن هذا التساؤل يحمل في طياته تساؤلاً آخر يكون مرتبطاً به ارتباطاً لزومياً وهو التساؤل: أين نحن؟، ومن أين أتينا، وإلى أين نحن ذاهبون؟ وهنا نجد أن معرفة الذات الإنسانية لا يمكن لها أن تكون بمعزل عن العالم، لا يمكن أن ندرس الذات وأن نفهمها كمبحث قائم بذاته مستقل عن الكون، وإنما علينا أن ندرسها من خلال ارتباطها وعلاقتها به... فالإنسان والكون واحد، وإذا أردنا أن نبحت فيهما فلنبحث فيهما معاً⁽¹⁾، وبالتالي فنحن نعيش في الـ"عالم" الذي علينا معرفته في إطار كلي وعام.

سنظل - في نظر إدغار موران - نعانى من الإعاقة الفكرية والمعرفية، ما لم تبدأ معرفتنا من محاولة إدراك المشاكل الجوهرية للعالم، حيث يتطلب عصرنا - العصر الكوكبي - وضع كل شيء في سياقه وفي إطار النظرة

الكلية المركبة. لكن السؤال الذي يثيره إدغار موران هو كيف يمكن معرفة العالم؟، وكيف يمكن تنظيم هذه المعرفة؟.

لاشك أن هناك معاناة وصعوبات في التفكير فيما هو شمولي ومركب، وفي التفاعلات والتفاعلات المرتدة بين الكل والأجزاء وبين الأجزاء والكل، وهو بمعنى ما صعوبة التفكير في التعقيد. يجب الاعتراف في البداية أن مثل هذه المعرفة التي تراعي الشمولي والمركب وتعددية الأبعاد قد تكون من الصعوبة بمكان الوصول إليها، ومشكوك في صحتها وصوابها، لكن ذلك لا يمنعنا من السعي وراء ذلك من خلال إصلاح الفكر الذي يمكننا من تنظيم المعارف وتمثل مشاكل العالم وإدراكها. وما لا يجب أن نغفل عنه هو ضرورة بناء معرفة قادرة على فهم المشاكل الكلية والأساسية، إن إصلاح الفكر ليس إلا إعادة بناء المعارف ضمن رؤية مركبة تعيد النظر في المعرفة من حيث معناها وطبيعتها وحدودها وعلاقاتها بالواقع وبالحقيقة وفي علاقتها بالمعارف الأخرى، ومحاولة الربط بين مختلف المعارف، وهذا من شأنه الحد من المعارف المجزأة أو المتخصصة التي غالباً ما تكون غير قادرة على الربط بين الأجزاء والكل.

يتحقق إصلاح نمط التفكير من خلال الانفتاح على الفكر المركب، الذي هو وحده القادر على إبراز طبيعة الواقع المركبة، وعلى محاوره الواقع ضمن رؤية تأخذ تشابك الوقائع وتعقيدها في الاعتبار، وبالاعتراف بتنوع المعرفة وتكاثرها. ويعبر إدغار موران عن ذلك بأن إصلاح التفكير هو ذاك الذي يتيح الربط لا الفصل ويسعى لتجاوز الغموض والاضطراب وصعوبة التفكير معتمداً في ذلك على فكر منظم، وهذا هو الفكر المعقد⁽²⁾.

إن المعرفة تتسم بالتعقيد التنظيمي، وهذا التنظيم المعقد يحمل في طياته الإمكانات المعرفية الكبرى التي تحافظ من جهة على الاستقلاليات البينية وعلى تعدد الأبعاد في الظاهرة المعرفية، مما يستلزم في نظر إدغار موران اللجوء إلى فكر مركب، معقد، يستطيع معالجة الاستقلالية البينية وتعددية الأبعاد وكل المفارقات، من هنا لا يكون التعقيد موضوع المعرفة، بل هو قبل ذلك منهج المعرفة⁽³⁾، إن للتعقيد قدرة على تقديم تفسيرات معرفية أصوب من تلك التي تقدمها النماذج الاختزالية الجزئية التي تفكك الواقع إلى وحدات بسيطة.

إن الفكر المركب هو شكل من أشكال التفكير يسعى إلى ربط كل مجال من مجالات الفكر (فكر مفتوح). وهذا الأسلوب من التفكير يعترض على التبسيط والاختزال من جهة، ومن جهة ثانية يرفض الانفصال بين العناصر ويحاول تقديم فهم أفضل للعلاقات التي تربط فيما بينها، على اعتبار أن النموذج المركب نموذج مفتوح، متعدد، حواري، يحتوي على عناصر متداخلة مركبة تتسم بالاتساق والانسجام مع أنها لا تستبعد التناقض⁽⁴⁾.

يحاول الفكر المركب أن يجمع ما هو منفصل، وأن يحترم المتنوع والإقرار بالواحد؛ أي يعترف بالوحدة في التنوع وبالمتنوع في الوحدة، هذا النمط من الفكر يتسم بكونه:

- فكراً متعدد الأبعاد.
- منظم ونسقي، يتصور العلاقة الكل / الأجزاء.
- ميباً؛ ينظر للموضوع المدروس من خلال علاقته الذاتية والبيئية والتنظيمية مع محيطه الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والطبيعي، ولا يعزله عنها.
- يتصور بيئة العمل وجدل العمل، ويكون قادراً على الإتيان باستراتيجية تسمع بالتعديل من العمل المباشر، بل وتسمح بإلغائه.

- يعترف باكتماله ويفاوض في إطار من اللإيقين وخاصة في العمل، إذ لا يكون عملاً إلا فيما هو غير يقيني⁽⁵⁾.

يقتضي إصلاح الفكر تنظيم المعرفة التي تعمل على ضرورة مجابهة التشظي بين أقسام وتخصصات المعرفة المتعددة، وكسر الحدود بينها، وهو ما يمكن المعارف من «استيعاب المشكلات الكلية والجوهرية عن طريق دمج المعارف الجزئية»⁽⁶⁾، وذلك بانفتاح العلوم بعضها على بعض، وضرورة قيام علم تنظيم المعرفة الذي تنوط به «معرفة المعرفة» (La Connaissance de la connaissance). حيث إن المعرفة المجزأة عاجزة عن الربط بين الأجزاء والكليات، وعاجزة أيضاً عن تمثيل النظرة الكلية وتعددية الأبعاد للكائنات والوقائع المدروسة.

علينا إذن، بفكر يميز بين الأشياء ويربط بينها عوضاً عن فكر يفصل ويجزئ ويختزل، فكر يأخذ بالمركب والمتعدد والمتنوع وينأى بنفسه عن التبسيط والاختزال، وهذا هو الفكر المركب الذي يتخذ مساراً متعرجاً، يربط الصلة بين المعارف انطلاقاً من أدوات إدراكية غير موجودة في ما تعلمناه من معارف، وهذا يعني معانقة كل المناهج العلمية والمعرفية. وهذا هو المشروع الذي عمل من أجله إدغار موران وكرس له كل وقته وجهده، يقول عن هذا المشروع: «لقد طورت كل أبحاثي في اتجاه معاكس للتجزئة وتقطيع المعرفة، مدافعاً من أجل إمكانية إعادة تجميع المعرفة، وذلك في الربط بين العلوم الفيزيائية والرياضية والعلوم الإنسانية، والعمل على إدماج الإنسان كموضوع للمعرفة وكعضو في نظام الطبيعة والكون»⁽⁷⁾.

يدعو إدغار موران إلى ضرورة إعادة النظر في شروط إنتاج المعرفة ذاتها، ناقداً تفكك المعارف وانفصالها، فيرى أنه ينبغي على المعرفة في سعيها لبناء ذاتها أن تستند للسياق، للشمولي، للمركب وللتعقيد، ذلك لأن «المعرفة العلمية هي معرفة شديدة التنظيم ومؤسّسة على التعقيد. وهذا التعقيد يوضع المعرفة، يصفقها، ينظفها، يطهرها، ويعيدها إلى عناصرها الأساسية ويكشف تنظيمها الداخلي»⁽⁸⁾. ويعتبر هذا التعقيد الذي تتميز به المعرفة المعاصرة ويؤسسها ضربة موجهة لطموحات العلم الكلاسيكي الذي كان ينشد الوضوح والبساطة وتعزيز التجريد والاختزال، فيفكك الظواهر المعقدة لصالح مكوناتها البسيطة.

يهدف إدغار موران من وراء الدعوة إلى إصلاح الفكر، إلى البحث عن معرفة تهتم بالسياق والشمول، تراعي التنوع وتعددية الأبعاد، معرفة بعيدة عن التجزئة والفصل والاختزال، كل ذلك يستدعي بالضرورة فكر علمي جديد غير تبسّطي وغير اختزالي، قادر على خلق أدوات جامعة للاختصاصات المعرفية والربط بينها، فكر قائم على التفسير العقلاني الذي يحتكم إلى الواقع بكل ترابطاته وتركيباته وتعقيداته وتناقضاته، بهدف فهم طبيعة المعرفة العلمية المعاصرة انطلاقاً من عناصر التداخل والتفاعل بين مختلف أنواعها وفروعها.

2- أمراض المعرفة

يشير إدغار موران إلى أن هناك حالة مرضية تمر بها المعرفة أو ما يعرف بـ«باطولوجيا المعرفة» (La pathologie du savoir)، وأعراض هذه الحالة نذكر منها:

1.2- العمى المعرفي

وهو ما يسميه إدغار موران بـ«الذكاء الأعمى» (l'intelligence aveugle) الناتج عن الخطأ والوهم، إنه من الخطأ التقليل من مشكل الخطأ، ومن الوهم تجاهل مشكل الوهم، خاصة وأنه من الصعب الكشف عن الخطأ والوهم لأنهما لا يتقدمان أبداً إلى المعرفة بوصفهما كذلك⁽⁹⁾. يتعرض الفكر البشري إلى التشويش جراء الأخطاء والأوهام العديدة التي تحكم قبضتها عليه.

ينبغي علينا أولاً فحص طبيعة المعرفة، لأن المعرفة ليست أداة جاهزة للاستغلال يمكن استعمالها، أنه من الضروري أن نرى في المعرفة ضرورة أولى من المفترض أن تكون ضرباً من الاستعداد لمواجهة إمكانيات الخطأ والوهم الدائمة التي ما تتفك تشوش التفكير البشري، لأن المقصود هو تمكين التفكير من أن يُعدّ العدة لكفاحه الحيوي من أجل التبصر⁽¹⁰⁾.

ينتج هذا الخطأ والوهم جراء "الخطأ الإدراكي"، الناتج بدوره عن المعرفة الحسية، فالمعرفة ليست إلا ترجمة عقلية وتفسيراً لما تتقله لنا حواسنا، ومهما كانت قوة الحواس إلا أنها توقعنا في أخطاء إدراكية لا سبيل لتجنبها. إلى جانب ذلك، فقد ينشأ الخطأ والوهم من النظريات العلمية والمذاهب الفكرية، التي تتغلق على نفسها وتقاوم كل ما لا يتلاءم معها، أو ما لا يمكن دمجها بداخلها، حيث إن «النظريات العلمية هي الوحيدة التي تقبل الخضوع لامتحان الدحض، إلا أنها تقاومه. أما المذاهب والنظريات المنغلقة على نفسها والمشدودة إلى حقائق مطلقة فإنها تبقى منيعة على كل نقد»⁽¹¹⁾.

2.2- الفصل بين المعارف

من أعراض الذكاء الأعمى الفصل بين المعارف وتجزئتها إلى تخصصات ضيقة ومنغلقة على نفسها. إن مبدأ الفصل يعمل على حجب الوقائع الشمولية والمركبة، حيث يعمل هذا المبدأ على المستوى الإنساني مثلاً على فصل الإنسان وتجزئة أبعاده بين مختلف ميادين المعرفة المتخصصة، فيتناول تخصص البيولوجيا البعد الحيوي بما في ذلك الدماغ، وتجزئة الأبعاد النفسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية بعضها عن بعض داخل حقول العلوم الإنسانية، وقد أغلقت الفلسفة داخل نفسها مع أنها تفكير تأملي إنساني شمولي⁽¹²⁾.

لقد استندت المعارف الكلاسيكية على الدراسات المتخصصة التي ساهمت في تجزئة جوانب الإنسان الثقافية والبيولوجية وحتى الحيوانية، وكمثال عن ذلك الدماغ والذهن: فالدماغ موضوعاً لعلم البيولوجيا والذهن يتم تناوله من خلال علم النفس، وهنا يكون للإنسان جانبه البيولوجي والنفسي، وينبغي الأخذ بهذه الهوية المزدوجة في الاعتبار، لأن الدماغ والذهن لا يقبلان الفصل بينهما. أما الجوانب الثقافية فيتناولها الاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النفس والتاريخ... وهي فروع معرفية منفصلة وينبغي الربط بينها. في هذا الصدد يقول إدغار موران: «لا أحد يستطيع أن ينفي التطور الخلاق الذي عرفته المعارف في إطار التخصصات وفضلها، في ميادين مختلفة خلال القرن العشرين. وقد أسفر هذا التطور في المقابل على تراجع خطير على صعيد المعرفة، لأن التخصص يلغي السياق ولا يهتم بالشموليات والمركبات. وهو ما أبرز عقبات كثيرة أعاققت ممارسة المعرفة المناسبة»⁽¹³⁾.

أحدث هذا الفصل بين التخصصات تفككاً كبيراً على أصعدة عدة: ففرقت الفيزياء بين المعلومة والحوسبة والذكاء الاصطناعي. وفرقت البيولوجيا بين الجهاز العصبي والدماغ وتطوره. أما علوم الإنسان فقد فصلت وفرقت بين الألسنية وعلم النفس المعرفي والتحليل النفسي وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا الثقافية والتاريخ، وفرق كل من العلم والفلسفة بين المنطق والابستمولوجيا... وفي الوقت الذي كان ينبغي على هذه التخصصات أن تتواصل فيما بينها، فإننا نراها على العكس من ذلك تماماً تتباعد وتتباذ⁽¹⁴⁾.

إن التخصصات المعرفية الضيقة والمنغلقة ليست إلا فصل الموضوع عن سياقه وشموليته، وفصل علاقاته وتفاعلاته مع محيطه داخل بناء معرفي مجرد يتعلق أساساً بمبحث مجزأ، يحطم بشكل اعتباطي نسقية علاقة الجزء مع الكل، ينتهي في نهاية المطاف إلى تجريدات رياضية صورية تفصل الظواهر عن ما هو محسوس⁽¹⁵⁾. هنا تبرز الحاجة إلى إصلاح المعرفة على أساس التواصل بين العلوم والتخصصات المعرفية.

3.2- سيطرة النزعة الاختزالية

تعد النزعة الاختزالية - التي تأسست مع ديكارت - نموذجاً إرشادياً هيمن على العالم الغربي، فحتمت عليه الفصل والتفكيك واختزال المعقد بالسيط، وأدى الامتثال لهذا النموذج إلى تجاهل التعقيد أو اعتباره مجرد وهم أو مظهر فحسب⁽¹⁶⁾. هذا النموذج المعرفي الكلاسيكي القائم على التبسيط والاختزال لا يسمح - بحسب إدغار موران - بالانفتاح على الأبعاد المركبة للواقع، فالمعارف الكلاسيكية غير كافية لاستنادها - من وحي ديكارتي - على منطق تبسيطي⁽¹⁷⁾، وبذلك يكشف هذا النموذج المعرفي عن حدوده وغير ملاءمته لطبيعة المعرفة المعاصرة. يقول إدغار موران: «إلى حدود منتصف القرن العشرين، كانت معظم العلوم تعمل وفق مبدأ الاختزال، اختزال معرفة الكل في معرفة الأجزاء [...] يؤدي مبدأ الاختزال إلى اختزال ما هو مركب في البسيط، بتطبيق المنطق الآلي والاحتمالي الخاص بالآلات الاصطناعية على المركبات الحية والإنسانية، ويقوم مبدأ الاختزال على إقصاء كل ما لا يقبل التكميم والقياس، مانعاً إنسانية الإنسان من أهواء وعواطف [...] فيسد الطريق أمام الابتكارات»⁽¹⁸⁾.

وفي سياق تحليله لهذه النزعة الاختزالية؛ يشير إدغار موران إلى أن هذه الرؤية المجزأة والمبعثرة تقوم بتشتيت ما هو مركب إلى أجزاء مفصولة عن بعضها البعض، وتفصل ما هو مرتبط، وتضفي الطابع الأحادي على ما هو متعدد ومتنوع في أبعاده، وهي بذلك رؤية عمياء تقتل كل إمكانات الفهم، وتفتح المجال للأجزاء دون النظرة الكلية، وللواحد دون التعدد، وللبسيط دون المركب.... وهذه هي تراجيديا المعرفة الإنسانية.

4.2- تراجيديا المعرفة (التناقض)

إن النجاح الذي عرفه العلم الكلاسيكي بدءاً من غاليليو وصولاً إلى نيوتن يكمن في تجزئة النظم المعقدة إلى مكوناتها البسيطة لفهم كيف تتفاعل هذه المكونات بعضها مع بعض، حيث كان يتم تجزئة سلوكا لنظم إلى مكوناتها الجزئية، والذي يسمح بمعرفة هذه النظم من خلال تحليل خصائص الأجزاء الأولية، فلقد كان «العلماء لما يواجهون نوعاً من التعقيد فإنهم وبشكل غريزي ينظرون إلى المكونات البسيطة للنظام وكيف تتفاعل هذه المكونات مع بعضها البعض، ثم ينتقلون للكشف عن القانون أو القوانين التي تحكم تفاعل هذه التفاعلات وسلوكها، بعد ذلك يحاولون الكشف عما إذا كانت هناك نظم أخرى تتبع نفس القوانين، وهكذا»⁽¹⁹⁾.

كما كانت العلوم الكلاسيكية تقوم على الفصل بين المعارف ضمن التخصصات الضيقة، والتخصص الذي يعنيه إدغار موران هو ذلك التخصص المنغلق على نفسه، غير مندمج في إطار تصور كلي للموضوع أو داخل إشكالية عامة، وهذا ما يؤدي إلى فصل الموضوع عن سياقه وشموليته، مما يجعله مبحثاً مجزئاً لا يراعي علاقات وارتباطات الجزء بالكل.

وفي نظر إدغار موران أن هذا الفصل والاختزال يعبر عن تراجيديا المعرفة الإنسانية؛ فمن المعلوم أن التطور الذي شهدته المعرفة كان بفضل التخصصات وفي إطارها، لكنه لا يجب نفي أن ذلك التطور أدى إلى تراجع المعرفة؛ لأن التخصصات المعرفية الجزئية لا تعترف بما هو شمولي وما هو مركب ولا تعبر للسياق أي اهتمام، وهو ما شكل - دون شك - عائقاً أمام ممارسة المعرفة الصحيحة والمناسبة⁽²⁰⁾. وهذه هي تراجيديا والتناقض اللذان تعيشهما المعرفة؛ حيث إن التقدم الذي أحرزته المعرفة هو سبب تراجعها ونكوصها، وهو ما يفتح أمامها تحدياً، وهذا التحدي يتمثل بالأساس في الربط لا الفصل، التجميع لا التفريق، التعقيد لا التبسيط.

3- مبادئ من أجل معرفة ملائمة

يحدد لنا إدغار موران جملة من المبادئ التي ينبغي أن تقوم عليها المعرفة العلمية، وهذه المبادئ هي:

1.3- السياق

تتحقق فعالية السيورة المعرفية من خلال السياق (contexte) الذي يحدد شروط دمج المعارف وحدود صلاحيتها، وكل معرفة تخلو من السياق أي معرفة قائمة على الفصل والعزل هي بالضرورة ناقصة. وعليه ينبغي وضع كل معلومة في سياق ما ومجموعة ما، وعلى المعرفة أن تتموضع داخل السياق ليتحدد معناها. إن الكلمة مثلا تحتاج إلى النص ليكون لها معنى، فالنص هو سياق الكلمة، والنص بدوره بحاجة إلى سياق ليتمكن إنتاجه⁽²¹⁾. أي أن النص لا يكتسب المعنى إلا من خلال سياقه، فالمرجم كثيرا ما ينتقل من معنى لآخر حتى يتضح تدريجيا المعنى الملائم للسياق، فالجملة هي شعاع الكلمة، والكلمة والسياق هما شعاع الجملة الذي يتحدد بالتدرج.

وفي هذا الإطار ينبغي النظر للعلاقة بين أي ظاهرة وسياقها والعلاقات المتبادلة بين الكل وأجزائه، وفي هذا اعتراف بالوحدة في التنوع وبالتنوع في الوحدة، وهذا ما يتحقق في كل "منظومة" (système)، والتي يمكن تعريفها على أنها مجموعة العناصر المرتبطة مع بعضها أو مجموعة المتغيرات (variables) المرتبطة، وتعمل بانتظام لتحقيق هدف محدد. وعليه فالمنظومة تقوم على عاملين وهما: الأشياء والعلاقة التي تربط بين تلك الأشياء. وتعرف المنظومة أيضا بأنها كيان مؤلف من عناصر عديدة ومتمدة بعضها مع بعض، وتكون عادة في حالة مستمرة من التأثير المتبادل أو التفاعل فيما بينها. انطلاقا من هذا الأسلوب المعقد في التفكير يمكن تقويض صحة المعرفة الاختزالية، وبالتالي كل تفكير يقوم على التعقيد هو تفكير قائم على الوصل والربط من خلال التحديدات السياقية.

2.3- المركب

يرى إدغار موران أن المعرفة السائدة حاليا هي المعرفة المجزأة حسب المواد، وغالبا ما تجعل المرء غير منتبه للروابط بين الأجزاء والكلية، وينبغي أن تحل محلها معرفة جديدة قادرة على إدراك الأشياء في سياقاتها⁽²²⁾، إن المعرفة المعاصرة تضعنا أمام تحديات ما هو مركب، ومن ثم فهي منوطة بها إبراز تلك العلاقة بين الوحدة والتعدد، وحيث ما تم وصل مختلف العناصر المكونة للكل من اقتصادية وسياسية واجتماعية ونفسية ووجدانية كان هناك مركبا. من هنا، كان من اللازم على المعرفة مواجهة ما هو مركب⁽²³⁾. وباعتبار هذا المركب تلك العلاقة بين الواحد والمتعدد، والذي يتحقق من خلال ربط العناصر المكونة للكل وفق علاقة التفاعل، ينبغي أن يعوض الفكر القائم على الفصل بين الأشياء واختزالها.

من مهام الفكر المعقد اليوم - كما يتصوره إدغار موران - إعادة صياغة العالم وكسر الهويات الجاهزة أو النموذجية له، فضلا عن التوسل بمنهج جديد يناهض المناهج الكلاسيكية التي قدمت لنا الفيزياء والبيولوجيا والانثروبولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع والآداب الإنسانية مجزوءة، في الوقت الذي وجب فيه أن تطرحها بصيغة التعقيد، بوصفه جملة من الأحداث والتفاعلات والارتدادات والمصادفات وردود الأفعال والتحديات التي تحكم المعارف وحياتنا، وتتيح فرصة فهم عميق لها يتحدى اليقين وينظر إلى العالم من زوايا متعددة⁽²⁴⁾.

إن المركب يدعونا إلى التفكير فيما يمكن أن نسميه "الانبثاق" أو "الانبثاقية" (L'émergence) حيث تكون العلاقة بين أجزاء المنظومة والكل علاقة دائرية كل يؤثر في الآخر ويتأثر به، «الكل هو نوعا ما متضمن في

الجزء الذي هو بدوره متضمن في الكل. هذا التنظيم المعقد للكل يستدعي كتابة الكل في كل جزء من أجزائه مع أنها فريدة؛ وهكذا يقتضي التعقيد التنظيمي للكل التعقيد التنظيمي للأجزاء، وهذا التعقيد يقتضي بشكل متواتر التعقيد التنظيمي للكل. لكل جزء من الأجزاء فرادته بيد أنها ليست مجرد عناصر للكل؛ إنها كليات صغرى افتراضية»⁽²⁵⁾.

3.3- الشمولي

الشمولي (Le global) هو أكثر من السياق من حيث هو المجموع الذي يربط أجزاء مختلفة إما بعلاقة ارتدادية أو تنظيمية، فنجد في الكائن البشري وفي كل كائن حي ميزة حضور الكل داخل الأجزاء، إن الخلية تحمل مجموع المورثات الجينية للعضوية المتعددة الخلايا، وكل فرد يحمل المجتمع في مجموعه (معرفة ولغته وواجباته وضوابطه)⁽²⁶⁾. وبالتالي فالشمولي لا يعني سوى تلك العلاقة بين الكل وأجزائه. إن معرفة الكل لا تتطلب معرفة العناصر التي يتشكل منها فحسب، وإنما أيضا الأفعال والاستجابات التي تحدث باستمرار بين الأجزاء والكل.

3.4- المتعدد الأبعاد

كل ما هو مركب هو بالضرورة متعدد في أبعاده (Le multidimensionnel)، وعلى المعرفة أن تعترف بهذا التعدد في الأبعاد وتراعيه. فالكائن البشري ليس هو فقط جانب بيولوجي، أو نفسي، أو اجتماعي، أو عقلي، بل هو كل ذلك معا. ولا يقتصر بُعد المجتمع على التاريخ، أو الاقتصاد، أو الدين، وإنما هو كل تلك الأبعاد مجتمعة. من هنا يستحيل ليس فقط فصل الجزء عن الكل وإنما فصل الأجزاء عن بعضها. فالبعد الاقتصادي مثلا يحمل في طياته كل الأبعاد الأخرى؛ حاجات ورغبات إنسانية تتجاوز حدود ما هو اقتصادي المحض⁽²⁷⁾. إن الاعتراف بتعدد أبعاد ظاهرة المعرفة وتعقيدها يتطلب في الآن نفسه الانتباه إلى التعقيدات والتشابكات وردود الأفعال التي تنتج المعرفة، بل وينبغي النظر أيضا إلى المفارقات والتناقضات التي تواجه هذه المعرفة. ويتطلب هذا كله - في نظر موران - فكر مركب يستطيع معالجة التشابكات والمفارقات وتعدد الأبعاد، مما يستلزم بدوره فكرا علميا تفاعليا حواريا هولوغراميا، يمكنه إقامة تواصل ضروريا بين مختلف الحقول المعرفية.

خاتمة

نصل في النهاية إلى أنه بات من الضروري القيام بإصلاح فكري، بهدف تنظيم المعرفة، من أجل أن تحافظ على السياق والشمولي والمتعدد الأبعاد، وهي المهمة التي تصدى لها إدغار موران منذ منتصف خمسينيات القرن الماضي، وذلك من خلال بلورته لخطاب فلسفي جديد حول المعرفة العلمية غير اختزالي يراعي التعقيد والتركيب والشمولي والمتعدد الأبعاد. وبالتالي نستطيع القول إن ابستمولوجيا التعقيد عند إدغار موران لم تكن سوى تطوير لأسس نظرية المعرفة بإدخال عنصر التعقيد في صلب هذه المنظومة المعرفية، وبالدراسة النقدية لعملية بناء وتنظيم المعرفة العلمية، ومن هنا كان اقتراح نموذج معرفي يستند إلى التعقيد، حيث يعطي هذا النموذج الإطار الإرشادي والنظري والتوجيهي والمنهجي لعملية إنتاج المعرفة.

الهوامش

- 1- واعر آسيا، (2022)، إدغار موران وسؤال البيئة، ضمن الكتاب الجماعي: إدغار موران: المفكر المتعدد وفيلسوف الراهن، دار الأيام للنشر والتوزيع، الأردن، ص 108.
- 2- إدغار موران، (2016)، تعليم الحياة: بيان لتغيير التربية، تر: الطاهر بن يحيى، بيروت، ط 1، منشورات ضفاف، ص 109.

- 3- إدغار موران، (2012)، المنهج: معرفة المعرفة: أنثروبولوجيا المعرفة، ترجمة جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص 344 - 345.
- 4- داود خليفة، (2021)، إدغار موران: أزمة المعرفة والحلول، مجلة أبعاد، المجلد 8، العدد 1، منشورات مختبر الأبعاد القيمية للتحويلات الفكرية والسياسية بالجزائر، جامعة وهران 2، ص 17.
- 5- إدغار موران، (2012)، هل نسير إلى الهاوية؟، تر: عبد الرحيم حزل، د ط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ص 60.
- 6- Edgar Morin, (1999), Les sept savoirs nécessaires à l'éducation du futur, Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture (UNESCO), Paris, p4.
- 7- إدغار موران، حوار لمجلة علوم إنسانية الفرنسية، ترجمة: عمر بيشو، مجلة فكر ونقد (الالكترونية)، على الرابط: http://www.aljabriabed.net/n89_09bichou.htm
- 8- إدغار موران، (2012)، المنهج: الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها، وتنظيمها، تر: جمال شحيد، ط 1، المنظمة العربية للترجمة - مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 300.
- 9- إدغار موران، (2002)، تربية المستقبل: المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، تر: عزيز لزرق - منير الحجوجي، دار توبقال للنشر، ط 1، الدار البيضاء، ص 21.
- 10- إدغار موران، تعليم الحياة: بيان لتغيير التربية، مرجع سابق، ص 95.
- 11- المرجع نفسه، ص 24.
- 12- انظر: Edgar Morin, (1991), La méthode: Les idées: Leur habitat, leur vie, leurs moeurs, leur organisation, éditions du Seuil, Paris, p18.
- 13- Edgar Morin, (1999), Les sept savoirs nécessaires à l'éducation du futur, op, cit, p18.
- 14- إدغار موران، (2012)، المنهج: معرفة المعرفة: أنثروبولوجيا المعرفة، مرجع سابق، ص 24.
- 15- Edgar Morin, La méthode: Les idées: Leur habitat, leur vie, leurs moeurs, leur organisation, op, cit, p19.
- 16- انظر: إدغار موران، (2015)، أزمة المعرفة: عندما يفتقر الغرب إلى فن العيش، تر: جاد مقدسي، مجلة الاستغراب، العدد 1، السنة الأولى، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، ص 59.
- 17- Edgar Morin & Jeans Louis le Moigne, (1999), l'intelligence de la complexité, éditions l'Harmattan, Paris, (édition numérique), 1999, p53.
- 18- Edgar Morin, Les sept savoirs nécessaires à l'éducation du futur, op, cit, p19.
- 19- Ghislane Cleret De Langavant, (2001), bioéthique: méthode et complexité, Presses de l'universitaire de Québec, Canada, p3.
- 20- انظر: Edgar Morin, Les sept savoirs nécessaires à l'éducation du futur, op, cit, p 18.
- 21- إدغار موران، تربية المستقبل، مرجع سابق، ص 35.
- 22- إدغار موران، (2016)، تعليم الحياة: بيان لتغيير التربية، مرجع سابق، ص 96.
- 23- المرجع نفسه، ص 37 - 38.
- 24- خديجة زيتلي، (2021)، إدغار موران: الفكر المعقد/المركب والفكر الشامل، موقع كوة الإلكتروني، على الرابط: <https://couua.com/2021/05/29>
- 25- إدغار موران، المنهج: الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها، وتنظيمها، مرجع سابق، ص 153.
- 26- إدغار موران، تربية المستقبل، ص 36 - 37.
- 27- المرجع نفسه، ص 37.
- قائمة المصادر والمراجع
- أولاً: المراجع العربية
- إدغار موران، (2002)، تربية المستقبل: المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، تر: عزيز لزرق - منير الحجوجي، دار توبقال للنشر، ط 1، الدار البيضاء.

1. إدغار موران، (2012)، المنهج: معرفة المعرفة: أنثروبولوجيا المعرفة، ترجمة جمال شحيد، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
2. إدغار موران، (2012)، هل نسير إلى الهاوية؟، تر: عبد الرحيم حزل، دط، أفريقيا، الشرفالدار البيضاء.
3. إدغار موران، (2015)، أزمة المعرفة: عندما يفتقر الغرب إلى فن العيش، تر: جاد مقدسي، مجلة الاستغراب، العدد 1، السنة الأولى، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية.
4. إدغار موران، (2016)، تعليم الحياة: بيان لتغيير التربية، تر: الطاهر بن يحيى، ط 1، منشورات ضفاف، بيروت.
5. إدغار موران، (2012)، المنهج: الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها، وتنظيمها، تر: جمال شحيد، ط 1، المنظمة العربية للترجمة - مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
6. إدغار موران، حوار لمجلة علوم إنسانية الفرنسية، ترجمة: عمر بيشو، مجلة فكر ونقد (الالكترونية)، على الرابط: http://www.aljabriabed.net/n89_09bichou.htm
7. خديجة زيتلي، (2021)، إدغار موران: الفكر المعقد/المركب والفكر الشامل، موقع كوة الإلكتروني، على الرابط: <https://couua.com/2021/05/29>
8. داود خليفة، (2021)، إدغار موران: أزمة المعرفة والحلول، مجلة أبعاد، المجلد 8، العدد 1، منشورات مختبر الأبعاد القيمية للتحولات الفكرية والسياسية بالجزائر، جامعة وهران 2.
9. واعر آسيا، (2022)، إدغار موران وسؤال البيئة، ضمن الكتاب الجماعي: إدغار موران: المفكر المتعدد وفيلسوف الراهن، دار الأيام للنشر والتوزيع، الأردن.

ثانياً: المراجع الأجنبية

1. Edgar Morin, (1999), Les sept savoirs nécessaires à l'éducation du futur, Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture (UNESCO), Paris.
2. Edgar Morin, (1991), La méthode: Les idées: Leur habitat, leur vie, leurs moeurs, leur organisation, éditions du Seuil, Paris.
3. Edgar Morin & Jean Louis le Moigne, (1999), l'intelligence de la complexité, éditions l'Harmattan, Paris, (édition numérique), Paris.
4. Ghislane Cleret De Langavant, (2001), bioéthique: méthode et complexité, Presses de l'universitaire de Québec, Canada.

أخلاقيات المحبة والسعادة وميلاد الإنسانية الجديدة عند لوك فيري

عامر حفيظة⁽¹⁾ د. محمد عفيان⁽²⁾

1- جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة, haphilo.am@gmail.com

2- جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة, mohamed.afain@univ-saida.dz

تاريخ القبول: 2022/11/02

تاريخ المراجعة: 2022/10/24

تاريخ الإيداع: 2022/07/22

ملخص

تُعتبر المحبة ثورة روحية أو الحدث الأكثر ثورية في تاريخ البشرية، وأصبحت في الفكر المعاصر ضرباً من النزعة الإنسانية، وهو ما تحدّد في فلسفة لوك فيري (*Luc ferry 1952*)، إذ يبدو الحب كمفهوم إتيقي يُشير إلى الإنسانية الجديدة التي تجسدت معالمها في ظهور المحبة كدين جديد وتأليه الإنسان وجعله مركز الكون، والتي من خلالها تسعى إلى بلوغ السعادة والخلّاص من المخاوف وتحقيق الحياة الطيبة والهادئة وإعطائها معنى رغم السير المحتوم نحو الموت، وذلك تجاوزاً لعبثية الحياة وآلامها ومُنغصاتهما ومدّ جسور التآخي والتآزر والتعاطف واحتواء الآخر والإحسان إليه من أجل العيش المشترك.

الكلمات المفتاحية: ثورة محبة، خلّاص، سعادة، إنسانية، أخلاقيات، حياة طيبة.

The ethics of love, happiness and the birth of the new humanity at Luc Ferry

Abstract

Love is considered a spiritual revolution or the most revolutionary event in the history of humanity, and in contemporary thought has become a form of humanism, as defined in the philosophy of Luc Ferry, where love seems to be a concept of survival that refers to the new humanity that embodied its characteristics in the emergence of love as a new religion and the deification of man and made it the center of man. of the universe, through which he seeks to attain happiness and salvation from fears and to attain a good and calm life and to give it meaning despite the inevitable march towards death, in order to overcome the absurdity of life and its pain. Its branches, the extension of bridges of fraternity, synergy, compassion, containment and charity for coexistence.

Keywords: Revolution of love, salvation, happiness, humanity, ethics, the good life.

L'éthique de l'amour, du bonheur et la naissance de la nouvelle humanité chez Luc Ferry

Résumé

L'amour est considéré comme une révolution spirituelle ou l'événement le plus révolutionnaire de l'histoire de l'humanité, et dans la pensée contemporaine est devenu une forme d'humanisme, tel que défini dans la philosophie de Luc Ferry. L'amour semble être un concept de survie qui se réfère à l'humanité moderne incarnant ses caractéristiques en tant que nouvelle religion de la déification de l'homme qui en a fait le centre de l'univers, grâce auquel il cherche à atteindre le bonheur et le salut malgré la marche inévitable vers la mort, afin de surmonter l'absurdité de la vie et sa douleur et établir des ponts de fraternité, de synergie, de compassion, d'endiguement et de charité pour la coexistence.

Mots-clés : révolution de l'amour, du salut, bonheur, humanité, éthique, bonne vie.

المؤلف المرسل: عامر حفيظة, haphilo.am@mail.com

توطئة (مقدمة):

إن باب القلب هو ميلاد ثورة جديدة في فلسفة لوك فيري (Luc ferry) 1952 - جوهرها المحبة التي تسعى إلى ترسيخ قيم إنسانية جديدة أراد منها لوك فيري أن تقرّب الذات وتتجاوز الهوة بين الأنا والآخر، حتى تكون المحبة سلوكاً جديداً يكسو الحداثة بثوب السعادة من أجل حياة رغيدة، وهذا تماشياً مع مبدأ السعادة الموروثة اليوناني وتأويلاته المعاصرة عند لوك فيري من أجل بلوغ حكمة الحياة، وهو ما نحاول الإجابة عليه في سؤال المحبة وأخلاقياتها عند فيري، ونقف عند علاقة المحبة في الإنسانية الجديدة، التي معالمها هي من تطلعات فلسفة ما بعد الحداثة في قراءتها للرغبة والذات والقلب، وهذه المتغيرات هي أساس فلسفة المحبة عند فيري الذي سعى إلى توضيح كيفية تأسيس ثورة المحبة وتجسيد أخلاقياتها، فإلى أي مدى يمكن أن تحقق ثورة المحبة للعيش مع ومن أجل الآخرين حياة رغيدة؟ هذا نطمح إلى تبيانها في معنى حكمة الحياة ومستقبل السعادة والإنسان وشروط ميلاد مجتمع روحه وأخلاقياته تقوم على المحبة في أبعادها القدسية والإنسانية والاجتماعية والفلسفية من خلال فلسفة لوك فيري عن المحبة والسعادة.

1- ماهية المحبة

لقد اختلف الفلاسفة والمفكرون وعلماء النفس في فهم معنى الحب، بل بات من الصعب الاتفاق على تعريف واحد لماهيته وحصر معانيه، وتحديد دقيق لهذه العاطفة الإنسانية وأشكالها وأنواعها وامتدادها في الفلسفات المختلفة، وصلاتها بالنوازع والأهواء النفسية والرغبة تارة، والقيم الأخلاقية والأعراف الدينية تارة أخرى، فليس من شك في أن الحب: "فضيلة إيجابية، وإن كانت كلمة حب تدل على دلالة عاطفية أو وجدانية، إلا أنها في الأصل ميل إيجابي ونزوع عملي يتجلى في تحويل الاهتمام من (الأنا) إلى (الأنثى) وبالتالي الحب أولاً هو نية واتجاه وسلوك" (1).

ولوك فيري هو أحد الفلاسفة الجدد في الفلسفة الفرنسية المعاصرة الذين أحدثوا تحولاً عميقاً في الأوساط الفلسفية من خلال طرحه لخطاب فلسفي يتسم بالبساطة في تحليل القضايا الراهنة التي تشغل الإنسان المعاصر، وهي قضايا من صميم المجتمع كالمحبة التي أخذت بعداً أخلاقياً عند فيري، باحثاً عن سبل النجاة وحقيقة العيش في تناغم ومنح مشروعية للقيم الأخلاقية. فقد ربط فيري المحبة في فلسفته بالخلاص حيث أنها (المحبة) في ظل الإنسانية الجديدة بمثابة ثورة تسعى للخلاص وتبحث عن سبله وهذا ما يعطي لحياتنا معنى فالحب بهذا التوجه إنما هو مكرس لخدمة الفرد والمجتمع معاً.

فحسب لوك فيري luc ferry لفظ الحب لفظ ملتبس، حيث أنه يشمل ضروباً من الواقع مختلفة لذلك وجب التحديد، لننطلق إذن من القديم للقبض بكيفية جيدة على الجديد، أي بالنسبة لنا من العهد الهيلينستي القديم، إننا نعرف أن اللغة اليونانية كانت تتوفر على ثلاثة أسماء للإشارة إلى الحب إيروس Eros، فيليا philia، وأغابي Agape (2)، وقد تساءل فيري إن كان الأمر يتعلق بالثلاثة معاً إيروس، فيليا، أغابي وحدد بأن الإجابة عن ذلك تحيلنا إلى القول بأنها مسألة فلسفية تستدعي منا تحديداً دقيقاً لهذه المفاهيم، وتبيين تعريفه للحب إن كان إيروسفهو "الحب التملكي والغيور الذي يأخذ ويستهلك، والحب إن كان فيليا فهو الذي يبتهج بمجرد وجود الآخر، أما إن كان الحب أغابي فهو الحب الذي يُعطي مجاناً دون أن ينتظر أيّ مقابل ويمكن أن يتسع ليشمل حتى العدو" (3)، وبهذا أخذ الحب عبر العصور أشكالاً وأنماطاً تحمل معاني عدة فالإيروسا ترتبط بالافتقاد والرغبة في التملك، وفيليا تعبر عن الولاء والتقدير، وأغابي ارتبطت بالإيثار.

أشار لوك فيري إلى الوجه المتعالي للحب حيث عندما يتحدث عن الحب يشير إلى أنه شكل جديد للتعالي " إذ يفتح لنا الحب على كل حال تجربة ما نسميه مع هوسرل 1859-1938 (Edmund Husserl) التعالي في محايثة الحياة أي أنه يُعطى بعداً مقدساً للمعيش ذاته. ينبغي القيام بما يمكن تسميته وصفاً فينومينولوجياً (ظاهراتياً) للحب وللكيفية التي بها يُتيح لنا تجربة لتعالي الآخر نعيشها في النهاية في محايثة حياتنا الفعلية، وبالتالي تكون خالية من وهم ميتافيزيقي، فالحب يفرض نفسه كبعد من أبعاد المطلق والمقدس في صميم جواز وجودنا بالذات والدليل على ذلك أننا نستعد لكل شيء من أجل من نحبهم" (4). والحب فعلٌ من أفعال التجاوز أو التعالي، لأنه ينطوي على عملية امتداد أو توسيع للخبرة الذاتية والوجدان الشخصي، مادام من شأنه أن يفتح أمام الذات عالم الآخر، بما فيه من خبرات ومشاعر، وقيم، ومثلٌ عليا" (5)؛ إذ المحبة كقيمة إنسانية تتجاوز الذات من أجل الآخر، أي تحول اهتمام الإنسان من الأنا إلى الغير، كما أن هذه المحبة تحقق قيماً ذات أبعاد روحية بما يتيح معايشة تجربة وجودية متكاملة وأصيلة. أما عن تمثلاتها في فلسفة لوك فيري فيمكننا الإشارة إليها في مجموعة من العناصر تكون كالتالي:

1-1 الخلاص وطرائقه

إن أهم مشكلة شغلت الإنسان وأرقته هي نهاية الحياة وحتمية الموت ولكي يتخلص من المخاوف لابد أن يحب فالحب في نظر فيري قد "يصير مفتاح الخلاص وليس أي حب كان، إنه كما يدعوه الفلاسفة المسيحيون حب الله كيف يساعدنا للوصول إلى الخلاص؟ وكيف نتخلص من مخافة الموت؟ الحب أقوى من الموت" (6). وهناك ثلاثة وجوه للحب تشكل فيما بينها نسقا متماسكا: الحب التعلق، حب القريب* أو ما نسميه الرأفة، وهناك الحب في الله وهو وحده المصدر الأخير للخلاص، وهو وحده في نظر المسيحية أقوى من الموت، وينتقد أوغسطين (St-Augustine) 354-430- الذين يدفعهم الحب إلى التعلق بكائنات فانية: إنكم تفتشون عن حياة سعيدة في منطقة الموت لن تجدوها فيها أبداً لأنه كيف يمكن إيجاد حياة سعيدة هناك حيث لا توجد حياة" (7)، إن ما يحول دون العيش الهنيء هو الموت ولكن مجرد التفكير في ذلك يقوّي الحياة ويعززها، وإن كانت الفلسفة تعد الإنسان بالخلّاص بواسطة الذات فإن الأديان تعدّه بالخلّاص بواسطة إله، ويبين فيري أن ما يمنع الإنسان من تحقيق السعادة هو الخوف من الموت لكن تحول الخوف من الموت إلى أمل بالخلّاص يتم عبر الإيمان.

إن نفس الإنسان لا تعيش الهدوء والطمأنينة بفعل تهديد فكرة الموت والسير المحتوم نحو الفناء إلا إذا اجتمعت أربعة شروط، وأكد فيري ذلك في فكرته " أنه لكي ننجح في أن نكون سعداء بالرغم من الموت، ليس موتنا فحسب لكن موت من نحب، لابد أن تجتمع أربعة شروط، وتتحقق معا كما بين ذلك الفيلسوف المسيحي دوني مورو (Moreau Denis) 1967-....- بامتياز وهي: ألا يكون الموت هو النهاية، وأن تستمر الهوية الشخصية بعد الوفاة، وأن يكون ثمة اختلاف بين هينتنا التي نحن عليها الآن وبين الشكل الذي سنكون عليه بعد الموت، وأن يكون من المأمول أن تستمر حياتنا الأخرى بعد الموت في ظل ظروف سعيدة نسبياً بل سعيدة جداً" (8)، وبهذا يمكن للإنسان أن يتجاوز فكرة الخوف من الموت طمعا في عيش حياة أبدية؛ أي العبور من الفناء إلى الخلود إما عن طريق الحب أو الإيمان.

1-2 أقول المثل وميلاد المحبة كقيمة عليا

لا يمكن إنكار تراجع المثل التقليدية وضعفها، إذ لم يصبح بإمكان الإنسان التضحية في سبيل الوطن أو الثورة، ولم تعد هذه القيم تستهويه فعدّل عنها ولم يبق سوى الحب كقيمة مثلى وهو ما أكدّه فيري بقوله: "إن الحب

قيمة في تزايد مقارنة بالقيم التقليدية (الدينية منها والأخلاقية والوطنية والثورية)، التي فقدت بريقها وقوتها في الجذب، بحيث يبدو الحب بشكل ما هو القيمة الوحيدة في تزايد، فالتضحية من أجل الإله أو الوطن أو الثورة تراجعت في المقابل نكون مستعدين للتضحية بأنفسنا من أجل من نحبهم ليس سعياً وراء لذة التضحية وإنما حياتهم في خطر⁽⁹⁾، هذا يشير إلى تراجع المثل، أفولها، أي انهيار القيم التقليدية المبنية على ثلاثية الدين والأخلاق والوطن، كما أن "الاعتبارات الشخصية والخضوع للضغوط الاجتماعية التي تُمارس في المجتمعات التقليدية، تضعف أمام الاختيارات التي تملئها عاطفة الحب فيعلو شأن الحب أكثر من أي وقت مضى"⁽¹⁰⁾، وبهذا انتصر الحب بعد أن تفككت القيم التقليدية وتحرر الإنسان من كل الإكراهات وأسّس حياة مبنية على الاختيارات الفردية.

فلوك فيري من الفلاسفة التنويريين الذين أعادوا إحياء الفكر اليوناني والمحبة المسيحية التي تقودنا إلى محبة الله ومحبة الله تقودنا إلى محبة الآخر، وانهيار القيم التقليدية هي نفسها المثل التي أشار إليها فيري الدينية والوطنية والثورية وأصبح الحب قائماً على اختيارات فردية فعلاً شأنه وأصبح القيمة الوحيدة التي في تزايد، هذا ما نستنتج من أقوال لوك فيري وإن لم يجزم فيه بصورة قطعية.

إن المحبة قيمة أخلاقية باعتبارها أعلى الفضائل، وفي نظر فيري لوك الحب "هذا الشعور ليس واحداً من بين مشاعر أخرى يمكن مقارنته بالخوف والغضب والاستياء، بل إنه قد أصبح مبدأً ميتافيزيقياً جديداً إذ هو الذي يُعطي حياتنا معنى، وهو وحده قادر على إضفاء طابع مثالي على كل ما يمكن أن يكون محبوباً، في جميع الفرديات الإنسانية، مع إيجاد مثل جمعية جديدة، لأننا نريد أن نترك عالماً يمكن العيش فيه ويكون أكثر ما يمكن استقبالا لمن نحبهم، لأطفالنا وللأجيال القادمة"⁽¹¹⁾، فلحب دلالة ميتافيزيقية من حيث إنه يمثل قيمة في حد ذاته.

1-3- البعد المقدس للحب محاكاة للمحبة الشرقية عند فيري

بين لوك فيري أن أسطورة ترستان وإيزولد (Tristan and Isolde) مفادها أن الحب أقوى من الموت، وهي من جديد طريقة للقول بأن الحب يلعب دور المقدس الحقيقي الأبدى، بحسبه إن المسيحية من العقائد التي تُدرج عاطفة الحب في مجال السعادة الدائمة لكن ثمة شرط لتحقيق مثل هذه الغبطة ألا وهي ضرورة التحلي بالإيمان⁽¹²⁾، رغم المخاوف من الموت إلا أن الحب يُعطي دلالة جوهرية للحياة ويُقوّيها، وهذا الحب "يتحقق عند ارتباطه بفكرة الخلود شريطة أن يكون حبا في الله والمسيحية وحدها ترى أن الحب قادر على تحقيق السعادة ويرى "فيري" أنه لا يوجد حب سعيد لأن الحب يتطلب لا محالة تعلّقاً، وكلما كان هذا التعلّق قوياً كان الانفصال المحتوم عن المحبوب مؤلماً من هنا نفهم رسالة الحكمة القديمة (الرواقية والبوذية وحتى الطاوية) التي تنصح بقوة بعدم التعلّق"⁽¹³⁾، وبهذا فإن قيمة الحب متأتية من كونه يفرض نفسه كبعد من أبعاد المطلق والمقدس ويُعطينا دفعاً جديداً لتأسيس حياة طيبة.

إن الحب بدل أن يكون مشكلة كما هو لدى البوذيين والرواقيين (أن تحب يعني أن تحضر نفسك لأسوأ الآلام الموجودة) فإنه يصبح حلاً بالنسبة للمسيحية شرط أن لا يكون محصوراً بالله وحده بل شاملاً أيضاً لمخلوقات متميزة وأشخاص متميزين كذلك مع بقائه حبا في الله مرتبطاً به، فهناك رابط لا يُفكّ بين الحب وعقيدة الخلاص إذ إنه بواسطة الحب في الله، وفي الحب في الله يظهر المسيح إذ أمات فقيداً وجعل الجسد الفاني خالداً، هو الوحيد الذي يعدنا بأن حياتنا في الحب لا تنتهي مع الموت الأرضي، يقول لوك فيري عن ذلك إنه: ليس بإمكان

أحد أن يبقى دون إحساس أمام هذه الدعوة إلى الحب⁽¹⁴⁾، فالغاية من الحياة هو السعي وراء تحقيق السعادة، وهنا واضح أن الفلسفات الشرقية في معظمها اتفقت حول كيفية تحقيق الخلاص والظفر بالخلود.

وهناك بوذيون يُلحّن أكثر مما يفعل (الدلايلاما)* على أن محاربة التعلّق لا تقود إلى التخلي أو اللامبالاة وإنما إلى لا تعلّق لا يقصي الابتهاج بعيش الحياة، لكن العلاقات الأسرية وبالأخص علاقة الزواج المبنية على الحب جعلت الأفراد يتحررون من سلطة التقاليد التجمعية والدينية القديمة⁽¹⁵⁾، ويبين فيري أن "الزواج القروي يخلو من كل عاطفة وقد يكون بإمكان الحب أن يتولّد لاحقا عن الحياة المشتركة ولكن مجرد حبّ شديد التحفّظ لا يدين بأي شيء إلى الحبّ الهيام.

إنّ الحميمية في الزمن القديم لم تكن موجودة سواء عند عامة الشعب أو النخب في المدينة أو القرية كانت غالبية الأسر تعيش في غرفة واحدة الأمر الذي كان يقضي عمليا إمكانية قيام أي شكل من أشكال الحياة الخاصة مما يعني أن الحميمية لم تكن موضوع رغبة⁽¹⁶⁾، كما يدلّ على أن الحميمية موضوع حديث النشأة، وبين فيري "أنّ الحياة المشتركة هي مسألة عاطفة واختيار وأنها تتعلّق بقرارات فردية خاصة أي مسحوبة قدر ما يمكن من قبضة المجتمع الكلي"⁽¹⁷⁾، أي متجاوزة كل تقليد أو عرف قروي.

1-4- ثورة المحبة الرومنسية عند فيري

إنّ الحبّ الرومانسي أو العاطفي كما يُسمّيه لوك فيري يُعدّ بمثابة القاعدة الأساسية لكل زواج وأرتباط وأنّ الحياة الزوجية تجاوزت كل دلالة تمتّ بصلة إلى العصر الكلاسيكي حيث تُميّزها الحميمية التي كانت غائبة آنذاك "فلم تكن موجودة في الأسر البورجوازية كما في الأرستقراطية حتى ولو كان يمكن لوسائلها الاقتصادية أن تجعلها ممكنة، ولقد بيّن أرييس (Philippe-Ariès) من خلال تحليلاته لهندسة بناء البيوت النبيلة أو البورجوازية الكبرى، كيف أنّ الغرف العديدة مع ذلك لم تكن تشغل فيها أي وظيفة خاصة، وكانت تنفتح على بعضها البعض في اختلاط قد لا يمكن اليوم تحمّله، وما كان يُعيق الحبّ قديما هو أن المجتمع يسمح لنفسه بالتدخل في الحياة الأسرية بكيفية قد تبدو لنا غير قابلة للتصوّر، ومن بين علامات ذلك ممارسة اللغط والغوغاء التي بدت دراستها حاسمة لدى مؤرخي الأسرة"⁽¹⁸⁾.

وتحدّث لوك فيري عن الحبّ الأبوي "إذ يشكّل زواج المحبة الذي يختاره الأفراد والذي لم يعد يفرضه التقليد أحد أضمن شروط العاطفة التي تُحمّل للأطفال"⁽¹⁹⁾، أما الحبّ في العصر الحديث في نظر فيري "فسبب الانتقال من مجتمع مغلق ومترايب إلى مجتمع فرداني ومساواتي ازداد تقلّ الحنان والمحبة في العلاقات الشخصية"⁽²⁰⁾، فهو حبّاص طفاني عاطفي يميّز بالقرار الفردي الحر يتم فيه اختيار القرينات والرفاق، وقد بيّن فيري "أنّ المحدثين يرون أن خارج حالة العشق لا تستحق الحياة العاطفية أن تُعاش"⁽²¹⁾، وبهذا أصبح الحبّ في العصر الحديث يتصدّر هرمية القيم بعد ما كان ضباب العصور السابقة يحجبه.

إنّ ما يسمّيه لوك فيري ثورة المحبة هو انتقال المجتمع الأوروبي من الزواج القروي وهو من اختيار الآباء والأهل إلى زواج الحب، وفي حوار مع فيري طُرِح عليه سؤال إن كان الأمر يتعلّق بتفوق قيمة الحبّ على قيمة القانون داخل الأسر أجاب: "بالطبع لكن الحبّ بعيدا عن التسبّب في تفكيك القيم التقليدية قد يشكّل بالأحرى عاملا مهماً من أجل الاهتداء إلى قيم عظيمة بدافع الحبّ الذي يُكنّه الآباء لأولادهم ينتهي بهم الأمر إلى فهم أن التمسك ليس دائما في صالح فلذات أكبادهم، بل على العكس من ذلك أفضل خدمة يمكن تأديتها لهم في جعلهم يتشبعون بقيم عظيمة"⁽²²⁾.

كان لثورة الحب نتيجتان أساسيتان: "الأولى تقنين الطلاق (الأطفال يتألمون ولولاهم لكان من المحتمل أن تمر نسبة الطلاق من 60 % إلى 90%) أما الثانية: فتصاعد قوة الحب تجاه الأطفال (وهو إحساس لم يكن موجودا في العصر الوسيط)، لم يكن العزوف عن الحب تجاه الأطفال لأنهم كانوا يموتون في وقت مبكر فحسب، ولكنهم لم يكونوا يحظون بقدر كبير من الحب أما اليوم فإن موتهم هو يقينا أفظع شيء يمكن أن يحصل داخل الأسرة وهذا بالتأكيد أثر مباشر لزواج الحب"⁽²³⁾، فمن الواضح أن الحب عزز الروابط الاجتماعية وجعلها قوية بامتياز.

2- ماهية السعادة وحكمة الحياة عند فيري

شغل موضوع السعادة حيزا كبيرا في الكتابات الفلسفية بداية مع الفلسفات القديمة بالخصوص الأبيقورية، مروراً بالعصور الوسطى والحديثة وصولاً إلى الفلسفة المعاصرة وبالأخص التي تتحدّد مع الفلاسفة الجدد أبرزهم لوك فيري، ويتحدّث عن السعادة ويخصص لها كتاباً كاملاً تحت عنوان (مفارقات السعادة)* يحدّد من خلاله معنى السعادة ويذكر لنا أبرز الطرائق لتحصيل السعادة ويقول إنه: "يصعب كثيراً تحديد مفهوم السعادة بالرغم من رغبة كل إنسان أن يكون سعيداً، وما من شخص بوسعه أن يعبر في كلمات واضحة ومنطقية عما يرغبه ويريده، وهو يعجز عن تحديد ما يجعله فعلياً سعيداً بيقين تام مستمد من مبدأ بعينه"⁽²⁴⁾.

تعد السعادة في فلسفة لوك فيري مفهوماً يحمل في طياته العديد من المعاني "فكرة السعادة ذاتها جدلية تتعارض فيها الآراء فنحن ندرك بوضوح ما يجعلنا نساء لكن يصعب علينا تحديداً معرفة ما يسعدنا بالدرجة نفسها من الوضوح، كما أنه بإمكاننا أن نعيش حالات فرح وسكينة في حياتنا ولكن هذا لا يعني أن نحقق سعادة دائمة"⁽²⁵⁾، ويبيّن أندريه سبونفيل⁽²⁶⁾ (André comte-Sponville)-1952. في صيغة رواقية كما يرى لوك فيري أن الحكيم هو الذي يندم أقل ويأمل أقل ويحب أكثر، وأن نحب ما نملكه الآن أكثر من أن نتمنى ونأمل في ما لانملكه، إن السعادة في نظر فيري مؤقتة وهشة في الوقت ذاته⁽²⁷⁾، أي أنها متقلّبة متغيّرة هشة مرتبطة بأحوال الفرد وعلاقته بالآخرين.

وينقبّل لوك فيري في نصوص وأفكار الفلسفات القديمة والديانات بتتوّعها حتى يتحدّد لديه معنى السعادة وعليه فجميعنا يطلب اللذة وينفر من الألم، إذ اللذات أساس الحياة البشرية ولم تكن منفصلة عن الخير الأسمى لذلك راح لوك فيري يبحث عن إحياء اللذة اليونانية ويظهر ذلك جلياً في وصفه "إن في أغلب تعاليم الحكمة عند الأبيقوريين كما عند الرواقيين وأيضاً عند أرسطو وفي اليهودية والبوذية والطاوية تشغل فكرة السعادة مكاناً مركزياً عند التفكير في معنى الوجود، ولم يتغيّر هذا الوضع إلا مع ظهور المسيحية حيث صارت السعادة الدنيوية على الأرض، وليست في السماء أقل أهمية بكثير وتظل السعادة من دون شك هي الهدف من الوجود الإنساني وتظل الخير الأسمى"⁽²⁸⁾.

فالسعادة في فلسفة فيري هي الهدف من الحياة البشرية وحتى الحيوانية، والسعي لبلوغها هي الحكمة القصوى وهي تحتل مكاناً مركزياً عند التفكير في معنى الوجود، فنحن جميعاً ننشد الحياة السعيدة، لأجل ذلك رسم فيري طرائق لتحصيل السعادة، فهي في نظره ليست بعيدة المنال بالنسبة للبشر فقط بسبب طبيعتهم الفانية لكن رغباتنا ذاتها متناقضة ومتغيرة أيضاً، ويربط فيري بين الحب والسعادة ويتساءل عن دور الحب، لماذا يسعدنا الحب ويجعلنا نفيض فرحاً؟ ولماذا يتعسنا الحب ويغمرنا في اليأس؟ لاشيء يشبه الغبطة التي تبعثها أشكال الحب المختلفة والعشق، وكذلك علاقتنا التي تربطنا بأبنائنا والأفراح التي تسببها صداقة دائمة وهي أقل عاطفية من

حالة الحبّ لكنها أكثر متانة وهدوءاً⁽²⁹⁾، كما يشير فيري إلى أنّ ثمة سبعة أفعال هي التي ترشدنا لتحقيق السعادة⁽³⁰⁾:

- أن نحَبّ: (فنعيش سعادة الحب وتعاسته ونجعل الحب سعيدا قدر الإمكان).
 - أن نُعجب بشيء ما وأن نتعجب: (كيف يجعلنا الإعجاب سعداء).
 - أن نتحرر: (الحرية أم السعادة).
 - أن يتسع أفقنا: (لماذا تجعلنا رحابة الفكر سعداء؟).
 - أن نتعلّم وأن نبدع.
 - أن نبتكر: (معاونة وأفراح المعرفة).
 - أن نعمل: (لماذا العمل لأجل الغير يجعلنا سعداء؟).
- إنّ هذه الخطابات المتعددة حول تحقيق السعادة تتميز بالتنوع لكنها متكاملة تفي بالغرض.

3- معنى الحياة عند فيري

يتجسّد معنى الحياة عند لوك فيري في ثنائية المحبة زائد السعادة وسؤال المعنى "واحد من تلك الأسئلة النادرة حيث كل كلمة تشكّل مشكلة، وإذا ما كان للحياة معنى، فقد يكون معنى نقوم نحن بمنحها إياه بفاعلية، وإذا كان معنى الحياة يكمن في الهدف المشترك للبشر فما يسعى إليه الجميع هو السعادة"⁽³¹⁾، ويتجسد معنى الحياة الطيبة أو الجيدة في نظر فيري في قوة عاطفية مثلى حيث إنّ "الحياة الطيبة هي حياة تؤدي بفضل الحبّ إلى الخلود، فالحبّ أقوى من الموت والحبّ وحده يحقق الخلاص ويفتح لنا السبيل إلى الأبدية، ننزع إلى العمل من أجل أولئك الذين نحبهم أقربائنا وأصدقائنا ونجهد في أن يكونوا سعداء، وإذا حاول آخرون أن يؤذوهم فإننا نتهمم بالأعداء، كما أنّ الزواج المبني على الحب واسع الأفق وخلق معنى جديدا لما هو جمعي وذلك بعيدا عن الدفع إلى الانكفاء الفردي على دائرة الحياة الخاصة"⁽³²⁾، نلمح في هذا النص دعوة صريحة إلى تقديس الحبّ فهو في نظر فيري قد أسهم في توسيع دائرة الحياة الجمعية.

أما عن سؤال المعنى الوجودي وصلته بالحب فإن لوك فيري يدفع بعمله الفكري نحو مصالحة بين الفلسفة التي هي بحث مستمر عن معاني السعادة وثورة المحبة التي من شأنها أن تعيد تأسيس منظومة التصورات والعلاقات بين الأفراد، ويرى أنّ هناك أربعة مبادئ تمحورت حول معنى الحياة الجميلة والحكمة: "الكوسموس، اللاهوت، الإنسانوي، التفكير"⁽³³⁾؛ هذه المبادئ يحاول من خلالها فيري في رحلته الفكرية أن يجيب عن سؤال المعنى في الوجود، وهو ما أشار إليه (محمد كزو) في مقاله (ثورة المحبة في الفلسفة) عن سؤال المعنى في الوجود أي أنّ الحياة تكتسب مسوغاً على أساس التضحية من أجل من نحَبّ، ويظلّ الحبّ إلى الأبد وتكون الحياة الطيبة بهذا المعنى حياة تؤدي بفضل الحبّ إلى الخلود"⁽³⁴⁾، إذ أنّ "الحبّ هو ما يمنح معنى لحياتنا لأنّه لا قيمة كبيرة لحياة لا حبّ فيها هكذا يغمرنا فقدان شخص نحبه، في البؤس الشديد، طالما لا يزال الحبّ الحقيقي أو المحتمل موجودا في هذه الحياة فهي لا تزال تستحق أن تعاش"⁽³⁵⁾، إنّ عاطفة الحبّ هذا الشعور الفريد للغاية يلعب الدور المركزي للإجابة عن سؤال معنى الحياة ويؤكد فيري على قيمته بالنسبة للحياة.

3-1- الأمل ومستقبل المحبة عند فيري

إنّ ما يحول دون بلوغ حياة جيدة هما أمران يفسدان الوجود ويثقلانه ويحولان دون العيش الهنيء وسماهما لوك فيري بالشرّين: "إنّ الشرّين اللذين ينغصان وجودنا هما الحنين إلى الماضي (الذي لم يعد موجودا) وانتظار

المستقبل (الذي لم يوجد بعد) ونحن نفوت علينا بطريقة عبثية الحياة كما هي: إنه واقع اللحظة التي علينا أخيراً تعلّم حبها كما هي، ويبقى أن لكل إنسان حسبما يريد ذكرى واحدة من تلك اللحظات السعيدة، حيث نشعر أن الواقع ليس بحاجة للتغيير أو التحسين عن طريق بذل الجهد والعمل بل لأن نتذوقه كما هو في اللحظة دون الانشغال بالماضي أو المستقبل، في حالة من التأمل والتلذذ أكثر منّا حتى حالة من النضال الذي يحمله الأمل بأيام أفضل⁽³⁶⁾، فما يمنع الإنسان من العيش السعيد هو الحنين إلى الماضي والرغبة في استرجاعه والأمل في المستقبل والتطلع إليه، إنه لا أمل في العودة إلى الحياة أو الماضي ولا بد أن نتجاوز ذلك لعيش حياة هائلة. يربط لوك فيري ربطاً وثيقاً بين الحياة الطيبة والسعادة "فالسعادة لا تفتح في اللحظة الحاضرة على أرض البشر الفانين طريقاً نحو مملكة السماء ولكن الآلام الملازمة لوجودنا الأرضي هي ما تمنحنا فرصة الاستعداد لمثل هذه السعادة فرصة أن نجد سبيلنا للخلاص"⁽³⁷⁾.

يبدو أن الحياة تتأسس في حقيقة أمرها على عيش اللحظة الآتية وما يحول دون العيش الهنيء هو عاطفتا الحنين والرجاء "إن الحياة التي تستحق العيش، هي اللحظة الحاضرة وبدافع من الحكمة يحدّد "فيري" أن الصعوبتين الكبيرتين اللتين ستتقلان على الوجود البشري هما الحنين (الماضي) والرجاء (المستقبل) إذ هما يجعلاننا دائماً نخسر اللحظة الراهنة ويمنعاننا من العيش فيها بشكل كامل، وقد أصرّ (مارك أريل) على عيش اللحظة الراهنة نذكر بأن كل واحد منّا لا يعيش إلا في اللحظة الحاضرة أما الباقي فهو الماضي أو المستقبل المظلم"⁽³⁸⁾، وبهذا فالحنين والرجاء مصدران للشقاء والألم، لذا فالحياة الوحيدة الجديرة بأنّ تعاش الوحيدة الموجودة بكل بساطة هي تلك التي تجري أمامنا هنا والآن، كما يقول (تبييتي) فإنّ اللحظة الراهنة والشخص الموجود أمامي هما اللذان يهمان دائماً أكثر من شيء آخر، إنّ امتياز الوعي بالموت هو إعطاء معنى للحياة، وتذوق قربه يجعلنا نموت دون أسف"⁽³⁹⁾، فمن الواضح هنا أنّ وعي الإنسان بفنائهِ المحتوم والتفكير فيه يُضفي على الحياة معنى اليأس والخوف من الفناء، كما أنّ تحصيل السعادة مرهون بالانفصال عن هواجس الماضي والمستقبل دون أسى عن ما مضى وخوف مما هو آت.

3-2- المحبة والسعادة الأبدية

الحب ممارسة أو طريقة حياة، وليس حالة ذهنية منفصلة عن المشاعر الدافئة أو العلاقات الشخصية الحميمة، فهل يصلح الحب أن يكون معنى للحياة؟ إنّ الحب يُماثل السعادة من حيث إنه مصطلح رئيسي، وغاية في ذاته، وكما هي السعادة، يبدو الحب جزءاً من طبيعتنا"⁽⁴⁰⁾، يعتقد لوك فيري أنّ الفلسفة قد تمّ تصوّرها بوصفها محاولة لتعريف الحياة السعيدة، والحكمة التي تقود إليها، إنّها محاولة للإجابة عن السؤال الكبير المتعلق بمعنى الحياة بالنسبة للكائن المنذور للموت وهو ما أسماه الروحانية اللائكية (spiritualité laïque)، أو مذهب الخلاص بدون الإله أي نحن إذن أمام ما يمكن أن نسميه بفلسفة المعيش، تلك هي غاية الفلسفة وأقصى ما يمكن أن يطاله خطابها النظري، خلاص الإنسان بعيداً عن التعالي اللاهوتي والميتافيزيقي"⁽⁴¹⁾، إنّ التفلسف خلاص من المخاوف وتحرّر منها كذلك.

وقد تبلورت أفكار لوك فيري في القول "إنّ في الفلسفة ما يساعد على قهر المخاوف التي تشلّ الحياة، تعلّم الحياة، تعلم عدم الخوف عبثاً من مختلف أوجه الموت، وأتخطي ثقافة الحياة اليومية، والتغلب على المخاوف من خلال طرد وتدمير خوفنا من (الآشبيرون) - نهر في جهنم - والذي بتغلّغه في أعماق ذاتنا، يسمّم الحياة البشرية"⁽⁴²⁾ إنّ السير المحتوم نحو لحظة الفناء، وهو ما يمثّل الجهد المتصل المضطرب الذي تقوم به الحياة في

سبيلها إلى التحقق، فما بالنّا نتمرد على الموت الذي لولاه لما صارت الحياة حياة⁽⁴³⁾، فالفيلسوف هو الوحيد الذي لا يفكر في الموت لاشتغاله بالبحث عن الحقيقة وبلوغها، وفي الفلسفة ما يساعد على قهر المخاوف التي تحول دون السكينة والهدوء.

لقد تعددت الخطابات الفكرية حول فكرة الموت ومحاولة تجاوز مخاوفها وأهم هذه الخطابات، الخطاب الديني فنجد الأديان تعدنا أنّه "بإمكاننا عيش الحاضر كما هو بانتظار مستقبل أفضل، لأنّ تحولّ الخوف من الموت إلى أمل بالخلاص يتم عبر الإيمان وبفضل الله، وتدعونا الأديان لاتخاذ موقف يتلّخص بكامله في كلمتين: الثقة والخضوع، إنّ الحياة الجيدة هي تلك التي تحفظ الرابط الأكثر ثباتاً بالخلود"⁽⁴⁴⁾، معنى هذه الحياة يتحدّد في ما يقوله (الدلايلاما): "إنّه بتفكيركم في الموت وفي لا دوام الأشياء ستبدؤون في إعطاء معنى لحياتكم، إنّ التفكير في الموت وبالوعي المتواصل به تأخذ الحياة كامل معناها"⁽⁴⁵⁾، الإنسان بوعيه وتفكيره في تناهي حياته ومحدوديتها يُعطي معنى لحياته ويقوّيها.

4- معالم الإنسانية الجديدة وميلاد المحبة والحرية عند فيري

كان للفكر الإغريقي وقعه الخاص على الفلسفات المعاصرة ومن الواضح أنّ "للفلسفة عند أبيقور وظيفة علاجية في الأساس، وكان هدفه هو وضع فلسفة للحياة من شأنها أن تُتيح لنا التمتع بحياة سعيدة وهادئة خالية من الخوف، ولأبيقور حيثة لدى الإنسان وبين لأنّه وضع منهجاً لعيش حياة طيبة بمعزل تام عن أي شواغل بشأن الآلهة أو الكيانات فوق الطبيعة وأنّه يرى أنّ العدل يتمثل في التزامنا بالعقود والعهد التي نبرمها فيما بيننا، والتي مفادها ألا يؤذي أحداً الآخر، وقد أكد تأكيداً خاصاً على الصداقة وجودة الحياة"⁽⁴⁶⁾، على هذا الأساس أسس أبيقور حديقة للتعرف، فتكون بذلك الإنسانية هي محاكاة للأبيقورية.

إذا بحثنا في جذور الفلسفات فإننا نجد كلمة الإنسانية حملت ولا تزال تحمل مجموعة من المعاني، فهي تُشير في معناها الرّحب إلى منظومة فكرية تُعتبر فيها القيم والاهتمامات والكرامة الإنسانية ذات أهمية خاصة، وبهذا المعنى ربما يُصبح كل شخص منّا إنسانياً (حتى الدينيين)، إلّا أنّ المنضمين إلى لواء الإنسانية اليوم عادة ما يقصدون شيئاً أكثر تحديداً فهم لديهم رؤية للعالم من نوع لا يقبلها الجميع بالتأكيد⁽⁴⁷⁾.

كان للفكر التنويري أثر بالغ الأهمية في بزوغ الإنسانية بصورة جلية فقد تمحور حول مفهوم الذات باعتبارها حرية وإبداعاً عقلياً، فما كان للإنسية أن تظهر إلى الوجود لولا فكر التنوير كما حدّد مفهومه (ماكس هوركهايمر) 1895 1973 (Max-Horkheimer) و(ثيودور أدورنو) 1903/1969 (Theodor.W.Adorno) في كتابهما (جدل التنوير)⁽⁴⁸⁾: "بأنّه تعبيرٌ عن التقدم، وهدفه تحرير الإنسان من الخوف وجعله سيداً"⁽⁴⁹⁾، فقد استطاع العقل أن يتحرر من الفكر السكولائي وتعاليم الكنيسة إذ لم يعدّ العقل يستمد مشروعيته إلا من ذاته، وكانت هذه تباشير الحداثة التي أكدت على انتصار الذات⁽⁵⁰⁾، أما الإنسانية بحسب (أوجست كونت) 1798/1857 (August-Comte) فهي كائن جمعي (être collectif) يندمج فيه الأفراد اندماجاً عقلياً وخلقياً وتتفوّق فيها الغيرية على الأنانية⁽⁵¹⁾، هذه الإنسانية المشحونة "بأبعاد دلالية متشعبة وهي تأليه الإنسان وجعله مركز الكون"⁽⁵²⁾، ويدلّ على قدسية الإنسان واحترام كرامته، كما أنّها تجعله في مركز الاهتمامات وتُعطي من شأنه.

ومن معالم الإنسانية الجديدة عند لوك فيري ميلاد المحبة والحرية في الزواج والحب واختيار الشريك، فقد شهدت أوروبا تحولاً وانتقالاً من الزواج التقليدي إلى الزواج القائم على حرية اختيار الشريك حسب ما يُمليه منطق القلب دون الخضوع لأيّ ضغوط اجتماعية، ويؤكد فيري أنّ "معنى الحياة يقتضي قدراً كبيراً من القوة في التفكير،

والجراحة في الحرية، أي يكمن في قدرة المرء على اختيار مصيره وإعادة صنع ذاته باستمرار بفضل حريته وعقله⁽⁵³⁾، وهذه القيم والمبادئ يستلهمها العقل من ذاته إذ الإنسانية "هي التي جعلت من الإنسان مركز الفكر والوجود عبر تحرير ذاته وتأكيد آدميته"⁽⁵⁴⁾، كشف مشروع اختزال معنى الحياة في العقل والأخلاق، فأصبح من المُلح أن تُدرج من جديد في فهم الوجود الإنساني أبعاد أخرى ومحاولة تفكيك المثل المؤسسة على الدين، أو على المبادئ الإنسانية ذاتها⁽⁵⁵⁾، واستطاع الفرد أن يتحرر من القيود والإكراهات.

ففي إنسانية ما بعد التفكيك يبين فيري "أنه تمّ أنسنة المعنى من خلال تفكيك التعالي اعتباراً لأبعاد جديدة من الوجود الإنساني، ويرى لوك فيري أن الحبّ مبدأ جديد لمعنى الحياة، وقد سماها إنسانية ما بعد التفكيك، هذه الإنسانية الجديدة أعطت قيمة للحياة قائمة على الحبّ إذ هو الذي يُعطي لحياتنا معنى، وهو وحده قادر على إضفاء طابع مثالي على كل ما يمكن أن يكون محبوباً في جميع الفريديات الإنسانية مع إيجاد مثل جمعية جديدة"⁽⁵⁶⁾، ولا يحمل الإنسان في نفسه فريديته الخاصة فقط بل كل الإنسانية بكامل إمكاناتها وساد الاعتقاد بأن الإنسان عبر تطوير فريديته كاملة، استطاع أن يعيش إنسانيته الخاصة وتلك وسيلة الإنسانية كلها سيُشعر بالاتحاد مع الجميع لأنه قد أصبحت ذاته كاملة"⁽⁵⁷⁾، فمن الواضح أنه كان للتفكيكيين أثر بالغ الأهمية في ظهور الإنسانية الجديدة.

لقد أضحت المحبة في الإنسانية الجديدة بمثابة دين جديد، فعلى حد تعبير لوك فيري أن الحقبة الخامسة تميزت بظهور قيمٍ عليا من أجل عيش مشترك هذه القيم ليست مُقامة ضدّ الحياة وإنما هي تجربة إنسانية تجعلنا نحسّ هذا الشعور، إذ "تسعى قوة الحبّ إلى تأسيس الحياة الطيبة على شعور نحسّه مباشرة في بداهة المعيش، فالحبّ ليس مثلاً سماوياً نحاول فرضه على الحياة الدنيوية، بل على العكس هو التعبير عن الحياة ذاته، عن العالم الدنيوي، فنحن على استعداد لكل شيء من أجل الحبيب، مستعدون على كل حال لصنع الكثير، وهنا من الأكيد أن الأمر يتعلّق بتعالٍ، ولكنّه لأول مرة تعالٍ إنسانيّ صرف، روحانيّ وجسميّ في آن واحد"⁽⁵⁸⁾، وهنا تتخذ فكرة التضحية معنى متجاوزة حتى من نحبهم ومن هم أقرابنا، ولكنّها تعني على كل حال أشخاصاً أكثر مما تعني كائنات مجردة، فهناك تعالٍ يُعطي في النهاية معنى قوياً للحياة، ولم يعد متعالياً على الوجود الإنساني إذ الحبيب في الأرض وليس في السماء"⁽⁵⁹⁾.

أما عن تأليه الإنسان في إنسانية لوك فيري فمنذ أن وضع كانط 1804/1724 (Emmanuel-Kant) قاعدته الأخلاقية "أفعل الفعل بحيث تعامل الإنسانية في شخصك وفي شخص الآخرين غاية لا مجرد وسيلة"، أصبحت بمثابة النقطة النوعية لقدسية الإنسان واحترام كرامته، وينادي لوك فيري بميلاد الإنسانية الثانية ذات بلا هوية حيث تكون الحرية وليست الهوية وهنا تتجلى فكرة الإنسانية الجديدة حيث يصبح المقدّس هو الإنسان في محاولة تأليه الإنسان وأنسنة الإله فنجد "فيري" يعود إلى أفكار إيمانويل كانط وفكرة العقد الاجتماعي وفريدريك نيتشه 1900/1844 (Friedrich-Nietzsche) ومارتن هايدغر 1976/1889 (Martin-Heidegger) في ترسيخ معنى إنسانية بلا قصد ولا معنى في مسيرة الإنسانية وتاريخها التراجمي والمأساوي وهي نفس فكرة الديالكتيك عند "ريموند أرون"⁽⁶⁰⁾ (Raymond-Aron) 1983/1905، يؤكد لوك فيري ذلك بقوله: "إننا لانفتأ نشاهد تأليها للإنسان بطيئاً ومحتوماً مرتبطاً بهذه النشأة للحبّ الحديث الذي علّمنا مؤرخو العقلية مؤخراً كيف نقرأ تميزه"⁽⁶¹⁾.

التفكير أعطى للكائن البشري مزيداً من الاستقلالية وحرية أكثر لصنع مصيره واختيار أشكال الحياة التي تناسبه، وحسب فيري يحدث التفكير أمام أعيننا انقلاباً على ذاته وإعادة بناء القيم الشخصية والجمعية المؤسسة على الحب بما هو المصدر الوحيد للمثل والمحيث تماماً لوجودنا والذي يفلت هذ السبب من مطرقة الظن⁽⁶²⁾. وفي الأخير يمكننا القول إن فلسفة الفكر المعاصر يفترضون على نحو ما أن هذا العصر يتسم بالمحبة والتآخي والتعاطف ويدعو إلى تأليه الإنسان واحترام كرامته وهي نظرة مفردة بافتراضهم أن المجتمع ومنظومته الأخلاقية يكون بتفكيرك وتجاوز المثل والمبادئ الدينية لكنهم لم يتقنوا إلى أنها دعوة إلى بتر المنظومة الأخلاقية من أدق ركائزها.

كما أنهم يعتقدون أن الإنسان بإمكانه تحقيق السعادة ولكن الحياة لا تخلو من اليأس، ويؤكد فيري أنه "ليس الأمل والرجاء وإنما اللأمل بالمعنى الدقيق هو الذي يشكل شرط سعادة حقيقية، وبكفي للتقن من ذلك التفكير لحظة في مايلي: "أن نأمل هو أن نرغب دون تمتع، ولا معرفة، ولا قدرة، لماذا ينبغي في مثل هذه الشروط الدخول في الأمل؟ إنه قد يكون من الملائم الهروب منه كما من جهنم إذا صدقنا هذه الحكمة الهندية للقرن الخامس عشر: إن اليأس سعيد لأن الأمل هو أكبر الآلام، واليأس هو أكبر غبطة وسعادة، فالحكيم هو من عرف كيف ينسلخ عن العالم ويبلغ حالة اللاتعليق، وإذا بقي ثمة أمل ما، فهو أمل الوصول ذات يوم بالصبر والتمرين إلى غبطة اليأس⁽⁶⁵⁾، لنخلص إلى أن الأمل ماهو إلا يوتوبيا للمحبة أو نظرة طوباوية، إن من يمارس تعاليم بوذا يفكر كل يوم في الموت وفي آلام البشر كما في عذابات الولادة والشيخوخة والمرض والموت إنه كما لو كان يموت ذهنياً كل يوم ويسبب ألفته معه أو أثراً للسعادة⁽⁶⁶⁾، إن عقد الأمل على بلوغ مصير لا يمكن الوصول إليه يعد مجرد يوتوبيات.

خاتمة

صفوة القول يتبين لنا أن الحكمة التي تعلمنا إيّاها الفلسفة هي عيش حياة طيبة، وأن الحياة البشرية تكون أيضاً حياة سعيدة باعتبار السعادة مطلباً رئيسياً في الحياة الإنسانية، والحكمة التي أوصت بها الرواقية والبوذية بحسب فيري أن ما يمنع الإنسان من بلوغ حياة جيدة وما يحول دون العيش السعيد هما شران يتحددان في الماضي غير الموجود والمستقبل الذي لم يوجد بعد، والهروب من ثقلهما، ويمثل الحب الدلالة الجوهرية للحياة الطيبة وهو أقوى من الموت، ولكن بالتفكير في الموت والوعي بوجوده باعتباره السير المحتوم نحو الفناء تأخذ الحياة كامل معناها.

أعطت الإنسانية الجديدة معنى للحياة القائمة على المحبة والتعاطف والعناية بالآخر باعتبارهما القاعدة الأخلاقية الأساسية لتصرفاتنا في الحياة، وما يميز الحياة الطيبة في منظور الإنسانية الجديدة هو ميلاد المحبة والحرية فالمرء له القدرة على اختيار مصيره وصنع ذاته، إن الإنسانية الجديدة أعلنت من قيمة الإنسان وألّهته وجعلته مركز الكون من خلال تفكير المثل الميتافيزيقية وتحطيم الأوثان والإيديولوجيات.

- الاحالات والهوامش

- 1- عبد الله موسى، (2010) مفهوم الحب والكراهية بين النص الفلسفي والنص الصوفي، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد 10، ص 128.
- 2- لوك فيري (2002)، الإنسان المؤله أو معنى الحياة، تر: محمد هشام، إفريقيا الشرق، المغرب، د ط، ص 130.
- 3- لوك فيري بالتعاون مع كلود كبلياي (2015)، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، تر: محمود بن جماعة، دار التنوير، لبنان، ط 1، ص 63.
- 4- المصدر نفسه، ص 64.

- 5- زكريا إبراهيم (1969) مشكلات فلسفية، المشكلة الخلقية، مكتبة مصر للنشر، ط 1، ص 241.
- 6- لوك فيري، تعلّم الحياة، سأروي لك تاريخ الفلسفة، تر: سعيد الوالي، م: زهيدة درويش، أبوظبي للثقافة، د ط، د ت، ص 132.
- * - القريب لاتعني المُقَرَّب بل الآخر عموماً والذي لا اسم له إنّه ذلك الذي لا نشعر بتعلّق نحوه أو الذي بالكاد نعرفه بل لا نعرفه أبداً ورغم ذلك نمد له يد العون بينما المُقَرَّب هو الموضوع الرئيسي للحبّ التعلّق، نقلاً عن لوك فيري تعلّم الحياة، ص 133.
- 7- المصدر نفسه، ص 136.
- 8- لوك فيري (2018) مفارقات السعادة، سبع طرائق تجعلك سعيداً، تر: أيمن عبدالهادي، دار التنوير، لبنان، ط 1، ص 13.
- 9- لوك فيري، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 60.
- 10- المصدر نفسه، ص 62.
- 11- المصدر السابق، نفسه، ص 59.
- 12- لوك فيري، مفارقات السعادة، ص 70.
- 13- المصدر نفسه، ص 83.
- 14- لوك فيري، تعلّم الحياة، ص ص 143، 338.
- * - الدلاي لاما القائد الديني الأعلى للبوذيين، والدلاي لاما يمثل القيادتين الروحية والدينيّة في إقليم التبت، أو هو راهب بوذي، موقع المعرفة، تاريخ الاطلاع: 25-10-2022، التوقيت: 10:00، الرابط: (www.marefa.org)
- 15- لوك فيري، الإنسان المؤله، ص ص 47، 112.
- 16- المصدر نفسه، ص 114.
- 17- المصدر السابق نفسه، ص نفسها.
- 18- المصدر نفسه، ص 115.
- 19- المصدر نفسه، ص 116.
- 20- المصدر نفسه، ص نفسها.
- 21- المصدر نفسه، ص 122.
- 22- ماري برنار، حوار لوك فيري مع مجلة بارونتي، تر: يوسف أسحيرة، تاريخ الاطلاع: 22-09-2021، الرابط: <https://www.myparenthese.fr/lesentretiens/2017/lucferry>
- 23- لوك فيري، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 329.
- * - Luc Ferry; 7 façons d'être heureux ou les paradoxes du bonheur (Essai); éditeur: J'ai lu Paris 2018.
- 24- لوك فيري، مفارقات السعادة، ص 51.
- 25- المصدر نفسه، ص 08.
- 26- يرى سبونفيل أنه لا يملك الإنسان الحكمة لكن ينبغي أن يتوق إليها ويمكنه أن يمتلك فقط محبتها وميّز بين حكمة عملية وحكمة نظرية، وهذه الأخيرة هي تأملية عقلية. ينظر اندريه كونت سبونفيل، الفلسفة (2008)، ترجمة، علي أبو ملحم، طريق المعرفة، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط 1، أبو ظبي، الإمارات العربية، ص 123.
- 27- المصدر نفسه، ص 46.
- 28- المصدر السابق نفسه، ص 10.
- 29- المصدر نفسه، ص 73.
- 30- المصدر نفسه، ص 90.
- 31- تيري إيغلتن معنى الحياة، ترجمة عهد علي ديب، دار الفرد للطباعة والنشر، د ط، د ت، ص ص 55، 123.
- 32- لوك فيري أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 62.

- 33- عبد الوهاب شعلان، لوك فيري في كتابه: (de l'amour une philosophie pour le XXI siècle)، مجلة أبوليوس جامعة محمد الشريف مساعديّة، سوق أهراس، العدد 4، 2016. ص 121.
- 34- محمد كزو، ثورة الحب في الفلسفة، موقع الفلق: تاريخ الاطلاع: 2021-09-22، الساعة: 00:08، الرابط: <https://www.alfalq.com/?p=24415>
- 35- لوك فيري، مفارقات السعادة، ص ص 85، 88.
- 36- لوك فيري، تعلّم الحياة، سأروي لك تاريخ الفلسفة، ص 339.
- 37- لوك فيري، مفارقات السعادة، ص 10.
- 38- لوك فيري، تعلّم الحياة ص 80.
- 39- لوك فيري، الإنسان المؤله أو معنى الحياة: محمد هشام، إفريقيا الشرق المغرب، د ط، 2002، ص 21.
- 40- تيري إيغلتن، معنى الحياة، ص 142.
- 41- عبد الوهاب شعلان، لوك فيري في كتابه: (de l'amour une philosophie pour le XXI siècle) مجلة أبوليوس، ص 121.
- 42- لوك فيري، تعلّم الحياة، ص ص 18، 28.
- 43- زكريا إبراهيم، مشكلات فلسفية، مشكلة الحياة، مكتبة مصر، ط 1، ص 32.
- 44- المصدر نفسه، ص 31.
- 45- المصدر نفسه، ص 74.
- 46- ستيفن لو، (2016) الإنسانية، مقدمة قصيرة جداً، تر: ضياء ورا، م: مصطفى محمد فؤاد، مؤسسة هنداوي، ط 1، مصر، ص 19.
- 47- ستيفن لو، الإنسانية، مقدمة قصيرة جداً، ص 9.
- 48- ماركس هوركهايمر، ثيودور أدورنو، جدل التنوير، شذرات فلسفية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 1، يناير 2006.
- 49- سعد محمد رحيم، المثقف الذي يدس أنفه (مقاربات في مفاهيم الأنسنية والتنوير والحداثة)، دار سطور، بغداد، ط 1، 2016، ص 21.
- 50- المرجع نفسه، ص 22.
- 51- مراد وهبة (2007)، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 5، ص 105.
- 52- إبراهيم بن عبدالله الرماح، الإنسانية المستحيلة، إشكالات تأليه الإنسان وتقنيدها في الفكر المعاصر، دار وقف دلائل، ط 2، 1439، ص 21.
- 53- لوك فيري، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 45.
- 54- سعد محمد رحيم، المثقف الذي يدس أنفه، ص 26.
- 55- المصدر السابق، ص 49.
- 56- المصدر السابق، ص 59.
- 57- إيريك فروم (2013)، كينونة الإنسان، تر: محمد حبيب، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط 1، ص 78.
- 58- لوك فيري، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 65.
- 59- المصدر نفسه، ص 66.
- 60- طاهر عمر، فتحي المسكيني ولوك فيري في ظلّ علمنة المعلمن تكون الحرية وليست الهوية، سودانيل صحيفة إلكترونية سودانية تصدر عبر الانترنت من الخرطوم، تاريخ الاطلاع: 2021-09-22، الرابط: <https://sudanile.com>
- 61- لوك فيري، الإنسان المؤله، أو معنى الحياة ص 44.
- 62- لوك فيري، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 60.
- 63- لوك فيري، الإنسان المؤله، ص 20.
- 64- المصدر نفسه، ص 21.

- قائمة المصادر والمراجع

الكتاب الحديث:

- (لوك فيري)، 2002، الإنسان المؤله أو معنى الحياة، ترجمة: محمد هشام، إفريقيا الشرق، د ط، المغرب.
- (لوك فيري)، 2015، بالتعاون مع كلود كبليري، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ترجمة: محمود بن جماعة، دار التنوير للطباعة والنشر، ط 1، لبنان.
- (لوك فيري)، (د ت)، تعلم الحياة سأروي لك تاريخ الفلسفة، تر: سعيد الوالي. م: زهيدة درويش أبو ظبي للثقافة، د ط، الإمارات العربية المتحدة.
- (لوك فيري)، 2018 مفارقات السعادة سبع طرائق تجعلك سعيدا. تر: أيمن عبد الهادي، دار التنوير، ط 1، لبنان.
- (إبراهيم بن عبد الله الرماح)، 1439، الإنسانية المستحيلة، إشكالية تأليه الإنسان وتفنيدها في الفكر المعاصر، دار وقف دلائل للنشر، ط 2، المملكة العربية السعودية.
- (إيريك فروم) 2013، كينونة الإنسان، تر: محمد حبيب، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط 1، سوريا.
- (إيغلتن تيري) (د ت)، معنى الحياة، تر: عهد علي ديب، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع د ط، سوريا دمشق.
- (سيونفيل أندريه كونت)، 2008، الفلسفة، ترجمة، علي أبو ملح، طريق المعرفة، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط 1، أبو ظبي، الامارات العربية.
- (ستيفن لو)، 2016، الإنسانية، مقدمة قصيرة جداً، تر: ضياء ورّاد، م: مصطفى محمد فؤاد، مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، ط 1، جمهورية مصر العربية.
- (سايمون كريتشلي)، 2016 الفلسفة القارية، مقدمة قصيرة جداً. تر: احمد شكل، مرا: مصطفى محمد فؤاد، هنداي، ط 1، القاهرة.
- (سعد محمد رحيم)، 2016، المتقف الذي يدسّ أنفه (مقاربات في مفاهيم الأنسنة والتنوير والحداثة والهوية والوظيفة العضوية للمتقف) دار سطور للنشر والتوزيع، ط 1، بغداد.
- (ماركس هوركهايمر، ثيودور أدورنو)، 2006، جدل التنوير، شذرات فلسفية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، بيروت.
- (مراد وهبة) 2007، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 5، القاهرة.
- (زكريا إبراهيم)، (د ت) مشكلات فلسفية، مشكلة الحياة، مكتبة مصر، د ط، مصر.
- (زكريا إبراهيم)، 1969 مشكلات فلسفية، المشكلة الخلقية، مكتبة مصر للنشر، ط 1.

المجلة:

- عبد الوهاب شعلان، لوك فيري في كتابه (de l'amour une philosophie pour le XXI siècle) مجلة أبوليوس جامعة محمد الشريف مساعدي، سوق اهراس، العدد 4، 2016.
- عبد الله موسى، مفهوم الحب والكراهية بين النص الفلسفي والنص الصوفي، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد 10، 2010

موقع الأنترنت:

- طاهر عمر، 2020-08-30، فتحي المسكيني ولوك فيري في ظلّ علمنة المعلمن تكون الحرية وليست الهوية، سودانيل صحيفة الكترونية سودانية تصدر عبر الانترنت من الخرطوم، تاريخ الاطلاع: 22-09-2021، الرابط: <https://sudanile.com>
- ماري برنار، 11 يونيو 2020، حوار لوك فيري مع مجلة بارونتييز، ترجمة: يوسف أسحيرة، تاريخ الاطلاع: 22-09-2021، الساعة: 22:00، رابط الحوار الأصلي: <https://www.myparenthese.fr/lesentretiens/2017/lucferry>
- محمد كزو، 18-04-2021، ثورة الحب في الفلسفة، مجلة الفلق الالكترونية، تاريخ الاطلاع: 22-09-2021، الساعة: 08:00، الرابط: <https://www.alfalq.com/?p=24415>

ابستمولوجيا النص وحجابه في فلسفة بول ريكور

د. لزهرة عقيبي

جامعة محمد خيضر - بسكرة، laguibi@yahoo.com

تاريخ الإيداع: 2021/04/07

تاريخ المراجعة: 2022/09/26

تاريخ القبول: 2022/10/03

ملخص

يتناول المقال مفهوم بول ريكور للنص وأساسه اللغوية والإبستمولوجية والحجاجية، ويهدف إلى تجاوز رأي بعض النقاد العرب الذين يصفون فلسفته في التأويل بالذاتية، متجاهلين جهوده في التأسيس لإبستمولوجيا النصوص وحجابه، وبالتالي إدراكه الواضح للجانب الموضوعي من بنائها وتفسيرها. أما بالنسبة للحجاج، فهو يظهر في بحث ريكور في لغة وخطاب النص، وصلته بالجدل والجانب التفاعلي في حياة الناس، الأمر الذي يدل على عناية ريكور بما يؤسس للخطاب موضوعيا.

الكلمات المفتاحية: هرمنيوطيقا، تأويل، تفسير، فهم، حجاج

Epistemology of the text and its arguments in the philosophy of Paul Ricoeur

Abstract

The article deals with Paul Ricoeur's concept of the text and its linguistic, epistemological, and argumentative foundations, and aims to transcend the opinion of some Arab critics who describe his philosophy of subjective interpretation, ignoring his efforts in establishing epistemology of the texts and his argument, and thus his clear awareness of the objective aspect of its construction and interpretation. As for the argument, it appears in Ricoeur's research on the language and rhetoric of the text, its connection to the controversy and the interactive aspect of people's life. This indicates Ricoeur's interest in establishing the discourse objectively.

Keywords: Hermeneutics; interpretation; explanation; understanding; pilgrims.

Épistémologie du texte et de ses arguments dans la philosophie de Paul Ricoeur

Résumé

L'article aborde le concept du texte selon Paul Ricoeur et ses fondements linguistiques, épistémologiques et argumentatifs. Cette réflexion vise à transcender l'opinion de certains critiques arabes qui décrivent sa philosophie de l'auto-interprétation, ignorant ses efforts pour établir l'épistémologie des textes et son argumentation, et donc sa claire compréhension de l'aspect substantiel de sa construction et de son interprétation. Quant à l'argumentation, il apparaît dans les recherches de Ricoeur sur le langage et le discours du texte, et son lien avec le débat et l'aspect interactif de la vie des gens, ce qui révélateur pour établir objectivement le discours.

Mots-clés : Herméneutique, interprétation, explication, compréhension, argumentation.

مقدمة:

وصل المسار الفلسفي المتشعب لبول ريكور إلى هرمينوطيقا كثيرا ما يسميها "هرمينوطيقا التفسير" أو "الهرمينوطيقا النقدية" على غرار هابرماس، الأمر الذي يظهر أهمية الاستمولوجيا في بناء فلسفته، باعتبارها نقدا وتفسيرا وبناء لتأويل النصوص والثقافات والأفعال الإنسانية. وعلى خلاف الباحثين الذين يظهرون ريكور كفيلسوف مهتم بالبحث عن فهم الذات الإنسانية، حيث لا يخفى الطابع الأنثروبولوجي لفلسفته، وحيث ينتهي تأويل النص عنده في فهم الذات لنفسها فهما أنطولوجيا مهمينا، ويعتبرون ذلك دلالة على اتجاهه الذاتي، فإن هذا المقال يسعى إلى توضيح عناية ريكور بالجانب الموضوعي للخطاب الفلسفي ومحتواه المعرفي والمنهجي والحاجي، ومن ثم فإن مشكلتنا المحورية هي التساؤل ما إذا كانت فلسفة ريكور فلسفة ذاتية تنتهي بتأسيس فهم النص وتأويله على الذات أم أنها فلسفة موضوعية تعنى بالأسس الاستمولوجية الموضوعية والحاجية للنص، وبالتالي ما هي تلك الأسس الاستمولوجية والحاجية التي تؤسس للنص وتأويله عند ريكور؟

إن التحليل البنوي لهذه الإشكالية كفيل بتحديد العناصر المكونة لتأويلية ريكور، ومن ثم الاشتغال على مستويين: مستواها الاستمولوجي الكثيف الذي أولاه ريكور عناية فائقة، حرصا منه على الموضوعية، ومستواها الحاجي الذي يجعل الخطاب أكثر قدرة على الإقناع. وبما أن كلا المستويين يتعلقان بالنص أو بالخطاب المكتوب، فإن ذلك التحليل يتطلب التمييز في البداية بين مصطلح استمولوجيا النص الذي أخذ في الفلسفة المعاصرة دلالات مختلفة، ومصطلح علم النص الذي يعرف هو الآخر تناولا مختلفا، وهذا لتحديد مفهوم استمولوجيا النص كما يراها ريكور بوجه عام.

إن تحديد هذه الاستمولوجيا ضمن تأويلية ريكور يستدعي الوقوف على قطبي تأويليته الفلسفية وهما النص أو الخطاب المكتوب من جهة، والتأويل أو الفهم من جهة ثانية، والجدل بينهما، حيث يفترض النص القراءة والتأويل والعكس صحيح، وضمن هذه الجدلية نوضح عناية ريكور بالاستمولوجيا على مستوى دراسته لطبيعة النصوص المختلفة، وعلى مستوى تأويل تلك النصوص أيضا.

وأخيرا، نوضح العلاقة بين استمولوجيا النص وحجابه عند ريكور، باعتبار الحاج مفهوم مكملا لتلك الاستمولوجيا النصية، حيث حرص ريكور ليس فقط على طرق ومبادئ معرفتنا بالنصوص، بل أيضا بقدرة الخطاب على الإقناع والتوجيه والتأثير في المخاطب.

لقد اعتمدت في هذا المقال على مصادر فلسفة ريكور، لاسيما كتابه "من النص الى الفعل - Du texte à l'action"، و"الزمن والسرد - Temps et Récit"، كما اعتمدت على مرجعين أساسيين، هما "الهرمينوطيقا والحجاج. مقارنة لتأويلية بول ريكور" لعمارة ناصر، و"جدلية الفهم والتفسير في فلسفة بول ريكور" وهو بحثي الخاص الذي قدمته لنيل شهادة الماجستير في جامعة الجزائر 2. وإذا كان المرجع الأول قد حاول تحليل موضوع الحجاج في فلسفة ريكور، فإنه لم يتطرق لعلاقته بالاستمولوجيا، أما المرجع الثاني فقد كان يهتم تناولا أسس التأويل في فلسفة بول ريكور، ولذلك جاء الكلام فيه عن الاستمولوجيا عرضيا، وأغفل موضوع الحجاج تماما.

يتضح مما سبق أن هدف المقال هو الوقوف على دور الاستمولوجيا في فهمنا للنصوص، وأهمية الحجاج فيها، وبالتالي دورهما في فلسفة ريكور التأويلية، ومن وراء ذلك نطمح إلى أن تفتح هذه القراءة لنا رؤية لنصوص ثقافتنا التي كانت في أوج تطورها تعطي أهمية أكبر لعاملي المعرفة وقوة الحجاج.

1- التمييز بين ابستمولوجيا النص وعلم النص

عادة ما تعرف الابستمولوجيا في القواميس الفرنسية الحديثة والمعاصرة بأنها "دراسة نقدية للعلوم لأجل اكتشاف أصولها المنطقية قيمتها ونطاقها"⁽¹⁾ غير أن هذا التعريف لا يمكن أن يكون فعالاً دائماً أمام علوم تتطور باستمرار، ليس فقط بما تقدمه من اكتشافات جديدة، بل بما يحدث فيها من ثورات داخلية تذهب إلى حد تغيير مبادئها ومفاهيمها ومناهجها ومجالاتها، الأمر الذي يستدعي فكراً ابستمولوجياً أكثر عمقا وانفتاحاً. ولعل هذا ما حدا بفرديناند غونزيت Ferdinand Gonseth للقول إنه "حتى لا نبقي هنا، فإننا لا نستطيع الاستغناء عن تفكير أكثر عمقا حول طبيعة وغاية الخطاب الإبستمولوجي"⁽²⁾.

لقد جرى تجاوز الابستمولوجيا الكلاسيكية التي أريد لها أن تكون أنموذجاً للعلوم الطبيعية والإنسانية، ولكن نقد هذه الابستمولوجيا في أعمال كارل بوبر K. Popper من الناحية المنهجية، ونقد أسسها ومبادئها المطلقة في الابستمولوجيا اللاقيادية، قد فتح المجال لتغيير مفهومها ومبادئها لاسيما مع النزعة الهرمينوطيقية التي تنظر إلى التجربة الإنسانية من خلال اللغة، وبالتالي من خلال الرموز والنصوص والآثار، وبهذا ظهر مصطلح ابستمولوجيا النص كمحاولة لمعرفة التجربة الإنسانية من خلال تأويل الرموز الثقافية والنصوص التي تدل عليها، وهو استمرار لما يسمى في الفكر الديني "علم التفسير" - L'exégèse.

والحقيقة أن مصطلح ابستمولوجيا النص تتنازع رؤيتان: "فريق من علماء المعرفة وهم المتأثرون غالباً بالفلسفة التحليلية. لا يرون مساحة مستقلة لابستمولوجيا النص، إنما يعتبرونها تبعا وفرعا للابستمولوجيا الرسمية، التي بمقدورها عبر بعض التغييرات الهامشية، معالجة قضايا النص. وفي المقابل، ثمة جماعة ينتمون غالباً إلى الفلسفة القارية، يعتقدون أن الابستمولوجيا الرسمية ذات فوائد جمة لابستمولوجيا النص. بيد أن تشييد ابستمولوجيا نصوص يحتاج لأطروحة جديدة، وسنخ ابستمولوجي مختلف، وهم يعتبرون أن الهرمينوطيقا هي تلك الابستمولوجيا الخليفة بالنصوص"⁽³⁾. وفي إطار هذه الهرمينوطيقا أكد ريكور إمكانية بناء ابستمولوجيا للنص لا تهتم فقط بالجانب المنهجي أي بوضع قواعد للتأويل بل تطرح إشكاليات بناء أسس جديدة للفهم والتفسير، وبهذا تجاوز مفهوم الحلقة الهرمينوطيقية كما تصورها شلايرماخر التي تربط بين خطاب القارئ وخطاب الكاتب، باعتبار ذلك المسعى ذاتياً، حيث لا يمكن التأكد من أن المعنى الذي يصل إليه القارئ لنص معين هو ذاته مقصد كاتبه، ومنه الحلقة الهرمينوطيقية "لا تتبع من العلاقة المتبادلة الرابطة بين ذاتية المؤلف وذاتية القارئ، بقدر ما تتبع من الارتباط بين خطابين خطاب النص وخطاب التأويل"⁽⁴⁾.

لقد أولى ريكور لكلا الخطابين أهمية بالغة، حيث أقام خطاب النص على العلوم اللسانية وهذا ما يسميه علم النص أو علوم النص، على غرار جوليا كريستيفا التي عرف معها هذا المصطلح شيوعاً لافتاً، فتعريف النص بالنسبة لها هو أن "نحدد النص كجهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصل يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه. فالنص إذن إنتاجية"⁽⁵⁾. "فهو تشير إلى أن النص يتشكل عبر العلوم اللسانية، وأنه خطاب مباشر له علاقة بغيره من النصوص الأخرى من خلال مقولة التناص. والأهم أن كريستيفا لا تجعل النص حبيساً للأنظمة السيميائية بله حتى اللسانية، فعلاقته "باللسان الذي يتموقع داخله هي علاقة إعادة توزيع (صادمة بناءة) ولذلك فهو قابل للتناول عبر المقولات المنطقية لا عبر المقولات اللسانية الخالصة"⁽⁶⁾.

لا يختلف ريكور كثيرا عن موقف كريستيفا، فهو يستخدم مصطلح علوم النص، ويؤسس مفهوم النص على كل العلوم اللسانية، مؤكدا أن مفهوم الهرمينوطيقا لا يمكن أن يستقيم إلا إذا استثمر حاملوه علوم النص وعقدوا معها مناقشات جدية، من علم الدلالة إلى علم التفسير. ولذلك تؤدي علوم مثل السيمياء وعلم الدلالة والنقد الأدبي واللسانيات التداولية أدوارا هامة في بناء النص عند ريكور.

أما خطاب التأويل عند ريكور فهو عملية القراءة التي تذهب من الفهم إلى التفسير، ومن التفسير إلى الفهم في حركة جدلية. يصف ريكور عملية الفهم بالطابع الأنطولوجي، بينما يشكل التفسير اللحظة الابستمولوجية التي أولاها ريكور أهمية كبيرة في فهم النصوص، بحيث كلما كان هناك تفسير أكثر كان هناك فهم أكبر.

غير أن المتأمل في مصطلحي علم النص وابستمولوجيا النص يجب أن لا يذهب بعيدا في التفريق بينهما، فليست الابستمولوجيا في جوانبها النقدية والمنهجية عند ريكور إلا نتيجة لعلوم النص بشكل خاص، حيث المناهج المطبقة في قراءة النصوص أو العلوم الإنسانية لا تستمد بالضرورة من حقل آخر غير حقل التجربة اللغوية والإنسانية بشكل عام، فهو "على خلاف دلتاي، هذه المقاربات التفسيرية الضرورية ليست عند ريكور مستمدة من الأنموذج الطبيعي (Naturwissenschaften) الموسع على العلوم الإنسانية (Geisteswissenschaften)"⁽⁷⁾

ولذلك فالابستمولوجيا تتأسس على علوم النص ولا يمكن فهمها دون هذا الأساس، وهذا لا يمنع بطبيعة الحال من استفادة هذه الابستمولوجيا من بعض مفاهيم ابستمولوجيا العلوم الطبيعية، نذكر في هذا المجال خاصة مفهوم منطق الاحتمال عند هيرش Hirshe ومفهوم منطق التأكيد الذي استمده ريكور من ابستمولوجيا كارل بوبر ومفهوم جدلية الإحالة والمغزى المطبق على العبارات العلمية الذي استمده من غوتلوب فريجه G. Frege.

2- مفهوم النص وتأويله عند ريكور

2- 1- مفهوم النص

إن انتقال ريكور من الهرمينوطيقا الرمزية إلى الهرمينوطيقا النصية، جعله يجتهد مثل شلايرماخر في بلورة هرمينوطيقا عامة، تقوم على قواعد للفهم والتأويل يمكن تطبيقها ليس فقط على النص، بل أيضا على التاريخ والأفعال الإنسانية والثقافة بشكل عام، والهدف من ذلك هو فهم الإنسان لنفسه، فهذا الفهم لا يتم مباشرة كاستبطان ذاتي، بل يتم من خلال وسائط هي الرموز والنصوص والثقافات والأفعال الإنسانية، الأمر الذي يعطي لابستمولوجيا أهميتها القصوى في نقد تلك الوسائط اللغوية والإنسانية واقتراح المناهج الملائمة التي تحلها وتعرفنا بها.

لقد وجد ريكور في الهرمينوطيقا النصية الأنموذج الذي يمكن أن نقرأ من خلاله كل الوسائط الأخرى، فهي بالنسبة له "نظرية عمليات الفهم في علاقتها بتأويل النصوص"⁽⁸⁾ ولذلك وسع نظريته في الفهم والتأويل والتفسير المستخلصة من دراسته للنصوص على كل الحقول الأخرى. وأكد أن مفهوم الهرمينوطيقا لا يمكن أن يستقيم إلا إذا "استثمر حاملوه علوم النص وعقدوا معها مناقشات جدية، من علم الدلالة إلى علم التفسير"⁽⁹⁾ وهذا جعله يهتم ليس فقط بكيفية تأويل النصوص، بل أيضا بموضعها، والنظر في أنواعها وأشكال تعبيرها وأنظمتها الداخلية، والبحث عن أسسها اللسانية والتداولية والحجاجية.

يعرف ريكور الخطاب أي خطاب بأنه "يتشكل من مجموعة من الجمل التي من خلالها يقول أحدهم شيئا ما لآخر بشأن شيء ما"⁽¹⁰⁾ ويظهر هذا التعريف تأثر ريكور بلسانيات بن فنيست E. Benveniste الذي يؤكد على

عكس دو سوسير De Saussure أن الوحدة الأساسية للخطاب هي الجملة وليس العلامة، وبهذا يغدو الخطاب مجموعة من الجمل المتسلسلة التي تصدر عن مخاطب باتجاه مخاطب، ويعكس العلامات التي تبني علاقات وقواعد داخلية في لغة الخطاب، فإن الجملة تشير إلى واقع خارج اللغة، وهو ما يسميه حادثة الخطاب، وهي ما تعنيه العبارة "بشأن شيء ما" في التعريف، أي الشيء الذي يتكلم عنه الخطاب. وبضيف ريكور إلى هذه الخاصية تمييز فريجه بين المعنى والإحالة في الخطاب، وهذا يعني أن الخطاب ليس له مرجع أو واقع يتكلم عليه فقط بل يحمل معنى موضوعيا أيضا. وهذا المعنى الموضوعي لا يمكن تحديده حقيقته بالرجوع إلى ما يحيل إليه في الواقع كما يذهب إلى ذلك فريجه، فهذا يصدق فقط على العبارات العلمية، بل يمكن تحديده من خلال علم السيمياء، أي من خلال العلامات والعلاقات فيما بينها، الأمر الذي يظهر بناء ريكور لمفهوم الخطاب ليس فقط على علم الدلالة بل على علم السيمياء أيضا، وليس فقط على لسانيات الجملة عند بنفنيست E. Benveniste بل على لسانيات العلامة عند دو سوسير De Saussure، فهو يعتمد "مقاربة ذات بعدين، تعتمد فيها اللغة على وحدتين لا انفصام بينهما هما العلامات والجملة" (11). وبهذا يتحدد النص ليس بوصفه وحدة بين العلامات، بل بوصفه سلسلة من الجمل التي تحيل إلى الواقع أيضا.

لم يكتف ريكور بهذا التأسيس اللساني الثنائي للخطاب، بل نراه أيضا يذهب إلى نظرية أفعال الكلام الأنجلوسكسونية التي تربط اللغة بالسياق الثقافي التداولي والحواري في الواقع، ليؤكد لنا ارتباط الخطاب بسياقه الثقافي التداولي، حيث تتغير الدلالة اللغوية بتغيره واختلافه بحسب الاستعمال التداولي الحر للناس، حيث أفعال الكلام عند سيرل Searl وأوستن Austin تتوزع على ثلاثة مستويات (12): أفعال كلام تعبيرية تصرح بخبر ما، وأفعال كلام ترميزية تمرر المعنى تحت غطاء ما هو مصرح به، وأفعال كلام تأثيرية يظهر تأثيرها على المخاطب وعلى أفعاله، وهذا يعني أن معنى الخطاب ليس محصورا في العلامات، بل هو مرتبط بالواقع والسياق والاستعمال، ومن ثم تتغير دلالاته.

إن ما يجعل الخطاب نصا هي خاصية الكتابة، هذه الخاصية التي تعطي للنص سمات موضوعية لا تتوفر في الخطاب الشفوي الذي يبقى ملتصقا بالذات، بينما ينفصل النص باعتباره خطابا مكتوبا على قائله، ويكتسب عبر الزمن دلالات جديدة، تختلف باختلاف السياقات والظروف والمجال الحواري التداولي لحياة الناس العملية.

2-2. تأويل النص

يحمل التأويل من الناحية اللغوية معنى التفسير والفهم والشرح، وهو يطلق على عملية القراءة بأكملها للنص عند ريكور، وليس على مرحلة منها كما هو الحال عند دلتاي W. Dilthey حيث يقتصر التأويل على تفسير آثار التجربة المعيشة، أو عند شلايرماخر F.D. Schleiermacher، حيث التأويل يقتصر على الفهم اللغوي للنص، فهو عند ريكور المفهوم المقابل للنص الذي يحمل الإستراتيجية الجدلية في القراءة كما يتصورها ريكور، و"مصطلح التأويل لا ينبغي أن ينطبق على حالة فهم جزئية منفردة، أعني تعبيرات الحياة المكتوبة، بل على كامل العملية التي تحيط بالتفسير والفهم" (13). والتأويل يتبع تدرج محور ثلاث مقولات هي: الفهم المسبق، التفسير، الفهم التطبيقي: فالفهم المسبق هو فهم القارئ للنص انطلاقا من علاقة الانتماء، أي بحسب ثقافته وأحكامه المسبقة ومستواه، ولذلك فهو فهم أولي احتمالي، يكون لدى القارئ افتراضات حول النص عليه أن يتأكد منها بواسطة التفسير، أما التفسير فهو محاولة القارئ فهم تلك الافتراضات عن طريق تحليل لغة النص ومضامينه، أي

تحليل موضوع النص أو ما يسمى "شيء النص". وفي الأخير فإن الفهم المسبق هو تطبيق لما يفهمه القارئ من دلالات النص على وضعه الخاص.

إن الحركة الجدلية للتأويل تأخذ منحنيين: من الفهم المسبق إلى التفسير، ومن التفسير إلى الفهم التطبيقي في جدل صاعد وهابط بين التفسير والفهم، ويتبين أن الفهم سواء كان مسبقاً أو تطبيقياً هو فهم أنطولوجي، أي فهم محكوم بعلاقة الانتماء، بينما اللحظة المنهجية والابستمولوجية هي اللحظة التي يمثلها التفسير، حيث يقول ريكور: "في اتجاه الربط بين النظرية الابستمولوجية بالنظرية الأنطولوجية للفهم verstehen لا أريد أن أنسى لا المرحلة الابستمولوجية، أين يبقى الرهان هو حوار الفلسفة مع العلوم الإنسانية، ولا إهمال هذا التحول للإشكالية الهرمينوطيقية، الذي يضع ثقله بعد الآن على الذات في العالم" (14) إذن العمل الابستمولوجي الموضوعي الذي يقوم به بول ريكور في تأويل النصوص يتم في سياق فهم أنطولوجي أساسه علاقة الانتماء، وهو في جدل مع هذا الفهم الأنطولوجي.

غير أن عادل مصطفى ذهب إلى تأكيد أن الفهم الأنطولوجي عند ريكور هو فهم مهيم، حيث ابستمولوجية ريكور النصية تنتهي عند الفهم الذاتي للقارئ، "لذا فقد حاول ريكور جهده أن يؤسس منهجاً يتسنى للمرء بواسطته أن يكشف الغطاء عن البنى الأنطولوجية للمعنى وربما ينجح أيضاً في تقديم تأويل ما لذلك الوجود - في- العالم الذي يتفتح أمام النص" (15). هذا يعني أن ريكور لا يكتفي بالتحليل الابستمولوجي للنصوص والثقافات والأفعال الإنسانية، بل يبحث أيضاً عن الأسس الأنطولوجية التي تؤسس لها. فعلى مستوى النص لا يكتفي بتحليل بنية النص الدلالية بل يتساءل عن معناها في سياق القارئ، حيث يدفع النص بعالم دلالاته للقارئ الذي يستجيب بدوره لهذه الدلالة التي تأتي من النص، ويحاول أن يشترع إمكانياته ووجوده على أساسها، وهذا ما يسميه ريكور أيضاً بالفهم التطبيقي الأنطولوجي الذي تنتهي عنده قراءة النص.

لا يرى عادل مصطفى وزناً للمعطيات الابستمولوجية المنهجية والنقدية عند ريكور في التأويل، فبالنسبة له "أراد ريكور أن يتجنب الذاتية المرتبطة بابستمولوجيا "الفهم" غير أنه في واقع الأمر، لم يتمكن من تجنب هذه الذاتية، وذلك لأنه التمس الموضوعية والمنهج النقدي لا في التوجه إلى مقصد المؤلف وتأسيسه بالإصغاء المرفه للمؤلف وهو يعبر عن نفسه في النص بل في تحليل لغوي لا شخصي. ومن المؤسف أن ريكور بإزاحته للمؤلف من الطريق قد عزز ذاتية المؤول وضمن لها السيادة حتى خلال استخدام أداة "علمية" (السيميوطيقا) (16) لكن يجب أن نميز بين هرمينوطيقا المؤلف وهرمينوطيقا القارئ، وقد اختار ريكور عن وعي هرمينوطيقا القارئ، وهو بذلك يتجاوز الهرمينوطيقا الرومانسية التي تجعل من مقصد المؤلف غاية للتأويل عند كل من شلاير ماخر ودلتاي، فالبحت عن مقصد المؤلف في النص بالنسبة لريكور مقصد نفسي وذاتي لا يمكن تحديده، وتزداد صعوبة البحث عن المقصد وخطورته في الخطاب الديني عندما يدعي كل مؤول أنه يمسك بالمقصد الحقيقي، ونعرف النتائج الوخيمة لمثل هذا الإدعاء في حياتنا العملية العربية الإسلامية خاصة.

وبما أن التأويل ينتهي بالفهم الأنطولوجي التطبيقي، فقد جند ريكور داخله مفهومين نقدياً وهو نقد الإيديولوجيا، بحيث يتقادى القارئ إسقاط أحكامه الذاتية المسبقة على دلالة النص من جهة، كما يتقادى ما تحمله دلالة النص من تشويه وفساد وأخطاء. وهكذا فالفهم الذي ينتهي إليه القارئ للنص هو فهم أعمق من الفهم الذي أتى به إليه، وهذا بفضل الإجراءات المنهجية والنقدية التي تؤسس لتفسير النص عند ريكور، فكلما فسرنا أكثر فهمنا أكثر.

غير أنها تبدو عند الدكتور عادل مصطفى مجرد إجراءات سطحية لا تقدم ولا تؤخر في فهم النص، ولذلك سنركز على التفسير باعتباره ابستمولوجيا للنص.

2-3- التفسير باعتباره ابستمولوجيا للنص

يفيد التفسير عموماً التحليل والشرح والتبسيط، وإقامة الحجة والبرهان، ومعرفة الأسباب والتبرير، والتعليق والمناقشة والنقد، وإفحام الخصم والقدرة على إقناعه. يعطي ريكور لمفهوم التفسير أهمية كبيرة، ويأخذ عنده طابعاً منهجياً ونقدياً معاً، حيث كانت عنايته بمنهج تحليل النصوص والثقافات الإنسانية كثيفة، فهو يأخذ بمنهج مختلف استمدها من مختلف التأويلات الفلسفية التي دخل معها في حوار نقدي مثل الفينومينولوجيا والبنوية ومدرسة التفكيك ومدرسة التحليل الأنجلوسكسونية والمدارس اللسانية والمدارس الدينية وغيرها، هذه المنهج أو الطرق المختلفة "تتحد إماماً من حقل التاريخ (مثل مختلف الطرق التاريخية النقدية في علم التفسير L'exégèse، أو من اللسانيات (مثل البلاغة والنقد الأدبي أو التحليل السيميائي والبنوي"⁽¹⁷⁾.

يمكن أن نضيف إلى هذه المرجعية الابستمولوجية المنهجية لبول ريكور الأثر الابستمولوجي لما يفضل أن يسميه رواد "هرمينوطيقا الارتباب" وهم نيتشه وماركس وفرويد، حيث استفاد من نقدهم الجذري في نقد تأويلات عصره المختلفة، واستطاع أن يدرج هذا النقد الإرتبابي ضمن تأويله للنصوص والأفعال الإنسانية، حيث يمكننا الشك في ما تعرضه النصوص علينا، والتمييز بين ما نقوله وما تخفيه، ومعارضة ما تخفيه بما نقوله، وحيث الفلسفة تحفر عن الأصول وتعري المبادئ والمنظومات وتفصح الوهم على رأي نيتشه، وضمن صيرورة تأويل النص يمكن للباحث دائماً أن ينتقد إيديولوجيته الخاصة وأحكامه المسبقة وافتراسات فهمه المسبق للنص، وضمن فهمه لعالم النص كنمط للوجود في سياقه الخاص يمكنه أيضاً نقد الإيديولوجيا، "يخص إذن، هرمينوطيقا القدرة على الوجود pouvoir-être أن تلتفت نحو نقد الإيديولوجيات الذي يشكل الإمكانية الأكثر تجزراً"⁽¹⁸⁾. مع العلم أن الإيديولوجيا عند ريكور ليست فقط مجرد تشويه للواقع كما يرى الماركسيون، بل هي إحدى الوسائل التي تبرر وجود السلطة السياسية، والإمكانية التي تعبر عن هوية الأمة وتدمج أفرادها ضمن الأحداث المؤسسة لها. وما يمكن انتقاده في الإيديولوجيا إذن، هي وجهها السلبي الذي يشوه الحقيقة.

إذا كان للنص تأويلات متعددة، فإن ريكور لا ينظر إلى هذه التأويلات نظرة أنطولوجية تظهر التزامه بالاختلاف واحترام الآخر، بل ينظر إليها أيضاً نظرة ابستمولوجية، فتعدد تأويلات النص تخفي اختلافاً في مناهج ومقاربات التأويل، مما يعني أن حقيقته ليست حكرًا على إحداها، لأن الحقيقة سجل بين هذه التأويلات والمناهج، الأمر الذي جعله يبحث عن منطق للمفاضلة بينها وجده في منطق الاحتمال عند إ. د. هيرش E.D.Hirsch الذي يصادق بالاحتمال على أكثر التأويلات تصديقاً لتركيب النص وبنائه، لكنه لجأ أيضاً إلى ابستمولوجيا كارل بوبر K.Popper ليستقي منها إجراءات البحث عن زيف هذه التأويلات باعتبارها مجرد افتراضات، وبهذا تكمل "إجراءات التصديق إجراءات عدم التصديق التي يمكن مقارنتها بمعايير التزييف المحددة من قبل كارل بوبر في منطقته للكشف العلمي"⁽¹⁹⁾.

كل هذه المعطيات المنهجية والمنطقية والنقدية يجندها ريكور لفهم النصوص، ولكن النصوص عنده ليست إلا أنموذجاً للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ولذا يعتبر من المؤسسين المعاصرين لابستمولوجيا العلوم الإنسانية والاجتماعية والتاريخ، حيث ينطوي الفعل الإنساني والاجتماعي على رموز وعلامات، ويمكن بالتالي قراءته مثلما

نقرأ النص من خلال فلسفة التأويل المبنية على جدل الفهم والتفسير. والشيء الثابت في هذه الاستيمولوجيا الخاصة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية أنها لا تخضع لأنموذج الاستيمولوجيا في العلوم الطبيعية، لأنها تميز دراسة التجربة الإنسانية عن دراسة الظواهر الطبيعية، الأمر الذي ينتج عنه تمييز آخر بين المناهج في العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، حيث ترتبط المناهج بطبيعة موضوعاتها. وهذا ما يفسر تطبيق العلوم الإنسانية المعاصرة لمناهج مستمدة من اللسانيات أو من التاريخ وعلم الآثار على مواضيعها.

لكن هذا لا يعني أن ريكور يفصل بين صنفين هذه العلوم مثلما فعل دلتاي W.Dilthey عندما ألحق استيمولوجيا الفهم بالعلوم الإنسانية واستيمولوجيا التفسير بالعلوم الطبيعية، كما يرفض المطابقة بينهما تطابقاً تاماً مثلما فعل التجريبيون والوضعيون عندما أخضعوا العلوم الإنسانية لنفس الأنموذج الاستيمولوجي للعلوم الطبيعية، بحيث لا تكون تلك العلوم الإنسانية علوماً إلا عندما تأخذ باستيمولوجيا العلوم الطبيعية، ومنه فالعلاقة بين هذين الصنفين من العلوم هي علاقة جدلية تتجاوز الفصل أو التوحيد المطلق بينهما، وتدل أن كليهما يقوم على جدل التفسير والفهم، و" هذا الربط الجدلي بين التفسير والفهم، بالنتيجة له علاقة أكثر تعقداً ومفارقة بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، لا ثنائية ولا واحدة أقول"⁽²⁰⁾ العلاقة الجدلية تعني أن داخل كلا الصنفين يعتمل جدل الفهم والتفسير، فإذا كان يفترضان التفسير حتى يحافظا على الطابع العلمي المنهجي والنقدي الموضوعي، فإنهما من حيث كونهما مشروعين إنسانيين يتطلبان أن نفهم معناهما بحسب نمط وجودنا الإنساني، أي بحسب وجودنا الأنطولوجي، وبالتالي، نضع حداً لوجهة نظر فلسفية تعتبر العلم آلية عمياء تطبق قواعدها ومفاهيمها على أي شيء دون اعتبار للحياة الإنسانية.

3- الحجاج في الخطاب لفلسفي

يعرف الحجاج أو المحاجة L'argumentation بالقدرة على إقناع المتلقي والتأثير فيه باستخدام الخطاب، فهو "محاولة من أجل الحصول على الموافقة العقلانية للمحاور"⁽²¹⁾ وقد يدل الحجاج على ترتيب سلسلة من العبارات تسمى مقدمات تقضي إلى نتيجة يريد أن يوصلها المخاطب إلى المخاطب، كما جاء في القاموس التقني والفلسفي للفيلسوف لاند La lande.

إن وحدة التأويل عند ريكور المطبق على هرمينوطيقاً "المنعطف الطويل" المكلل بالرموز والنصوص والثقافات والأفعال الإنسانية، تأتي من خاصية الوساطة اللغوية التي تجمع بين تلك الحقول جميعاً، ومن الطابع الجدلي الحوارية لفلسفته مع التأويلات الفلسفية الغربية، ولهذا كان ريكور على علم بمسائل الحجاج، وكان أكثر الفلاسفة مناقشة ونقداً لممثليه البارزين، ذلك أن فلسفته في التأويل التي تتأسس على جدل الفهم والتفسير، يعتبرها هرمينوطيقاً ارتباطية تثير تناقضات ومفارقات الفلسفة الغربية، ومنه استخدم الحجاج الجدلي الذي مكنه من اتخاذ كل أشكال الاستراتيجيات الحجاجية في الدفاع والدحض والإحراج لمختلف التأويلات الفلسفية في عصره، حيث يكشف مساره الفلسفي عن فيلسوف محاور ومستعد للاستفادة من كل تلك التأويلات.

وفي مجال الحجاج البلاغي الذي يرتبط عنده بالجدل تماماً مثل أرسطو، نجد ريكور ينتقد ش. بيرلمان Ch. Perelman الذي يربط البلاغة والحجاج والفلسفة ربطاً تتماهى فيه تماهيا يكاد يكون كلياً: "هذا ما أخذ به الأستاذ ش. بيرلمان Ch. Perelman في كل أعماله، بالنسبة له، الحقول الثلاثة للبلاغة والحجاج والفلسفة الأولى تتقاطع"⁽²²⁾. لكن ريكور يحرص على التمييز بين البلاغة والخطاب الفلسفي، ففي هذا الأخير نتجاوز الإقناع أو

التأثير في الجمهور إلى طلب الحقيقة، بل إن "الفلسفة تتعالى على البلاغة، يتعلق الأمر بعالم أين نكون" صادقين وغير أنانيين، أين نبحث عن الحقيقة قبل كل شيء" (23).

إن تأكيد ريكور على هذا التمييز بين الخطاب الفلسفي والبلاغة ينبع من ارتباط البلاغة بإثارة العواطف والانفعالات لتوجيه المخاطب والتأثير فيه، تلك الإثارة التي قد تتحول في نظره إلى إغواء، وهو ما يتناقض مع عقلانية الخطاب الفلسفي، مع ذلك فهو يدرك أن الخطاب الفلسفي إذا كان يقول الحقيقة فهو يقولها عن طريق اللغة، وبالتالي يبقى ارتباط ذلك الخطاب بالبلاغة ممكناً. ويعبر ريكور في كتابه "الاستعارة الحية - La métaphore vive" عن هذه المفارقة الماثلة بين الخطاب الفلسفي والبلاغة بقوله: "البلاغة أصبحت عدوه الأكثر قدماً وحليفه الأكثر قدماً" (24) إذن الخطاب الفلسفي لا يبرهن فحسب، بل يحتاج أيضاً بتوظيف سلطة البلاغة.

إن البلاغة ترتبط عند ريكور بالهرمينوطيقا والجدل، فإذا كان "الخطاب هو وساطة التفكير، فهذا يفسر كيف أن البلاغة والهرمينوطيقا تسيران معاً وتريطان علاقة مشتركة مع الجدل" (25) وبشكل عام فقد خصص ريكور بعض مؤلفاته للكتابة حول الاستعارة والسرد والشعرية، حيث في سياق اهتمامه بالرموز التي تحمل على التفكير أقر بالفائض الدلالي للاستعارة، ففهم الاستعارة على مستوى الخطاب "هو امتلاك الدينامية، التي بفضلها عبارة استعارية أو تناسب دلالي جديد يظهر حطام التناسب الدلالي كما يظهر لقراءة حرفية للجملة" (26) وكيف تربط بين النظرية والواقع، وطابعها الحجاجي الذي يقرب الفهم من خلال مبدأ المماثلة، واعتبر للسرد في الحكايات التاريخية والخيالية قوة إقناعية وبرهانية ابستمولوجية، فالذي يحكي لك حكاية يريد أن يقنعك بمصادقيتها، وسيتوقف إقناعه لك على مدى براعته في حيكها وسردها، حتى أنك لا تستطيع التمييز بين حكاية واقعية وأخرى مختلفة، لكن ريكور بقبوله السرد كوسيلة برهانية وحجاجية في تفسير التاريخ لم يفصله عن الإجراءات العلمية الأخرى، وانتهى إلى "إدراج رابطة اشتقاقية غير مباشرة بها العلم التاريخي يصدر عن الفهم السردى دون أن يفقد طموحه العلمي" (27) هذا يشير إلى أن ريكور يأخذ في دراسة التاريخ بالسرد كمنهج ابستمولوجي متأثراً في ذلك بالفلسفة الأنجلوسكسونية، لكن يضيف إليه الطموح العلمي لدى مدرسة الحوليات الفرنسية التي تطمح إلى تطبيق المنهج التاريخي العلمي الذي يحاكي منهج العلوم الطبيعية.

لقد وضع ريكور اللغة كوسيط بين الذات وذاتها، وبين الذات والعالم ليشهد على دور الحجاج اللغوي في الخطاب الفلسفي التأويلي بالخصوص، حيث كل تأويل يتطلب الحجاج، وكل حجاج يتطلب التأويل. لقد كان يقول: "يجب الاعتراف أنه باستثناء هرder فإن فلسفة الذات صرفت النظر عن الوساطة اللغوية التي تقوم بنقل طابعها الحجاجي حول مقولة أنا موجود أنا أفكر" (28) وبخلاف فلاسفة الكوجيطو* المعتد بنفسه الذين يختزلون الحقيقة في شفافية الذات مع ذاتها، تبنى الهرمينوطيقا الفلسفية لريكور على فلسفة في الذات لا تتعرف فيها الذات على نفسها إلا بطريقة غير مباشرة عن طريق الوسائط اللغوية، كالرموز والنصوص والتاريخ وتعبيرات الأفعال الإنسانية والثقافات بشكل عام، في ما يدعوه هرمينوطيقا المنعطف الطويل.

إن الذات مدعوة إلى أن تحتاج على ذاتها في إثباتها لهويتها، تماماً مثلما هي مدعوة للحجاج على مواقفها أمام الآخرين وهذا هو موضوع كتابه "الذات عينها كآخر - Soi même comme un Autre"، حيث يظهر الحجاج اللغوي في التحليل اللغوي للذات، وفي ترتيب سلسلة الحجج فيما يشبه السلم الحجاجي لدى أوزوالد ديكرود O. Ducrot و ج. س. أونسكومبر J.S. Anscomber انطلاقاً من المفهوم الأرسطي للهوية إلى المفهوم العقلاني

إلى المفهوم السردي قبل أن يعود إلى المفهوم الأنطولوجي أين يجب أن تثق الذات بهويتها الذاتية وتحاجج على مصداقيتها أمام نفسها، لأن الفهم غير المباشر للذات لا يكتسي طابع الإطلاق، فلزال "الكوجيطو مجروحاً" حتى في فهمه لنفسه عن طريق الوسائط اللغوية، الأمر الذي جعل ريكور يبحث عن أساس لوثوق الذات بذاتها فوجده في الإقرار". الإقرار كتصديق ووثوق بالذات كان موجهاً لعمل توسط بين الطموح في الوثوق المؤسس ذاتياً المنحدر عن الكوجيطو الديكارتي واذلال الكوجيطو المختزل في الوهم بعد النقد النييتشوي⁽²⁹⁾ والذي يهتم في هذا الإقرار هو أنه مفهوم حجاجي يبني فهم الذات لنفسها على شواهد وبراهين.

ربط ريكور لمفهوم النص باللسانيات التداولية وفلسفة التحليل وبالفلسفة النقدية عند هابرماس، حيث مجال النصوص هو المجال التحويري والتواصلي، ولكن أيضاً مجال صراع التأويلات الفلسفية والأخلاقية والسياسية والايديولوجية، فإننا نجد أنه يفضل استخدام مفهوم "أخلاق الحجاج" بدل مفاهيم "أخلاق المناقشة" عند هابرماس. يشير مصطلح أخلاق الحجاج إلى أن من يفوز في أشكال الصراع المختلفة في المجتمع هو صاحب الحجة الأقوى، كما يهدف إلى تكييف ما هو عالمي مع ما هو سياقي محلي، ويجعل ما هو متفق عليه قابلاً لأن يكون محل قناعة أو رفض. "ما يجب وضعه محل تساؤل هو العداء بين الحجاج والاتفاق convention واستبداله بجدل دقيق بين الحجاج والقناعة، التي ليس لها مخرج نظري، بل مخرج عملي لتحكيم الأحكام الأخلاقية المرتبطة بالوضعية"⁽³⁰⁾.

ما ينطبق على الأخلاق ينطبق على القانون والسياسة والايديولوجيا ومجال حياة الأسرة، وقصص الحياة، حيث الصراع بين التأويلات المختلفة، وحيث الخطاب في هذه المجالات يحتاج إلى الحجاج، الذي يعمل انطلاقاً من قدرته الحجاجية على نقد الآراء وإبراز قوتها في الإقناع وحل الإشكاليات المطروحة "لأن الحجاج لا يطرح فقط كعدو للتقليد والاتفاق بل كدعوى نقدية منجزة داخل القناعة التي من مهمتها ليس الاستبعاد، بل الارتقاء إلى صف "القناعات الأحسن وزناً"⁽³¹⁾.

في تحليل ريكور لعلاقة الايديولوجيا بالسلطة يتكلم عن جدل الادعاء والقناعة حيث تجعل السلطة الحجاج وبلاغة الخطاب من الأسس التي تقنع الجماهير بخطاب السلطة الايديولوجي والسياسي، ويتعرض ذلك الجدل للخلل كلما فقد الخطاب بلاغته وحجته، بحيث تعزف الجماهير عن خطاب السلطة وتحدث أزمة الثقة بينهما. ومهمة الخطاب الايديولوجي أو السياسي هي سد هذه الفجوة، ولذلك يحتاجان إلى إعادة بناء حتى يقنع الجماهير من جديد. "لأن الخطاب السياسي ليس علماً، لكن في الأفضل خطاب مستقيم، يتميز كذلك عن الاستمي (المعرفي) الذي يعتمد على أدلة علمية"⁽³²⁾. وفي الحقيقة يتبع ريكور في هذا الجانب العملي التفاعلي أرسطو الذي يؤسس الخطاب على البلاغة والحجاج، لأنه خطاب يقوم على الاحتمال ويتطلب الإقناع ويستخدم أكثر اللغة العادية.

يرتكز خطاب التأويل عند ريكور على نسق اللغة العادية الطبيعية المفتوحة على دلالات الواقع، متبعا في ذلك بنفينيست E.Benveniste ومدرسة التحليل الأنجلوسكسونية مع فيتجنشتين L.Wittgenstein، وهذا يعني أن النظرة السيميائية الاستمولوجية المغلقة للخطاب ليست إلا لحظة منهجية ونقدية، تعقبها النظرة الدلالية والوظيفية، حيث يفتح الخطاب على الواقع، ويحتاج بالتالي، إلى ما يسميه الأستاذ عمارة ناصر بالحجاجية حيث

لم يعد الحجاج تنظيمًا لسلسلة الحجج التي تقود إلى خطاب مقنع فقط، بل أصبح فنا للتفكير، وطريقة في الفهم فيما ندعوه بـ"الحجاجية" بوصفه مفهومًا دافعًا للفكر وليس مجرد توصيف لاحق له⁽³³⁾.

يتبين مما سبق أن الخطاب الفلسفي عند ريكور مبني على لغة الحجاج، وأنه استفاد أكثر من بعض نظريات الحجاج المعاصرة والكلاسيكية، لاسيما من أرسطو في البلاغة ونظرية البلاغة الجديدة عند ش. بيرلمان Ch. Perelman، ونظرية الحجاج اللغوي مع ديكر، ونظرية أفعال الكلام مع أوستن وسيرل، حيث الكلام يساوي الفعل في المجال التداولي، وحيث فعالية الخطاب تحتاج إلى المعرفة أكثر بمن يخاطبه وسياقه الثقافي والاجتماعي.

خاتمة

لقد تتبعنا في تحليل موضوع إبستمولوجيا النص وحججه في فلسفة ريكور خطوات مفصلية تتمثل في الوقوف على مفهومي علم النص وإبستمولوجيا النص، وقد انتهينا بخصوصهما إلى أن ريكور يؤسس لإبستمولوجيا النص على علوم النص مستثمرا علم السيمياء وعلم الدلالة واللسانيات التداولية والنقد الأدبي، فالأنموذج الإبستمولوجي لهرمينوطيقا ريكور إذن هو أنموذج لغوي ولساني.

يتجسد هذا الأنموذج اللغوي اللساني في الهرمينوطيقا الفلسفية لبول ريكور التي تقوم على الجدل بين قطب القراءة والتأويل من جهة، وقطب النص من جهة أخرى، وأظهرنا عناية ريكور بإبستمولوجيا من خلال عنايته بمفهوم النص ونسجه ومقولاته استنادا إلى العلوم اللغوية، ثم كيف اعتنى في إطار قراءة النص أو تأويله بإبستمولوجيا منهجية ونقدية تفضل تنويع مناهج قراءة النص، وتؤثر نقد الأحكام المسبقة والإيديولوجيات والأوهام المتحكمة في تأويلاته.

أما مفهوم الحجاج فهو يرتبط بتأويلية ريكور وجدله التأويلي ارتباطا محكما، حيث يكمن وراء كل تأويل حجاجية معينة، ووراء كل حجاج تأويل مائل، ولقد لاحظنا ذلك الحجاج على مستوى البلاغة ودورها في الخطاب الفلسفي عند ريكور، وعلى مستوى اللغة العادية أو الطبيعية الغنية بدلالاتها والمنفتحة على الواقع، والتي يجعلها ريكور وسيطا لفهم الذات نفسها وفهم العالم.

يتبين من كل التحليل السابق لمفهومي الإبستمولوجيا والحجاج عند ريكور مدى الأهمية التي يعطيها لكليهما في التأسيس للخطاب الفلسفي بوجه خاص ومفهوم الخطاب بشكل عام، حيث يظهر أنه بقدر ما يحتاج الخطاب إلى تأسيس لساني وإبستمولوجي، فهو يحتاج إلى بناء حجاجي مادامت اللغة هي الوساطة التي يقوم عليها الخطاب في كل أنواعه وأشكاله، ويظهر لنا أن الخطاب الفلسفي بقدر ما يحتاج إلى الأسس المنهجية والنقدية يحتاج إلى الاستفادة من النظريات الحجاجية وتأويلاتها المختلفة لمفهوم الحجاج، مما يعني أن الخطاب الفلسفي ليس خطابا يبحث عن الحقيقة فحسب، بل خطاب يستهدف الإقناع والتأثير في الآخرين، لاسيما في هذا الزمن المعاصر الذي كثرت فيه وسائل الاتصال والتواصل الاجتماعي والإنساني، وانفتح فيه الناس على الحوار أكثر والتفاعل، وتراجعت فيه قوى الهيمنة المباشرة والتقليدية، وهذا من شأنه أن يعطي أهمية أكثر للخطاب وضرورة إتقانه بالشكل الذي يعبر أكثر عن هويتنا الثقافية المفتوحة على العالم رغما عنها، والتي تحتاج إلى الدفاع عنها بلغة الخطاب الفلسفي المبني على الإبستمولوجيا وقوة الحجاج.

الإحالات والهوامش

1- Ferdinand Gonseth: Le problème de la connaissance en philosophie ouverte, éditions: L'Age D'homme, 1990, Lausanne (Suisse), p: 186.

2- Ibid, p: 188

3- علي رضا قائمي نية: ابستمولوجيا النص. تعريب: حيدر نجف. من موقع: <http://maarefhekmiya.org/2016/01>

4- ديفد وورد: الوجود والزمان والسرد. فلسفة بول ريكور. ص: 275.

5- جوليا كريستيفا: علم النص. ترجمة فريد الزاهي، مر: عبد الجليل ناظم. دار تويقال للنشر. الدار البيضاء، المغرب. ص: 21-6- المرجع نفسه. ص: 21.

7- Francois-Xavier Amherdet: L'herméneutique philosophique de Paul Ricœur et son importance pour l'exégèse biblique, p: 121.

8- Paul Ricœur: Du texte à l'action, Herméneutique II. Éditions de Seuil p: 83

9- Ibid, p: 83.

10- Ibid, p: 124.

11- بول ريكور: نظرية التأويل. تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي. 2003، ص: 31.

12- Francois-Xavier Amherdet: L'herméneutique philosophique de Paul Ricœur et son importance pour l'exégèse, p: 105.

13- بول ريكور: نظرية التأويل، مرجع سابق، ص: 121.

14- Paul Ricœur: Du texte à l'action, op cit, p: 38.

15- د. عادل مصطفى: فهم الفهم. مدخل إلى الهرمينوطيقا. نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير. دار النهضة العربية. ط 1، 2003، بيروت، لبنان. ص: 344.

16- المرجع نفسه ص: 445.

17- François-Xavier Amherdet, op cit, p: 122

18- Paul Ricœur: Du texte à L'action; op cit; p: 408.

19- Ibid, p: 226.

20- Ibid, p: 202.

21- Pierres Claude: L'essai: Métamorphoses d'un genre. Presse universitaires du Mirail, Toulouse, 2002, p: 63.

22- Roland Schmetz: L'argumentation selon Perlman: pour une raison au Cœur de la rhétorique. Presses universitaires de Namur, 2000, p: 13

23- Ibid, p:14

24- Paul Ricœur: La métaphore vive. Seuil, P: 15.

25- عمارة الناصر: الهرمينوطيقا والحجاج. مرجع سابق. ط 1، 2014، ص: 12.

26- Paul Ricœur: Temps et Récit, t1, L'intrigue et Le récit historique, éditions de Seuil: p:11.

27- Ibid, p: 166.

28- عمارة الناصر: الهرمينوطيقا والحجاج. مرجع سابق. 2014، ص: 12.

* فلاسفة الكوجيطو مصطلح يطلقه ريكور على كل الفلاسفة الكلاسيكيين الذين يؤسسون الفكر على الذات ومبادئها، لاسيما ديكارت صاحب مقولة الكوجيطو: "أنا أفكر، إذن أنا موجود" وسبينوزا وكل فلاسفة النزعة العقلية المنحدرة عنهما أمثال لاشوليه ومين دوبيران وجان نابيير، وحتى النزعة الظاهرية المتعالية عند هوسرل حيث تتأسس المعرفة بظواهر الأشياء في النهاية على مقولات ومبادئ الذات المتعالية، وغالبا ما يصف ريكور هذه النزعة التأميلية بفلسفة الكوجيطو "المعتد بنفسه"، في مقابل "الكوجيطو المجروح" الذي أسس له ثلاثة فلاسفة معاصرين هم ك. ماركس وف. نيتشه و س. فرويد، حيث يظهر رفضهم بناء المعرفة على الذات.

29- Paul Ricœur: Soi même comme un autre. Editions du Seuil, 1990, p: 334.

30- Ibid, p: 334.

31- Ibid, p: 335.

32- Olivier Mongin: Paul Ricœur. Éditions du seuil, 1994. p: 108.

33- عمارة الناصر: الهرمينوطيقا والحجاج. مرجع سابق. ص: 5.

المراجع

- جوليا، كريستيفا، (د.س). علم النص. ط 1. دار تويقال للنشر. الدار البيضاء.

- ريكور، بول، (2003). نظرية التأويل. الخطاب وفائض المعنى. ط 1، المركز الثقافي العربي. الرباط:

- وورد ديفد، (1999). الوجود والزمان والسرد، فلسفة بول ريكور. ط 1، المركز الثقافي العربي. الرباط.

- عادل مصطفى، (2003). فهم الفهم، مدخل إلى الهرمينوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير. ط 1، دار النهضة العربية. بيروت، لبنان.
- عمارة الناصر، (2014)، الهرمينوطيقا والحجاج، ط 1. منشورات الاختلاف. الجزائر.
- علي رضا قائمي نية. (2016) ابستمولوجيا النص. تعريب: حيدر نجف. دار المعارف الحكيمة.
<http://maarefhekmiya.org/2016/01>
- François-Xavier, Amherdet, (2004) L'herméneutique philosophique de Paul Ricœur et son importance pour l'exégèse biblique. Éditions du Cerf, éditions Saint Augustin. Paris.
- Gonseth ,Ferdinand, 1990. Le problème de la connaissance en philosophie ouverte, éditions: L'Age D'homme. Lausanne (Suisse).
- Olivier,Mongin, (1994). Paul Ricœur. Éditions du seuil. Paris.
- Pierres, Claude, (2002) L'essai: Métamorphoses d'un genre. Presse universitaires du Mirail. Toulouse.
- Schmetz Roland, (2000), L'argumentation selon Perlman: pour une raison au Cœur de la rhétorique. Presses universitaires de Namur.
- Ricœur, Paul (1975) La métaphore vive. Éditions du Seuil. Paris.
- Ricœur, Paul (1983) Temps et récit. T1, L'intrigue et Le récit historique, Éditions du Seuil. Paris.
- Ricœur, Paul, (1990). Soi même comme un autre. Éditions du Seuil. Paris.
- Ricœur, Paul, (1986): Du texte à l'action. Herméneutique II. Éditions de Seuil. Paris.

تداولية الغزل العكسي العمري بين البنية النصية ومتخيل الإحالة السياقية

د. سليم كرام

قسم الآداب واللغة العربية ، جامعة محمد خيضر - بسكرة، salim.kiram67@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2022/03/03

تاريخ المراجعة: 2022/09/25

تاريخ القبول: 2022/10/26

ملخص

الشعر حقل دلالي يحمل في سياقاته عناصر التحقق التداولي، والطبيعي أنه سيقدم لشقه النظري فسحة من الطوعية في استنبات النظرية وقياس اجتهادات منظرها ورؤاهم بمقياس التحقق الواقعي، ونرى في هذه الورقة البحثية إمكانية تعاطي المنتج الشعري الغزلي للشاعر عمر بن أبي ربيعة تداوليا وقياسه بمقياس الحدث والممارسة القولية، باعتبار قصائده تعبر. رغم جرأتها. عن واقع توافقي وتواصل، يفضي في لغته إلى استعمالات متنوعة في بناء الفعل الكلامي والمداول المجازي، عبر منصاته التواصلية مع متلقيه.

الكلمات المفتاحية: خطاب غزلي، عمر بن أبي ربيعة، تداولية، جون سيرل، متلقي، سياق.

Courtly poetry Omarian pragmatics between textual structure and imaginary contextual reference

Abstract

Poetry is a semantic field that carries in its contexts the elements of deliberative verification, and it is natural that it will provide for its theoretical part a space of voluntariness in cultivating the theory and measuring the jurisprudence of its theorists and their visions with the scale of realistic verification. As his poems, despite their boldness, express a consensual and communicative reality, which leads his language to various uses in constructing verbal action and figurative meaning, through his communicative platforms with his recipients.

Keywords: Flirtatious speech, Omar Ibn Abi Rabea, pragmatics, John Searle, receiver, context.

Pragmatique de la poésie courtoise Omarienne entre structure textuelle et imaginaire de référence contextuelle

Résumé

La poésie est un champ sémantique qui porte des éléments de vérification délibérative, et il est naturel qu'elle fournisse pour sa partie théorique une marge de manœuvre en cultivant la théorie et en mesurant la jurisprudence de ses théoriciens et leurs perceptions sur une échelle de vérification réaliste. Les poèmes, malgré leur audace, expriment une vérité consensuelle et communicative, qui ouvre dans son langage sur des usages divers dans la construction de l'action verbale et du sens figuré, à travers ses plateformes communicatives avec ses destinataires.

Mots clés: Discours courtois, Omar Ibn Abi Rabiaa, délibérant, John Searle, destinataire, contexte.

تحمل اللغة في استخداماتها التواصلية سياقات مختلفة ومتعددة، لذلك فإن قوانينها التواصلية الخاصة غير كافية، لأدائها في التواصل الفكري العام والخاص، فسياق استعمالها وفهمها يتطلب معارف غير لسانية أيضا. لهذا وغيره حرصت اللسانيات على توسيع بحوثها في الجمع بين البنية والدلالة والسياق، بعد أن كان التوجه الفكري قائما على تعصيب أهمية البحث النصي، برأس أحد مستوييه التركيبي أو الدلالي ونادرا ما يكون بهما معا، فكل مقارنة لسانية تتضمن اعتبارات سياقية، تنتمي بالضرورة إلى مجال من الدراسة اللغوية؛ أطلقوا عليها اسم (التداولية أو علم المقاصد).

فالتداولية إذن علم تواصل مقصدي يهتم بدراسة الظواهر اللغوية، كالعلاقات بين العلامات اللسانية ومؤولاتها، وتفسيرها ليس بحسب مادة الكلام فحسب، بل بما تهتم به من خلال دراسة السياق العام للكلام في شكله التواصلية، والتأمل في الظروف العامة للقول؛ من محتوى الخطاب ومكانه وزمانه، وتفسير المقاصد المتوخاة منه، والكشف عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية ناجحة؛ أي أنها «كيفية إدراك المعايير والمبادئ التي توجه المرسل عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية، في ضوء عناصر السياق، وذلك بما يكفل ضمان التوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل المقاصد، لتحقيق هدفه»⁽¹⁾، كما تساهم في حل مشكلات التواصل ومعيقاته، وذلك في الاستعانة بعلم شتى ومشارب متعددة، ما جعلها مجالا رحبا للممارسة النقدية، وفي ضوء هذا التوسع المحقق في امتلاك مكاسب المعرفة الإنسانية على اختلافها، تسعى المقاربة التداولية إلى محاولة المساعدة في الإجابة عن جملة التساؤلات من مثل: من المرسل؟ وإلى من يوجه رسالته وكيف؟ وما هي أهداف الرسالة؟ وهل يمكن أن نركن إلى المعنى التواصلية للغة الرسالة؟ وهل يكون للمقام والمكان دور في إجلاء الرسالة؟ أي هل تستطيع أن تجيب عن تساؤلات كثيرة في ظاهر عملية التواصل ومضموماتها، لأن المعنى لم يعد «ما يقوله النحاة، أو ما تقوله المعاجم، على ما لكليهما من أهمية، ولا في العمليات المعرفية المجردة من سياقاتها، لكن فيما يقصده من يستخدم اللغة وما يريده، وفيما يفهم من يتلقاها . استماعا أو قراءة . وفيما ينتج من دلالات من خلال ظروف السياق»⁽²⁾، وهو ما حوّل التداولية إلى علم اللغة الأول بعد أن كانت . كما يقال . سلة المنسيات في اللسانيات قبل ذلك.

وعليه تهدف هذه الدراسة إلى إبراز المقاربة التداولية للخطاب الشعري القديم، من خلال عناصر السياق المتمثلة في: الباث والرسالة، والمتلقي، بتطبيق خطاطة الباحث الأمريكي جون سيرل على حيز خاص من غزل الشاعر عمر بن أبي ربيعة، وفي جزئية منه (غزل النسوة به).

1. عمر بن أبي ربيعة ومنهجه في الغزل

صنّف النقاد شعر الغزل ضمن الشعر الوجداني، افتتن به الشعراء الجاهليون - بحكم ميلهم العاطفي - وقلدوه وسام صدارة قصائدهم، فأبدعوا به التعبير عن عواطفهم وأحاسيسهم، وعرف في العصر الأموي انتعاشا كبيرا بواسطة عصابة من شعراء بني عذرة، فسمّت به أحاسيسهم وتخلصت من شوائب الغرائز، ومع ذلك اشتهر فيه بل وتسمى على اسمه شاعر من الحضر يُسمى عمر بن أبي ربيعة، الذي جدد فيه وغير وصبغه بسمات جديدة ومختلفة، لعل من أهمها أنه حوّل الغزل من منظوق ذاتي لجوهر سريّ إلى تصوير شجن الآخر به.

لقد عاش عمر بن أبي ربيعة حياة لاهية، أعانه فيها ما كان من غفلة السلطان في ردع المنحرف عن ارتكاب الفواحش، بسبب ما تحقق في حياة الأمة من حرية واختلاط، أسهم في عودة الموبقات وانتشارها وتيسرها في كل

مكان، وأهمها دور اللهو والمجون، وشاعرنا قد أُعطي من مسبباتها (المال وحسن الطالع) ما أثمّله، فقد نشأ في أسرة من أعيان المسلمين ثراءً وحسباً، وكان من رعايته بمظهره ما زاد في نظارة طالع وجهه في نظر غيره، ما جعله فتنة له ولكثير من نساء عصره من الجواري وكريمات البيوت في مكة والمدينة، فاختلف القدما في حقيقة تصرفه فمنهم من يقول: «إنه كان صاحب عبث وفجور، ثم يزعم أن سائلاً سأله: أكل ما قلته في شعرك فعلته؟ فأجاب: نعم وأستغفر الله، ومنهم من يزعم أنه كان صاحب عفة وطهر، وأنه كغيره من الشعراء كان يقول ما لا يفعل، ويزعمون أنه أقسم الأيمان المحرّجة ما أقدم في حياته على حرام، ثم يزعمون أنه عندما أشرف على الموت رأى أخاه الحارث جزعاً مشفقاً، فقال له كلاماً هداً روعه وأكد له أنه لم يأت مما قال شيئاً»⁽³⁾، ويعلق طه حسين على كل تلك الأخبار، ويحاول الخروج منها بخلاصة تقارب بين تضارب ما تناقل من اعترافات الشاعر حين يرى: «أنه صادق كل الصدق حين يؤكد أنه لم يقدم على حرام، ولكن صدقه هذا مقصور على طائفة من شريفات قريش وغير قريش، فليس من شك في أن صلته بأخت عبد الملك وابنته وبسكينة بنت الحسين ولبابة بنت عبد الله بن عباس وعائشة بنت طلحة كانت طاهرة كل الطهر، بريئة كل البراءة من الإثم، كانت لفظية ليس غير»⁽⁴⁾، أما غيرهن فهو مغامر فيهن ولم يحفظ لهن عهداً.

والأكيد أن الشاعر عُمَرُ تعاطى الغزل حتى كان غرضه الوحيد تقريباً في ديوانه، و لا يمكن التأكيد على «أنه أنفق حياته كلها في عبث ولهو، وفي فجور ومجون وأنه فعل كل ما قال»⁽⁵⁾، غير أن حسناته فنياً أن جعل الغزل يخرج من دائرة المعهود لمن سبقه، وذلك أن غزله شمل تصوير حالات الهيام التي حلت بالنسوة إعجاباً به ورغبة فيه، ومهما قيل عن هذا الأمر وواقعيته فإن ريشة عمر في هذا التوجه الغزلي، لم تقل عن جماليته في تصوير مشاعر الهيام التي تحل بنفسه، اتجاه قائمة أسماء النسوة التي شملتها قصائد غزله من مشمول ديوانه الشعري.

ويمكن من خلال ذلك اعتبار التركيب القصصي الدقيق والمحافظ على سلامة البناء الفني، يقدم لنا صورة عن مخيلة الشاعر اللاقطة لمسرح الحدث بكل عناصره القصصية وأدق جزئياتها، في إكبار لذاكرته أو خياله، لأن القصيدة لا تكون لاستنكار للحدث فقط، بل وتخيلاً لجزئياته؛ «فإننتاج الصورة التخيلية يتم عبر مرحلتين: المرحلة الأولى هي مرحلة الاستقبال والإدراك، وتتعلق بالطريقة التي تستقبل بها هذه المتخيلة الصور المفردة من الواقع، ويتم حفظها مجردة، ففوة المتخيلة تكمن في قدرتها على تجريد الصور المادية من مادتها»⁽⁶⁾، ولإعادة إنتاجها في صورة أصلية مكررة، «تلعب فيها المتخيلة دوراً أساسياً، بحيث تتمكن من إعادة تركيب هذه الصور المفردة في صور جديدة، تبتعد كثيراً أو قليلاً عن مثيلاتها في الواقع»⁽⁷⁾، في وصف شعري ينقل الحركة والحوار بل وحتى العواطف، فيفتح للمتلقي نافذة مشاهدة لم تكن مرغوبة لحظة وقوع الحدث، بل وكان حريصاً على سدها حينها، لتجعلنا أمام تساؤل مفاده: هل الوقائع الموصوفة إنتاج الذاكرة أم ابتكار الخيال؟

والحمولة الدلالية المندفعة من قول عُمَرُ تتمثل في التباهي بالفعل؛ بل هي «تمثل ذهني وهذا التمثل لا يأتي بطريقة واحدة، بل هو نتيجة لعل مختلفة، والجديد فيه هو أنه يرتبط بالجانب العقلي، فهذه الصور التخيلية تدفع إلى الانفعال إما انبساطاً أو انقباضاً»⁽⁸⁾، وبيجه أن يلجّ على صفحات مخاطبة البهجة ويتسمّع من استبشاره وفرحته، كلمات القبول والتشجيع والاستجابة بمشاركة الفعل تهنئة قالها لفظاً أو أوماً بها، وهذا المعنى الاستلزامي من نمط المعاني العرفية الضمنية، وهي التي ترتبط بصورة التعبير، وعناصر تركيب الجمل بشتى أنواعه.

2. الباحث جون سول وخطاطته التداولية

جون سول SEARLE لغوي أمريكي معاصر، قدم للدرس التداولي دفعة علمية جديدة، بما أثاره من جدل ونقاش، بعد أن استفاد من دروس أستاذه أوستين AUSTIN بخصوص نظرية أفعال الكلام؛ وقد اقترح لتلك الرؤية اللسانية بعض التعديلات تطويراً للنظرية؛ لذا توجه بتصوراته وجهة المتكلم متسائلاً هل يتواصله مع المتلقي ناقلاً للخبر أو أنه يريد أمراً آخر غير الإفصاح، استناداً إلى مرجعيات ثقافية واجتماعية سياقية يقاسمها مع المخاطب، في سياق فعلي مباشر يحقق إنجاز أربعة أفعال في الآن ذاته، وهي: فعل القول وفعل الإسناد وفعل الإنشاء وفعل التأثير. «فالنص الشعري - إذن - ليس لعب ألفاظ، وليس نقل تجربة ذاتية وحسب، وإنما يهدف . فوق ذلك كله . إلى الحث والتحريض، وبهذا المفهوم الأخير تشمله نظرية "الكلام فعل" أو التداولية، وتعني هذه النظرية: أن التحدث يقصد به تبادل الأخبار، وفي نفس الوقت، يهدف إلى تغيير وضع المتلقي، وتغيير نظام معتقداته، أو تغيير موقفه السلوكي»⁽⁹⁾، فالنص الأدبي كما يوصف تخاطب وتبادل.

ويشير في رؤيته التداولية للجملة أيضاً أن الاتجاه الملائم للجملة في وجهتها الأولى هو "من الكلمة إلى العالم" حيث إنه يستوجب تغيير الكلمات لتمثل العالم بدقة؛ أي أن تتواءم صورة الخبر بين الباث والمتلقي، وتدفع كليهما إلى استنباط مضمون متقارب قد يدل على الخبر، أما الاتجاه الملائم للجملة الثانية فهو "من العالم إلى الكلمة"، فمن المفترض هنا أن العالم يتغير ليُطابق الكلمات، أي أن طاقة الكلمات وحمولتها تصبح أوسع وأكثر تفاعلية. (ما يوجد ازدواجية للملائمة التواصلية أفقياً وعمودياً بين عناصر التواصل الإخباري، حيث تسير العلاقة في كلا الاتجاهين؛ أي ما يسميه التداوليون مبدأ التعاون، أما الاتجاه الصفري للملائمة فهو الاتجاه الذي لا تسير فيها العملية التواصلية بأي اتجاه لأن المحتوى الافتراضي واقع بطبيعته.

وقد وضع لخطاطته النظرية في مجال اللغة سبعة شروط تتحكم في الفعل الإنجازي، توجز في ما يلي⁽¹⁰⁾:

1.2. الشروط الأولية (preliminary conditions): وهي شروط تبين ضرورة اشتراك المتخاطبين في جملة من المعارف القبلية، التي تمثل خلفية Background للتواصل بينهما، كأن يكون المخاطب قادراً على تنفيذ الأمر الموجه إليه.

2.2. الشروط التحضيرية (conditions Preparatory): وهي شروط متصلة بسياق الكلام الذي يؤثر حديث المتخاطبين، وتدرج هذه الشروط التحضيرية ضمن متضمنات القول، مثال ذلك: سأعيرك سيارتي. فملفوظ من هذا القبيل يفترض أن المتكلم يملك سيارة.

3.2. شروط الغاية (Purpose conditions): وتقضي هذه الشروط أن للمتكلم غايات يرمي إليها، كالإخبار والتعبير والالتزام والتقدير...

4.2. شروط المواضعة (Onvention conditions): وتتشكل من التعابير اللسانية التي يلجأ إليها المتكلم لإنجاز فعل ما، فعندما يتوخى التعبير عن التزامه بفعل شيء ما، يعتمد إلى لائحة من الأفعال مثل: أعد، ألتزم، أتعهد... وإذا أراد التحذير قال: أحذر، أتوعد، أنذر.

5.2. شروط القصد (Intention conditions): وتضم مختلف النوايا التي بمقدور المتكلم التعبير عنها كالإخبار والاستفهام والأمر... وتفترض هذه الشروط أن للمتكلم رغبة في الكشف عن نواياه لمخاطبه من خلال ما يتلفظ به.

6.2. شروط المحتوى القَـضَوي (Propositional Content Conditions): وتتشكل من القواعد التركيبية والدلالية التي توجه القوة الإنجازية لمفوض ما، فالمحتوى القَـضَوي للوعد مثلا يستلزم أن المتكلم سينجز فعلا ما مستقبلا.

7.2. شروط الوفاء/ الإخلاص (Sincerity Conditions): وتحدد هذه الشروط الحالة النفسية للمتكلم، من حيث اعتقاداته ورغباته ونواياه أثناء التلفظ بالفعل، فعندما يخبر المتكلم فمن المفترض أن يكون حديثه صادقا، وعندما يلتزم بفعل شيء ما فذاك يقتضي القدرة على الوفاء بالوعد، وقد تختلف قوة شروط الوفاء من فعل لآخر؛ فأن أقول "أطلب منك فعل كذا وكذا" ليست بالقوة الإنجازية نفسها لجملة " أَلح أن تفعل كذا وكذا".

3. تداولية الخطاب التخيلي في الغزل العكسي العُمري

قد يكون غزل شاعرنا عمر بن أبي ربيعة على لسان نسوته ضربا من القصص التخيلي، استدعته ظروف متعددة، لعل أبرزها إيمانه على مجالس الندماء المتعطشين لأخبار الإثارة، خاصة أنه نقل خبرا يتم في صورة من الغياب عن ساحة الحدث، ليكون اقتحام الشاعر بنفسه فجأة في اللحظة التي يحسم فيها أمر الحبكة، وهذا في أغلب قصائده فتكون نهاية الحدث بنهاية بنائها الفني.

وهكذا فنظم هذه القصائد إنما هو إشباع نفسي لقوة إعجاب الشاعر بنفسه وانشغاله بها، بل وإقناعها بنرجسيتها التي تتحقق على بساط القصيدة، على أكمل صورة كما يريد، كما أن هذا الكم المعتبر من هذا النوع من القصائد في الديوان، يجعلنا نتساءل عن طبيعة المستمع وهوية المتلقي لها، فالشاعر من المؤكد أن قصَّه لكل تلك الحوادث لم يكن لإشباع رغبة خاصة فقط، إنما هي أيضا رغبة تكتمل حين يكون هناك مستمع يشغله معه في هذا الأمر، ويستعرض عليه تلك الأحداث ويعمل على استثارته، ليحقق من خلاله تلك النشوة النرجسية، ولذلك فقص الأحداث بهذا التوظيف الحدتي وانتظام الوقائع، لابد أن يكون فيه جانب من الواقع والكثير من التخييل القصصي، وفي ضوء ما سبق ذكره فإن الأحداث في الغالب حوارات بينية في فضاءات خاصة، لا تمكن الشاعر الاستماع إليها وحضوره بعدها، إنما يكون مقحما كما سنوضح.

ومن هنا يلعب التخييل في البناء القصصي لغزليات الشاعر عمر النسوية دورا فعالا في التشكيل العام للحوادث، بحكم أنها في مجموعها ترسم حادثة واحدة مكررة، تتمثل في شغف النسوة بالحديث عنه أو الشوق إلى رؤيته، رجاء وفائه بوعود لهن، وهذا الكم الهائل من المغامرات مع مسميات عديدة لا يتسنى له تحقيق نزر من ذلك الوفاء، أو حتى إرواء ضمأ بعضهن من العشق، وهو في كل حادثة يذكر شكوى إحداهن أو مجموعة منهن، وهي في حوار بحالة من الهيام والشعور بمرارة الفراق والشجون العارم، جراء الحرمان الممارس من طرفه، والإهمال الذي يحدثه انشغاله ببعضهن القليل أمام السواد الأعظم من المتروكات منهن.

وأمام شغف تتبع المغامرات وفضول الكثيرين من أترابه اللاهيين، كان شاعرنا عُمَر يرسم تلك اللوحات بأسلوب فني جميل، يجمع بين الرغبة في إظهار الذات بالمظهر المغامر المطلوب، وبين الاهتمام بجزئيات الأحداث والوقائع، ورسم الأهواء والمشاعر، زيادة في استثارة المتلقين وتقريب الدلائل لإقناعهم بواقعية الحوادث، وربطهم شعوريا بما يرويه من قصص المغامرات الغزلية، التي تتشوق نفوس حُضَار المجلس إلى سماعها والاستزادة من غيرها، وإن كانت في مجموعها نسخا مكررة، لكنها بحسن إجادة تركيبها لم تكن مموجة، ولا تترك لهم فرصة التدبر في أمرها ومساءلة صاحبها أن يغير بعضا من وقائعها، «فمتى ما يكن لديك أناس يشتركون في أفكارهم ومشاعرهم وما أشبه، يكن لديك قصيدة جمعية»⁽¹¹⁾، وهذا ما تشكلت عليه مجالس اللهو والمغامرات التي

كان يخاطبها عمر، وتنتظر منه متعتها التي تتكرر دون ملل أو ضجر من الطرفين، وكأنها أصبحت من منتظرات الأخبار الصحفية حول موضوع الساعة أو أكثر، كما لو نتخيله في قول الشاعر في إحدى مغامراته الغزلية يقول:

وَحِبَابُ الشَّوْقِ بِيَدَيْهِ النَّظَرِ	فَعَرَفَنَ الشَّوْقَ فِي مُقَلَّتِهَا
لَوْ أَتَانَا الْيَوْمَ، فِي سَرٍّ، عَمْرٍ	قُلْنَ يَسْتَرْضِينَهَا: مُنِيَّتَنَا
دُونَ قَيْدِ الْمِيلِ يَعْدُو بِي الْأَغْرِ	بَيْنَمَا يَذْكُرُنِي أَبْصَرْنِي
قَالَتِ الْوَسْطَى: نَعَمْ، هَذَا عَمْرٍ	قَالَتِ الْكُبْرَى: أَتَعْرِفُنِ الْفَتَى؟
قَدْ عَرَفْنَاهُ، وَهَلْ يَخْفَى الْقَمَرُ! (12)	قَالَتِ الصَّغْرَى، وَقَدْ تِيَمَتْهَا:

بناءً على خلفية معرفية مسبقة بالعوامل السياقية المحيطة بالنص، تتكشف لنا لغة القصيدة عن ذات تكاد تكون قد تكتشف أمامها المشهد عن بعد، فهي أمام ما استشرّف من واقع حوار ذات تحلم وتلاطف وتوقظ في عمقها مكان الشعور بالأهمية، ليتم استحضار أمر تفعيل النقاش، وبهذا فابن أبي ربيعة بسط أمام مستمعيه قصة الحوار المسموع رغم بُعد المسافة، وقد ألمّ بفكرته ولفظه، فنحن أمام قصديتين للشاعر من خلال تقديم هذا الخبر؛ قصيدة الفعل: وتتمثل في اقتناعه بحقيقة الفعل ووقوعه، وقصيدة التبليغ لجلسائه: من أجل اكتساب مزيد من تأكيد مقصدية الخبر وحقيقة وقوعه، وهذا ما يؤكد مستوى التلقي الحاصل من جمهوره المستمع، سواء كان من تجمعات اللاهيين، في دور المتعة المنتشرة في ساحات وأزقة مكة والمدينة، أم أمام أتراب مجالس السمر والإمتاع النفسي، ممن يسترقون أوقات المتعة في بعض المجالس الجانبية الخاصة والمتطرفة.

ومن منطلق شروط سورل في تحقيق إنجاز الفعل؛ فإن المتخاطبين على توافق في مشمول المعارف العامة، خاصة وأنهما مهيان لتقبل الإفادات الإخبارية، فالمتلقيان على معرفة مسبقة بالمغامرة ولا ينتظرون إلا التركيب القصصي الشائق، الذي ينظم الوقائع كانتظار المريض لحبة الدواء، وإذا ما نظرنا في مدلول بعض المفردات (فَعَرَفَنَ الشَّوْقَ يَسْتَرْضِينَهَا وَقَدْ تِيَمَتْهَا)، نجد حمولاتها مما تعودوا حضوره في غير هذه القصة، حتى أن أغلبها تدل على محمول الماضي، فحبهن تظهروا لمحات لفظية تجعل من الشاعر يرسلها في سياق كلامه، تنقر تصوراتهم دون توضيح أو اعتراف، وغايته منها جمعهم في أمر الإخفاء، فكلهن يحبين الشاعر المغامر ويكابرن في مداينة العاشقة المعلنة، فالشروط الأولية كما يسميها سورل متضمنة، والمخاطب على قدرة كاملة لتحقيق الاستثارة التي تبهج الشاعر وتتلج صدره، هذه ما أسماها الباحث في خطاطته بشروط الغاية.

إن معرفة الشاعر لرغبة اللاهين من أصحابه، وما يحمل لهم من المتعة وإن كانت مبالغاً، هي التي جعلته يعاود ذلك، فلا أحد ينكر عليه هذه المبالغة، بل إن إيهامه بعظيم ما يفعل بهن هو ما جعله يعاود، وهو يدرك أنه مسموع مصدق، وقد يأخذ صورة ردة الفعل بالإعجاب مما يقولون ويرون في تلك البطولات والمغامرات صورة من داخلهم يريدونها أن تتحقق، ويرونها تتجسد في تكرار تلك المغامرات، حتى بات غيرها من الأمور المستكرة على الشاعر، بل إنهم يملكون «إمكانية التفكير شعورياً بشبكة اعتقادات عليا عن الاعتقادات، ولكن عملياً تدعوهم حدود الزمان والطاقة إلى التوقف عن مواصلة الارتقاء في الاعتقادات المتكررة» (13).

إن الإعلان المصاحب لتحقيق حالة الانتشاء لدى المخاطبين، وهم يتابعون أحداث القصة ويتخيلون وقائعها وملابساتها، يُعملون خيالهم في تركيب الشخصيات والحوادث والمكان والزمان، كل ذلك ولا يخامر أنفسهم أن الشاعر قد يكون في حالة تخيل، بل لا تبلغ عقيدتهم حد الشك في أمر الوقائع، فهم مع تعدد القصص وتعودهم

عليها، قد ارتسم في أعماق مخيلاتهم أنها من الوقائع البسيطة في حياة ابن ربيعة العامرة بالمغامرة، وإن كانت بعيدة التحقق في عالمهم، لذلك فأمر التكذيب لم يكن مما يرد على خواطرهم، وهذا ما يراه سورل من عناصر الشروط التحضيرية، وإذا ما أبصرنا أحداث قصة مشابهة لتلك في المضمون، مختلفة عنها في اللغة والصياغة عرضاً وإيقاعاً، سيصدق الأمر أكثر مع حوار الأخوات الثلاثة، في حديث عن قصته معهن يقول:

قَالَتْ لِتَرْبِيَهَا بِعَمْرُكُمَا	هَلْ تَطْمَعَانِ بَأَنْ نَرَى عُمَرَ
إِنِّي كَأَنَّ النَّفْسَ مَوْجِسَةً	وَلِذَاكَ أَطْمَعُ أَنَّهُ حَضَرَ
فَأَجَابَتَاهَا فِي مَهَازِلَةٍ	وَأَسْرَتَا مِنْ قَوْلِهَا سَخِرَا:
إِنَّا لَعَمْرُكَ مَا نَخَافُ وَمَا	نَرْجُو زِيَارَةَ زَائِرٍ ظَهَرَ
لَوْ كَانَ يَأْتِينَا مُجَاهِرَةً	فِي مَنْ تَرَيْنَ، إِذَا لَقَدْ شُهِرَا
قَالَتْ لَهَا الصَّغْرَى وَقَدْ حَلَفْتُ	بِاللَّهِ: لَا يَأْتِيَكُمَا شَهْرَا
فَتَنَقَّسْتُ صَعْدًا لِحَلْفَتِهَا	وَهَوَتْ فَشَقَّتْ جَبِيهَا فَطَرَا
وَجَرَتْ مَاقِيهَا بِأَدْمَعِهَا	جَزَعًا، وَقَالَتْ: حَبِّ مَنْ ذُكِرَا ⁽¹⁴⁾

يبدأ التركيب الوصفي للأحداث من خلال وشوشة نسائية، قد احتجبت عن الأنظار كان عمر بن أبي ربيعة موضوعها، وقد تمنين ابتها لا رؤية فارس الأحلام بزيه وحسن طالع، فسخرن من بعضهن أمام ما يحول بين حضوره وبينهن، حتى أن الشوق بلغ منهن مبلغ الخصام والنفار، حين أقسمت إحداهن حنقا أن غيابه سيكون طويلا، فكان نتاج ذلك أن أكثرهن ولها به، قد شقت ثوبها ألما واكتئابا دون شعور منها، وزاد في إبراز شجنها دموع أحرقت المآقي، واعترافا صريحا بالعشق كان عنوانا وفحوى نهاية الحوار، ويستترسل عمر يصف الوقائع بدقة دون نسيان أدق التفاصيل، وكأنه خلف ستار قريب يسمع ويرى، ونقف مشدوهين أمام دقة الوصف وهو ينقل المشهد إبداعا وإخبارا.

وهنا نحن نقف على مُكَمِّل قصصي لمجسم الدنجوانية، التي رسم أجزاءها من خلال ذلك التعدد، في قصص شجن عاشقات وهائمات خياله ومغرومات وصاله، وكيف به يستعذب شجوهن وأنين بوجهن، وعبرات الألم التي تنتثرها مآقيهن، يعترفن بحب أعرج يجدن أمامه صدا للربغات فيه، وزهدا في المتغزلات به على غفلة منه وغياب/حضور.

وإذا ما تحولنا فنكون من بين جلسائه، فإننا نراه في استهلاكه للشعر يوظف الطريقة التأثيرية، التي تصلح لهذا المقام لا الفنية، لأن الرؤيا السطحية لهيكل النص تتسجم وواقع الاستثارة المطلوبة، والتي يدرك الشاعر أمرها وكيفية إسعارها في مستمعيه، وهو يحسن استخدامها، ولو تتحول الرؤية إلى أفقية العمق لشعرنا كمتلقين بالتركاز، وهذا ما لا يسمح الشاعر بالانتباه إليه، لأنه يحسن السيطرة عليهم ويعرف كيف يقودهم إلى ما يحقق استنارتهم، فالمخاطب إذا قال «جملة نحوية ذات شكل إخباري بنية الإيهام بإنجاز عمل متضمن في القول، وهناك مجال واسع للاعتقاد بأن مخاطبه سيصدق بأنه ينجز عملا متضمنا في القول يفيد الإخبار»⁽¹⁵⁾.

لذلك تمثلت شروط المواضعة عند عمر بن أبي ربيعة، في عملية نقل خبر تلك المغامرات الماتعة لدى شركائه في عملية التواصل، وتكمن في استخدامه لصيغة الفعل الماضي، وهذا لتأكيد وقوع الحدث، فتقديمه لفحوى الخبر مقرونا بجزيئات الحوار كما يجب أن يكون، قد وقع وكأنه يحضر تلك المناجاة الأخوية، بين فتيات في فضاء خاص يدركن أن فحواه بعيد عن الأسماع، وهو يؤكد أنه لا يمنعه مانع ولا يحول بينه وبين ما يريده

حائل، سواء معرفة الخبر أو إدخال الفرحة قلب مشغوفاته، فإذا تأملنا المقطع الدرامي المقصود في الأبيات، نجده يشمل الأفعال التالية: "تَنَفَّسَتْ وَهَوَتْ فَشَقَّتْ وَجَرَّتْ ذُكْرًا"، فهي ترسم مسار الإثارة التصاعدي الشعوري لعاشقات عمر، وما ذلك إلا تنبيها لعواطف سامعيه والضغط عليهم لاستحضار المشهد وإدراك ما يفعل حبه في عاشقته.

وبهذا يتحقق شرط القصد أيضا فكما سبق أن عمر بن أبي ربيعة من خلال مرويياته، يهدف إلى تحقيق أهداف قصدية خاصة ذاتية وعامة موجهة، فهو في سياقاته اللغوية يشعل الحوار ويبلغ به إلى ذروة الشوق، الذي قد تبلغه عاشقته فينفسن أقدار الهجر والفرق، بعبرات تسح من أجفان كانت تلهث لرؤية صورة معشوقها، فإذا بها تحرق المآقي تأكيداً على الانهزام وتحقيقاً للخضوع، وهذا ما يؤكد رغبة الشاعر في توجيه قصصه إلى إثبات ذلك التعذيب الذي يمارسه، وفي نفسه قد يخفي إخفاقه في الوفاء لمحبوبة واحدة، قد تختزل تلك القصص المموجة المكررة في قصة واحدة، تكون خالدة كفعل العذريين، كما يرجو من تلك المقصدية في توجيهه لجلسائه إثارة الشغف فيهم، حتى يجد من يوافقه على تلك المغامرات من عطش الراغبين، في الاستمتاع بحوادث الحب والهيام ومغامراته المفعمة بالشجن والاستهواء، وما هؤلاء بحاجة إلى أدوات لاستشارتهم لأنهم يملكون القابلية للاقتناع، فهم آذان تسمع ومخايل تستمتع، تنتظر القصة بعد القصة ولا يتحول الاستماع إلى حال مختلفة إنما هو هو وما غاب فيهم، فالفعل التأويلي الذي يبني على «سلسلة من الاستدلالات التي يقوم بها القارئ أو المستمع، الذي يعول كثيرا على قدرته الاستنتاجية في تحديد ما يعنيه المتكلم»⁽¹⁶⁾، فإن المخاطب يقف اثبا وراء بنية اللغة التي شكلها النص المسموع، لتحيله على تكشف الذات المرسله لهذا الخطاب عن تجربة المأساة، التي قد تكون فردية في اللاوعي مختزلة لتجربة الشعور العام للمخاطب، ونذكر من البداية أن تكرار القصة بلغ بالذات المتحدث آخر متعتها و بالذات المخاطبة آخر نشوتها متعطشة إلى المزيد.

إن التوجه الغزلي العمري يقوم على انتهاك البنى المعمول بها عند غيره، ويرسم بنية مؤسسة على إحالة الإثارة للمتلقى بسياقات نصية نفسية، بوصفها الشكل المرجعي لكل عملية إبداعية يستسيغها الذوق المشترك بينهما، ويؤثر هذا على السياق الداخلي، الذي يأخذ شكل الظاهرة، إلى أن ترسي مجموعة من القواسم المشتركة بين المنتج والمتلقي، وتشكل اللغة أول فضاء ذهني مشترك، يمكن اختراقه باختلاق فضاءات ذهنية مستقلة تكون في حد ذاتها مبعث المتعة التخيلي، فتصبح البنية النصية المنطلقة من مؤول معين، متجاوزة لهذا السياق، «فالنص الشعري بما هو فعل رمزي يمنحنا فرصة الحديث عن المقام في غيابه»⁽¹⁷⁾، وإن لم يعط هذه الفرضية يكون النص المستهلك سالبا، غير أن عملية التأويل التي توغز إلى فكرة انتشار وباء العشق، والتي باتت في عصر الشاعر تفاح حديث المجالس، قد غيرت فعل العناصر السياقية التي أطرت عملية الإنتاج، وحولت النص من إبداعي يحتق بإنتاجه، إلى رؤية نصية وصفية تاريخية مرتبطة بفترة سادها الفراغ الروحي.

لقد كان الخطاب عند الشاعر خطاب حوار أحادي (مونولوج)، ينطبق فيه شخصياته ويتمثل قولهن انطلاقا من قناعاته وتوجهاته، وبذلك اعتبر الدارسون عمر بن أبي ربيعة من الشعراء النرجسيين، الذين افتتنوا بحب أنفسهم، وقد ساعدت كثرة مغامراته وحياته الباذخة على اختراع تلك الحوارات من منطلق اغتراره بنفسه، ورغبة في إثارة انتباه المستمع حول تلك المغامرات، ومن ثم محاولة تكرار الموقف لترسيخ ذاك المعتقد، ليصبح الإخبار حقيقة ثابتة وإن أعادها فهي من طبيعي ما يقع للشاعر أمام كثرة عاشقته.

وإذا ما تطرقنا إلى مقطع قصصي آخر من قول شاعرنا، قد يختلف نوعا ما عن النموذجين الماضيين، يرسم فيه الشغف المذكور منهن بأسلوب مختلف وأدوات أخرى؛ فنجدته مثلا يبرز هذا الشغف من خلال رسالة من

إحداهن، نقلت معها حديثاً آخر غير الذي احتواه مضمونها غامزاً جلساءه ببعض الجزئيات التي تنشط خيالهم وتحرك فيه شغف استثارة تتمة الحكاية دون الابتعاد عن القلب المُسَطَّر من الشاعر، تماماً كما يرى بعض نشطاء التداولية أنه «يكفي أن نقرر أن كل قول يظهر في خطاب تخيلي يوافق بالضرورة عملاً موهماً بإنجاز عمل متضمن في القول يفيد الإخبار دون نية في المغالطة»⁽¹⁸⁾، فلننظر أولاً إلى مضمون الرسالة إذ يقول:

أَتَانِي كِتَابٌ لَمْ يَرِ النَّاسَ مِثْلَهُ	أُمِدَّ بِكَافُورٍ وَمِسْكِ وَعَنْبَرٍ
كِتَابٌ بِسُكِّ حَالِكٍ وَبِصُفْرَةٍ	وَمِسْكِ صِهَابِيٍّ يُعْلُ بِمَجْمَرٍ
وَقِرْطَاسُهُ قُوْهِيَّةٌ وَرِبَاطُهُ	بِعَقْدٍ مِنَ الْيَاقُوتِ صَافٍ وَجَوْهَرٍ
عَلَى ثَبَرَةٍ مَسْبُوكَةٍ هِيَ طِينُهُ	وَفِي نَفْسِهِ تَقْدِيكٌ نَفْسِيٍّ وَمَعْشَرِيٍّ
وَفِي جَوْفِهِ مَنِّي إِلَيْكَ تَحِيَّةٌ	فَقَدْ طَالَ تَهْيَامِي بِكُمْ وَتَذَكُّرِي
وَعُونَانُهُ مِنْ مُسْتَهَامٍ فَوَادُهُ	إِلَى هَائِمٍ صَبَّ مِنَ الْوَجْدِ مُشْعَرٍ ⁽¹⁹⁾

إن ما يحمله المقطع من إشارات دلالية، يؤكد أن مسار شاعرنا في تأكيد نمط حياته لن يختلف، وأن ما تشمله رسائله من ملامح شغف الآخر به، لا يمكن حدها وحصر مظاهرها، فهي رسالة فاخرة قد ضمنت بأثمن وأجود العطور وكتبت بمداد ثمين على رق رفيع وفي رباطها عقد ياقوت تتناسب ومقام حبيب القلب، وخطت فيه جملة قصيرة تعبر عن مدى الشوق، برموز أراد الشاعر مشاركة سامريه استنارتها.

وقبل إسقاطنا للشرط السادس من شروط الخطاطة، والمتمثل في شروط المحتوى القصوى، على ما تمثله من آليات ومحمولات التأكيد على قوة إنجاز الفعل، وجب التساؤل في أمر إصرار الشاعر على إشراك جلسائه في أمر الرسالة، ولماذا اختار إثارتهم بهذه الوسيلة؟ فالمقطع يؤكد بطريقة غير مباشرة ذكاء الشاعر في تنويع مثيراته لأصدقائه، فيكون واقعياً في فعله المقصود، فالرسائل إحدى الأدوات التي كانت تستخدم بين المحبين لتأكيد الوفاء، بل إن بعضها بما تحمله من معاني الوداد قد تدفع إلى التأثير ومراجعة الموقف، غير أنها تكون من المفجوع في حبة الوفي له، أما أن تكون من امرأة فهذا ما كان قليلاً وقد استخدمه الشاعر في علاقاته، وبهذا يمكن أن نصل من خلال رمزية الرسالة، إلى أن الشاعر يؤكد على بقاء واستمرارية مطارديه وهيامهم به، بل ويرى أنه وتلك المثيرات التي تمتع نفسه بالفعل، وتمتع جلساءه بالحكاية والقص، فالمحتوى القصوي في هذا المقطع يمثل تحقق المتعة، ولعل وصف الرسالة وقراءة مضمونها واستثارة سامعيه بذلك، هو زيادة في تأكيد الوفاء لإحساس الشاعر بالترجسية الدونجوانية، التي طبعت حياته وغلبت على فكره، فانطلق يريد نشرها بين الناس ولو بفضح أمنيّات صويحباته المغرّبات، فيكون شاعرنا «كالمتكلم في القول التخيلي له فعلاً نية الإيهام ولكن ليست له نية المغالطة: فهو إلى جانب ذلك ينوي الإيهام بإنجاز عمل متضمن في القول، وهو عامة عمل متضمن في القول يفيد الإخبار»⁽²⁰⁾، فبتعدد بنية التركيب الغزلي في ديوان عمر بن أبي ربيعة، شكلت فضاء ذهنياً مشتركاً، يسعى لبناء افتراضات مسبقة تتعلق بنصوص أخرى، تكون مبعث الإعجاب والتقبل لها وتأكيدها لما مرّ بهم منها من قبل.

ويظهر وفاء الشاعر لهذا الإنجاز الغزلي، في حرصه على تكرار تلك المجالس، والسعي إلى إحداث المتعة لجلساء لهوه ومتعته في إرضاهم بفعله، سواء طالبوا بالجديد أم اكتفوا بالترقب والانتظار، ورغم ذلك فلم يخبُ لهيب مغامراته لأزيد من أربعين سنة من سنه، وهو يكرر في أيام سنوات لهوه تلك اللوحات، وأمانيه أن يؤكد من خلالها وفاءه وإخلاصه المطلق لغزله، وإن لم يرق لبعضهم فهو قد اكتفى من رفقاء المجالس المستمتعة بما يقول،

والسكاري بنشوة يعيث فيها عمر بن أبي ربيعة عابثا بقلوب عاشقاته، سواء أكان صادقا أم خالط قوله التخييل والادعاء وكثيرا من المبالغة، كمثل قوله يطلق الأخبار الكاذبة يقول:

خبروها بأنني قد تزوجتُ	فظلتُ تكأتم الغيظ سرا
ثم قالت لأختها ولأخرى:	جزعا: لَيْتَهُ تَزَوَّجَ عَشْرًا
وأشارتُ إلى نساءٍ لديها	لا ترى دونهنَّ للسرِّ سترا
ما لقلبي، كأنه ليس مني	وعظامي إخال فيهن فترا
من حديثٍ نَمَى إليّ، فظيع	خلتُ في القلب من تلظيه جمرا ⁽²¹⁾

تتضمن الرسالة إشارة إلى ذات بعينها لم يشأ الإفصاح عن كنهها، مشيرا إليها بضمير التأنيث عامة، حتى بات المميز لمقصود رغم إيهامه به، وهذا التكرار الإشاري يجعلنا نتساءل هل لهذه الذات وجود مرجعي؟ خاصة إذا تكررت الإشارة إلى ذاك المخاطب دون تحديد هويته، في ظل التعدد الكبير لضمير الآخر، حتى بات معرفة هوية المقصودة عند سامعيه من المنسيات، فميزة غزليات عمر بن أبي ربيعة أنها تُقرأ في سياقها النصي قراءة خاصة، خارج سياقاتنا الأخلاقية وحساباتنا القبليّة، وإلا فإننا نفقدها مشروعها العام ونجردها من كل ما حققته من ضجيج إعجاب المتذوقين في كل عصر.

فرسائل الشاعر من عفوية تركيبها وسياقها السردية، ننساق إلى أنها فعلا تحمل صفات الصدق في تقديم الخبر، وتعمل قصصه فيها على تأكيد واقعيته انطلاقا من آليات معنوية وأخرى لسانية، تتمثل في تلك الفونيمات التي سبق استخلاص ما تعلمه في مضمون الرسالة، من عمل لتأكيد صدق الحدث وواقعيته، فميزة عمر بن أبي ربيعة في مجموع شعره أنه حول المفردات ودلالاتها من حقول معينة إلى إحالات سياقية مفردة تصب كلها في وجهة الغزل فباتت تنبض بروح جديدة مختلفة.

وهذا من شروط خطاطة سورل، من أن قائل الخطاب التخيلي الوفي المخلص لا ينوي مغالطة مخاطبه، بل «يوهم بأنه يقوم بإخبار ينبغي أن يفهم؛ بمعنى أن المخاطب في الخطاب التخيلي لا يسعى إلى مغالطة مخاطبه بخصوص التزامه ولا بخصوص نواياه»⁽²²⁾، ويؤكد الباحث في هذا السياق التداولي «أن الأقوال التي تعبر في نص تخيلي ما عن قضية صادقة، تتوافق تماما مع الأعمال المتضمنة في القول الحقيقية التي تقيد الإخبار، وبعبارة أخرى إذا كان لابد من أن نميز داخل خطاب تخيلي وحيد، بين الأقوال التي تعبر عن قضية صادقة، يتحقق فيها عمل متضمن في القول أصيل يفيد الإخبار، وبين الأقوال التي تعبر عن قضية كاذبة يتحقق فيها دون نية المغالطة فعل الإيهام، بعمل متضمن في القول يفيد الإخبار»⁽²³⁾.

إن مفهوم الخبر في المدونة الشعرية العُمرية، قد أخذ منحى إضافيا عما كان يدل عليه شعر معاصريه وخاصة العذريين؛ إذ إنه لم يعد مجرد إعلان يرجى الاطلاع عليه لاكتشاف حقيقة الخبر، بل فعلت رغبة الشاعر الخاصة بالخبر فعلها في تجاوز واقعية التبليغ والتثبیت، فلم تكن تلك القصائد وربقات في كتاب الذكريات، كتبها وحيدا نتيجة تجربة عشق فاشلة أو حتى ناجحة، يدفعه الشوق إلى العودة إليها في لحظات الهروب من الواقع مستقبلا، إنما تلك القصائد على تعددها تمثل جملة كبيرة واحدة، كُتبت بجمال صغيرة متكررة تحمل ذات الجزئية، ولكن بمفردات مثيرة يُحسن الشاعر اختيارها، ويحسن توظيفها واستظهار مخبوءاتها أمام جمهور كان يستعمله، من أجل اختبار قدرته، فيؤكد الجمهور. دون إفصاح على دونجوانية عمر بن أبي ربيعة التي يريد سماعها،

والشعور بقوتها في ذاته، والدراسة هنا دعوة صريحة لتحسين أحكامنا المرتبطة بموروثنا والتي تعتبر جزءا من معرفتنا المشتركة.

4. خاتمة

الخطاب الغزلي العُمري في سياقه العام واقعي إلا أنه في بنائه الحدتي امتزج فيه الواقع بالتخييل. عملية التواصل التخاطبي بين الشاعر ومستقبلي رسائله كان متكاملًا، إذ لم يترك فيه من الغموض إلا ما كانت تفرضه الآداب العامة، ولذلك خرق مشمول نظام نظريات التواصل، التي ترى بأن القارئ ممتحن؛ «كلما واجه نصا أدبيا، اختبر قدراته على تحمل المعاني الإضافية بموجب ما ركب فيه من مواطن غامضة تتحمل التأويل، ومن هنا كان الأثر الأدبي في نظرية التخاطب أثرا مفتوحا، يستدعي التأويلات العديدة ويتقبلها، فيزداد بها ثراء على ثرائه»⁽²⁴⁾.

ولأن النص الشعري خطاب يستوجب التدبر والتأمل، كان مخصوصا به فئة معينة من المتلقين، يجتهدون في محاورته واستدراج آفاق جملة الصغيرة وجملة الكبرى، إلا أن عملية التخاطب في القديم لم تكن على صورته الحاضرة، من الغموض وتضييع الدلالة العلاماتية للجملة، بحكم تقارب المكونات الثقافية للمتخاطبين، كما أن غاية هذا المجالس من الشعر الغزلي إنما كانت للبحث عن المتعة وتصورها، بل وتمثل حالها كبعض أحلام اليقظة العابرة، لا تنفك تتحلل بانتهاء مغامرة القصيدة لتكون بعدها أخرى وهكذا.

من خلال التحليل التداولي لعناصر التخاطب المحددة، وخاصة العوامل الجانبية يمكن استنتاج مدى ما كان للجانب التخيلي في سرديّة الخبر، لدى عمر بن أبي ربيعة في تعامله مع المتلقين.

يتوقف معرفة توقع الخطاب لدى المتلقين من معرفة وسيلة نقل الخبر، وهنا يعتمد عمر في كسر أفق المتلقي إلى مفاجأته في تقديم الخبر بصورة آليات متنوعة، ما يحقق في نفوسهم متعة إضافية إلى التي كانت منتظرة. تؤكد طبيعة السرد وما وراءه من غايات عُمريّة، على ما توصلت إليه قدرته السردية من تطور في خلق عوالم حقيقية، مكنته من استحداث شخوص وحوارات ممتعة، جعلت من الخبر وصاحبه مُركّبين لا يُختبران، بل بات التساؤل عن بقية الجزئيات المسكوت عنها، وقد دفعت بالمخيلة إلى محاولات متعددة لسيناريوهات تستكمل الجزء المظلم من اللوحة الجميلة.

تُمكن خطاطة سورل من استكشاف الخبر وتحديد أبعاده؛ وهل هو للإخبار فحسب، أم أن له غايات أخرى، لذلك فالباحث كغيره من المتوجهين إلى البحث في أمر الرسالة، من بعض عناصرها الجانبية الرابطة بين الثلاثي محور الإخبار؛ كالعوامل المحيطة بالباحث نفسيا واجتماعيا ومقصديا، والمتلقي أيضا بتلك العوامل وغيرها كالثقافة المشتركة، ثم الرسالة وحدود مفرداتها وجملة الصغيرة وجملتها الكبرى.

الإحالات والهوامش:

- 1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، 2004، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتب الوطنية، ط 1، بنغازي ليبيا، ص 200
- 2- بهاء الدين محمد مزيد، 2010، تبسيط التداولية، شمس للنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، مصر، ص 20.
- 3- طه حسين، 1996، زعيم الغزليين عمر بن أبي ربيعة، ضمن ديوان عمر بن أبي ربيعة، وضع هوامشه: فايز محمد، سلسلة شعراؤنا، دار الكتاب العربي، ط 2، بيروت، لبنان، ص 15.
- 4- المرجع نفسه، ص 17.
- 5- المرجع نفسه، ص 16.

- 6- سعيد جبار، 2012، التخييل وبناء الأنساق الدلالية نحو مقارنة تداولية، منشورات الاختلاف، دار الأمان، ط 1، الرباط، المغرب، ص 42.
 - 7- المرجع نفسه، ص 43.
 - 8- المرجع نفسه، ص 44.
 - 9- محمد مفتاح، 1989، في سيمياء الشعر القديم، دار الثقافة، ط 1، الدار البيضاء، المغرب، ص 55.
 - 10- ينظر: جواد ختام، 2016، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط 1، عمان، الأردن، ص 92-93.
 - 11- جون سيرل، 2006، **العقل واللغة والمجتمع**، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء، المغرب، ص 178.
 - 12- عمر بن أبي ربيعة، 1992، الديوان، شرح: شكري فرحات عباس، دار الجيل، ط 1، بيروت، لبنان، ص 280.
 - 13- جون سيرل، **العقل واللغة والمجتمع**، ص 176.
 - 14- عمر بن أبي ربيعة، 1996، الديوان، وضع هوامشه: فايز محمد، سلسلة شعراؤنا، دار الكتاب العربي، ط 2، بيروت، لبنان، ص 170.
 - 15- جاك موشر - آن ريبول، 2010، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجذوب، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، د. ط، تونس، ص 468.
 - 16- محمد خطابي، 1991، لسانيات النص. مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط 1، بيروت، لبنان، ص 196.
 - 17- أزوالد ديكر، 2009، القاموس الموسوعي لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، ط 2، الدار البيضاء، المغرب، ص 682.
 - 18- جاك موشر - آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص 469.
 - 19- عمر بن أبي ربيعة، الديوان، ص 198.
 - 20- جاك موشر - آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص 468.
 - 21- عمر بن أبي ربيعة، الديوان، ص 192.
 - 22- جاك موشر - آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص 467.
 - 23- المرجع نفسه، ص 470.
 - 24- حسين الواد، 1985، في مناهج الدراسات الأدبية، منشورات الجامعة، ط 2، الرباط، المغرب، ص 74-75.
- المراجع:**
- 1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، 2004، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتب الوطنية، ط 1، بنغازي ليبيا.
 - 2- بهاء الدين محمد مزيد، 2010، تبسيط التداولية، شمس للنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، مصر.
 - 3- طه حسين، 1996، زعيم الغزاليين عمر بن أبي ربيعة، ضمن ديوان عمر بن أبي ربيعة، وضع هوامشه: فايز محمد، سلسلة شعراؤنا، دار الكتاب العربي، ط 2، بيروت، لبنان.
 - 4- سعيد جبار، 2012، التخييل وبناء الأنساق الدلالية نحو مقارنة تداولية، منشورات الاختلاف، دار الأمان، ط 1، الرباط، المغرب.
 - 5- محمد مفتاح، 1989، في سيمياء الشعر القديم، دار الثقافة، ط 1، الدار البيضاء، المغرب.
 - 6- جواد ختام، 2016، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط 1، عمان، الأردن.
 - 7- جون سيرل، 2006، **العقل واللغة والمجتمع**، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء، المغرب.
 - 8- عمر بن أبي ربيعة، 1992، الديوان، شرح: شكري فرحات عباس، دار الجيل، ط 1، بيروت، لبنان.
 - 9- عمر بن أبي ربيعة، 1996، الديوان، وضع هوامشه: فايز محمد، سلسلة شعراؤنا، دار الكتاب العربي، ط 2، بيروت، لبنان.
 - 10- جاك موشر - آن ريبول، 2010، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجذوب، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، د. ط، تونس.
 - 11- محمد خطابي، 1991، لسانيات النص. مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط 1، بيروت، لبنان.

- 12- أزوالد ديكرو، 2009، القاموس الموسوعي لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، ط 2، الدار البيضاء، المغرب.
- 13- حسين الواد، 1985، في مناهج الدراسات الأدبية، منشورات الجامعة ، ط 2، الرباط، المغرب.

المهدي بن بركة وعلاقته بالجزائر

د.قادة دين

المركز الجامعي نور البشير- البيض، eldine.kd@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2019/09/15

تاريخ المراجعة: 2022/09/12

تاريخ القبول: 2022/09/27

ملخص

يمثل المهدي بن بركة نموذجا سياسيا مغربيا متقدرا، ليس فقط بسبب دوره ونشاطه الداخلي، بل أيضا على صعيد تحركه وعلاقاته الخارجية، وتعتبر علاقته بالجزائر علامة مميزة في تاريخه النضالي، بدأت منذ سنوات شبابه حين جاء طالبا جامعا إلى الجزائر وتأثر بمناخها السياسي، واستمرت العلاقة خلال فترة النضال الوطني والتنسيق بين الحركتين الوطنيتين، لتتعمق أكثر في فترة اعتناق الرجل للفكر اليساري، وتلاقيه مع الخط السياسي الذي تبنته الجزائر عقب استقلالها، ليكون لتلك العلاقة كبير التأثير على مساره وأفكاره وعلى نهائيه.

الكلمات المفاتيح: مهدي بن بركة؛ حزب استقلال؛ حزب جبهة تحرير وطني، مكتب مغرب عربي، حزب شيوعي جزائري، اتحاد وطني لقوات شعبية.

Mahdi Ben Barka and his relationship with Algeria**Abstract**

Mahdi Ben Barka represents a unique Moroccan political model, for his role and internal activity, and also at the level of activity and foreign relations, His relationship with Algeria was a distinguishing feature of his struggle history, Began when he was a university student to Algeria, he influenced by its political climate, And continued the relationship during the period of national struggle and coordination between the two national movements, To take root more after the man's embrace of leftist thought, So that this relationship has a great impact on his path and his ideas and goals.

Keywords: Mahdi Ben Barka; Istiqlal party; National Liberation Front party; Arab Maghreb office; Algerian Communist Party; National Union of People's Forces.

Mahdi Ben Barka et sa relation avec l'Algérie**Résumé**

Mahdi Ben Barka représente un modèle politique marocain distinct en raison de son rôle interne, et également en termes d'activités et de relations extérieures. Sa relation avec l'Algérie est un trait distinctif de son histoire, a commencé lorsqu'il était venu dans ce pays en tant qu'étudiant, et elle s'est poursuivie pendant la période de la lutte nationale et la coordination entre les deux mouvements nationaux. Cette relation s'est approfondie lorsqu'il a embrassé la pensée de gauche, et sa convergence avec la ligne politique adoptée par l'Algérie après son indépendance, de sorte que ce rapport ait un impact sur son parcours, ses idées et ses objectifs.

Mots-clés : Mahdi Ben Barka; parti Istiqlal; front de libération nationale; bureau du Maghreb arabe; parti communiste algérien; union nationale des forces populaires.

المؤلف المرسل: د.قادة دين، eldine.kd@gmail.com

لكثير من الأسباب التاريخية والجغرافية يرتبط المغرب الأقصى والجزائر بعلاقات سياسية واجتماعية كبيرة، وتتداخل الروابط التي تجمع بين شعبي البلدين، وينعكس ذلك ويتجلى في الساحة السياسية، حيث كثيرا ما ارتبط وتوحد مصير البلدين خلال فترات الكفاح ضد المحتل الفرنسي، ويوثق التاريخ التنسيق المشترك الذي ربط أفراد الحركتين الوطنيتين بالبلدين، الذي وصل حد وجود قيادة مشتركة للمشروع العسكري التحرري الذي اعتزم إطلاقه في البلدين في بداية الخمسينيات.

ويمثل المناضل والسياسي المغربي المهدي بن بركة، أبرز نماذج العمل الوحدوي بين البلدين، وهو المناضل السياسي الذي ارتبط بعلاقات وثيقة مع الجزائر، منذ كان شابا وطالبا جامعيا، وتطورت علاقته بالجزائر حسب مراحل الكفاح الوطني، وتأثرت بالظروف الداخلية التي شهدتها البلدان، وتركت أثرا في الحياة السياسية المشتركة للقطرين في مرحلة ما بعد الاستقلال.

لقد كان للجزائر تأثير بالغ في حياة المهدي بن بركة، وفي صياغة توجهاته السياسية والفكرية، وفي علاقته الداخلية بالنظام المغربي، وأيضا في تسطير نهايته الدرامية، فما هي العلاقة التي جمعت المهدي بن بركة بالجزائر؟ ما هي بدايتها وجذورها؟ كيف تطورت وتأثرت بالأحداث السياسية بالبلدين؟؟ وكيف أثرت في المكانة السياسية للرجل في المغرب؟ وما هي أثارها على العلاقة بين البلدين؟

وتسلط هذه الدراسة الضوء على جزء مهم من نضال السياسي المغربي المهدي بن بركة، وتعرف بجانب من نشاطه وأعماله وأفكاره وأهدافه، وتبرز نموذج من العمل الوحدوي المغربي، الذي يؤكد على النضال والتاريخ المشترك لشعوب المنطقة، كما أنها تؤرخ لأحداث مهمة من تاريخ البلدين، الجزائر والمغرب، لازال تأثيرها السياسي مستمرا ليومنا هذا.

1- حياة وتعليم المهدي بن بركة

المهدي بن بركة بن أحمد وفطومة بوعناني، ولد سنة 1920 م بحي سيدي عيسى بالرباط⁽¹⁾، وسط أسرة عربية تعود جذورها إلى قبيلة الزيادية، المتواجدة بمنطقة بن سليمان بنواحي الدار البيضاء، قبل أن يقدم جده الذي كان يمارس حرفة خياطة الجلابة المغربية التقليدية، إلى الرباط ويتزوج منها ويقيم بها، وقد ألحق ابنه أحمد والد المهدي، بمدرسة قرآنية حفظ بها القرآن وتعلم أصول اللغة العربية، فجعله ذلك إماما بأحد المساجد مقابل راتب مقبول، وإلى جانب ذلك امتعن التجارة بغية تحسين وضعيته ووضع أسرته⁽²⁾.

ولد المهدي كابن ثالث وسط سبعة إخوة، ثلاثة ذكور وأربع بنات، وقد أدخل صغيرا إلى الكتاب فأتم حفظ القرآن الكريم سنة 1929م، وبعدها التحق بالمدرسة الفرنسية الرسمية الواقعة بالقرب من سجن لعلو بالرباط، والتي كانت مخصصة لأبناء الوجهاء ومرت عبرها الكثير من الوجوه الرباطية المعروفة مثل الأمين العام التاريخي لحزب الاستقلال، أحمد بلافريج⁽³⁾، وبعد نيله الشهادة الابتدائية التحق المهدي بثانوية مولاي يوسف بالرباط، ثم بثانوية "غورو"، ديكارت حاليا، التي أنشئت سنة 1919 م في عهد الحماية الفرنسية وتعتبر أول ثانوية تأسست بالمغرب، حيث أمضى سنة بها، وعاد من جديد في الموسم 1937/1938 م إلى ثانوية مولاي يوسف لينال بها شهادة البكالوريا⁽⁴⁾.

وإلى جانب مزاوله المهدي لتعليمه وعمله في بعض المهن المتاحة لتوفير حاجياته ومساعدة أسرته، فقد انخرط في سن الرابعة عشرة في نشاطات الحركة الوطنية المغربية، التي ولدت عقب حادث "الظهير البربري" الشهير

سنة 1930م، فتواجد في فرقة مسرحية مدرسية كان يشرف عليها الوطني الكبير امحمد اليزيدي⁽⁵⁾، هذا الأخير الذي انتبه لقدراته وذكائه فاستقطبه للعمل الوطني، فأخذ المهدي يساهم في توزيع منشورات (لجنة العمل الوطني)⁽⁶⁾، وينشر أفكار الوطنيين وسط تلاميذ الثانوية ويوقع العرائض، ليصبح سنة 1937م غداة تشكيل الحزب الوطني من أجل المطالب، أحد أصغر أعضائه⁽⁷⁾.

ساهم المهدي بن بركة انطلاقاً من هاته الفترة في جل نشاطات الحركة الوطنية المغربية، بما فيها التوقيع على بيان الاستقلال المغربي يوم 11 جانفي 1944م وكان أحد أصغر مؤسسي حزب الاستقلال وهو في سنة الرابعة والعشرين، وأصبح هو سكرتيره التنظيمي ومحركه الرئيسي، الأمر الذي جعله عرضة للملاحقة والاعتقال، فسجن خلال سنوات 1944 و 1945م عقب تقديم بيان الاستقلال، بسجن لعلو بالرباط، ثم سجن بين سنوات 1951 و 1954م، بمنطقة قصر السوق (الرشيدية)، بمنطقة تافيلات بجنوب المغرب⁽⁸⁾.

كان المهدي بن بركة أحد أبرز قيادات حزب الاستقلال، التي شاركت في مفاوضات إيكس ليبان⁽⁹⁾، التي أدت إلى عودة السلطان محمد بن يوسف من منفاه، وإلى استقلال المغرب⁽¹⁰⁾، وبعد الاستقلال شغل منصب رئيس المجلس الوطني الاستشاري، الذي كان بمثابة برلمان وطني في سنوات 1956 إلى 1959م، وفي سنة 1959م، انشق عن حزب الاستقلال رفقة بعض الرموز الشبابية مثل عبد الرحيم بوعبيد⁽¹¹⁾ وعبد الرحمن اليوسفي⁽¹²⁾ والفقير البصري⁽¹³⁾، وأسسوا حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية⁽¹⁴⁾.

غادر المهدي المغرب في نهاية سنة 1959 م وغاص في طروحات نضالية عالمية وأصبح أحد الشخصيات البارزة في حركات التحرر العالمية وفي التضامن بين دول العالم الثالث، ونتيجة مواقفه التحررية الخارجية ومسايعه المعارضة الراديكالية الداخلية وتحوله ليصبح زعيم اليسار المغربي، تعرض للاختطاف والتصفية يوم 29 أكتوبر 1965 م، من قبل السلطات المغربية بمساعدة استخبارات عالمية غربية⁽¹⁵⁾.

2- بدايات العلاقة بين المهدي بن بركة والجزائر

تحصل المهدي بن بركة على شهادة البكالوريا في جوان 1938م، وهو في عمر الثامنة عشرة، وكان أول مغربي ينال البكالوريا بدرجة جيد جدا وتهنئة اللجنة المشرفة على الامتحان، فتكفلت إدارة الحماية الفرنسية بالمغرب بمصاريف إتمام دراسته الجامعية وأعطى منحة لأجل ذلك⁽¹⁶⁾، وكان المهدي قد قرر مواصلة دروسه في فرنسا لكن اشتعال الحرب العالمية الثانية جعله يغير وجهته إلى الجزائر، فانتقل بعد فترة إلى هناك وسجل في تخصص رياضيات وفيزياء رفقة عبد الكبير الفاسي ابن عم علال الفاسي وأحد رموز الحركة الوطنية لاحقاً⁽¹⁷⁾.

كانت بداية علاقة المهدي بن بركة بالجزائر من هاته الفترة، حين جاءها طالبا جامعيا في نهاية سنة 1939م، فكانت الجزائر بداية لمرحلة جديدة أقام فيها المهدي علاقة مباشرة بالحركة الوطنية الجزائرية التي كانت نوعا ما متقدمة زمنيا على نظيرتها المغربية، واختلط بتياراتها السياسية، وشكل انخراط المهدي في النشاط السياسي بالجزائر بداية تشكل وعيه بمدى النضال وأبعاده خارج حدود المغرب⁽¹⁸⁾.

وجد المهدي بن بركة بالجزائر مناخا آخر غير الذي ألفه بالمغرب وتلك الحياة المحافظة التقليدية، فقد اكتشف في ظل الحرب العالمية الثانية، وهجرة كثير من المفكرين الفرنسيين إلى الجزائر، جامعة تموج بالتيارات الفكرية بعضها يعايشها للمرة الأولى، كالتيارات اليسارية باعتبار انتماؤه في المغرب لأسرة محافظة، وباعتبار الإطار الوطني التقليدي الذي كان منحصرا فيه، وبالنظر عموما للوضع الفكري المغربي ولطبيعة الحركة الوطنية

المغربية التي نشأت من بيوتات برجوازية تقليدية تنتمي لكبريات المدن المغربية الإسلامية مثل فاس والرباط وسلا ومراكش، ولا تعرف تباعدا كبيرا بين أطيافها.

وبالإضافة لخصوبة الجامعة بالتيارات الفكرية الفرنسية المتنوعة، كان هناك تنوع آخر في الحياة الجزائرية أملاه تعدد ألوان الحركة الوطنية الجزائرية ونخبته، بين تقليديين إصلاحيين وشباب إدماجي حديث ووطنيين متشددين، وكذلك تواجد الفكر اليساري بقوة نتيجة نشاط الحزب الشيوعي الفرنسي ثم الجزائري ونزوح العديد من اليساريين من فرنسا بعد سقوطها في يد هتلر واليمين النازي المعادي للشيوعية⁽¹⁹⁾.

انخرط المهدي بنشاشيه وحركيته وحيويته في هذا الجو وحيثياته، خاصة في جزئه النضالي الطلابي من خلال انتمائه سريعا لاتحاد طلبة مسلمي شمال إفريقيا (AEMNA)، وهو التنظيم الذي أسس في باريس في نهاية العشرينيات (1927)، ولعب دورا كبيرا في تكوين الوعي القومي والسياسي لطلبة المغرب والجزائر وتونس، وكان أول رئيس له بفرنسا المناضل أحمد بلالفرج، حيث أضى المهدي بن بركة بعد فترة وجيزة من وجوده بالجزائر رئيس هذه المنظمة، وكان نائبه هو المناضل الجزائري شوقي مصطفى⁽²⁰⁾.

كان اليسار هو التيار الفكري المسيطر في هذه الفترة، وقد كان تيارا ينضح بمعاداة الفاشية، وربما هذا الجو الذي غير كثيرا من طباع الشباب المهدي التقليدي وأكسبه خصائص جديدة وساهم في حدوث طفرة فكرية لديه، وربما أيضا هو الذي لم يدفعه مطلقا للتعاطف مع النازية وهتلر رغم وجود هذه العاطفة بين سكان شمال إفريقيا⁽²¹⁾.

مكثه مكوته بالجزائر لمرحلة أخرى من مستويات الوعي والنضال، إنه الوعي العالمي والانفتاح على الآخرين والهلم المغاربي المشترك، لقد كوّن علاقات كثيرة ومتنوعة من خلال رئاسته لجمعية طلبة شمال إفريقيا، وارتبط بالحركة الوطنية بالجزائر ممثلة في حزب الشعب الجزائري، ووضع مع بعض مناضليها أسس و مبادئ التضامن المغاربي⁽²²⁾، لقد كوّن المهدي علاقة بالأمين دباغين⁽²³⁾ وأحمد فرنسيس⁽²⁴⁾ ويومنجل⁽²⁵⁾ وشوقي مصطفى⁽²⁶⁾، بل إن بعض المصادر تؤكد وجود علاقة بينه وبين مصالي الحاج⁽²⁷⁾ نفسه، مثل ما يورده الصحفي ألبرت بول لونتان (Lentin Albert Paul)⁽²⁸⁾؛ عن قيام المهدي بإقناع مصالي بتجنب التعامل مع الألمان والانجرار وراء دعواتهم⁽²⁹⁾.

تركت سنوات الدراسة بالجزائر الأثر الأعظم في تصورات وأفكار المهدي، خاصة عن الواقع الاستعماري، بعدما شاهد وعاش وجها آخر له أكثر رسوخا وسيطرة في أرض عربية لها نفس الخصائص الإنسانية والاجتماعية والتاريخية للمغرب، ورغم ذلك فهناك حركة سياسية نشطة تواجهه وتسعى بشتى الأساليب والطرق للحد من هيمنته على العنصر المحلي، وتجتهد لجمع الوسائل لمواجهة، كما احتفظ المهدي من هذه الحقبة بحدث مميز عبارة عن مأساة عايشها عن قرب، حيث كان شاهدا بمدينة الجزائر سنة 1941 م على محنة مجموعة من الطلبة الوطنيين، ففي مسعى لإنقاذ بعض الطلبة الوطنيين من الإعدام من قبل الفرنسيين، قام زملاؤهم بخطوة لدى السلطات الألمانية والتي قامت بإبلاغ الشرطة الفرنسية التي أوقفتهم، وكان هذا في بداية الحرب، وقد خرج المهدي بنتيجة بارزة من هذا الحدث مفادها تضامن القوى الأوروبية الرأسمالية واستحالة انتظار العون منها للقضاء على الاستعمار⁽³⁰⁾.

حصل المهدي سنة 1942م على الإجازة في الرياضيات الفيزيائية، وقد كان يريد تحضير شهادة الأستاذية لكن الظروف اضطرته للعودة إلى المغرب وقاطع تحضيراته للشهادة نزولا عند طلب الحركة الوطنية بالعودة

السريعة بعد إنزال القوات الأمريكية بالمغرب سنة 1942م، وقد كان في سن الثانية والعشرين وفي أوج العطاء والحماسة العلمية، لكنه عاد ليصبح أستاذاً بثانوية قورو بالرباط⁽³¹⁾.

بعد نزول الحلفاء بالمغرب سنة 1942 م استدعي المهدي بن بركة من الجزائر من قبل قيادة العمل الوطني المغربي، وخلال هذه الفترة الممتدة حتى نهاية الحرب العالمية ثانية، ساهم المهدي بقوة في مسيرة الحركة الوطنية المغربية وفي عدة أحداث مفصلية، نتيجة النضج السياسي الذي بلغه ونتيجة غياب الساحة من القادة التاريخيين للعمل الوطني، الذين كانوا في المنافي، فربط علاقات بالقصر وبمختلف رموز الساحة السياسية، وكان يشارك في جل الاجتماعات السياسية السرية والعلنية، وينظم الدروس للشباب ويجند المؤهلين للنضال، والذين كان أحدهم هو عبد الرحمن اليوسفي، السياسي المغربي التاريخي، وكان الحدث الأبرز في هذه المرحلة، الذي ساهم فيه المهدي هو تأسيس حزب الاستقلال وبيان الاستقلال⁽³²⁾.

فنتيجة التطورات السياسية الداخلية والخارجية التي طرأت، والتي كان أبرزها اللقاء الذي جمع السلطان محمد بن يوسف بالرئيس الأمريكي روزفلت يوم 05 جويلية 1943م بالدار البيضاء، وكذلك حصول كل من العراق وسوريا على استقلالهما، اجتمعت عناصر من لجنة العمل المغربي القديمة (CAM)، والعديد من الشخصيات المستقلة وتم الاتفاق على تأسيس حزب باسم "حزب الاستقلال"، وخرج ذلك الحزب للوجود يوم 11 جانفي 1944م مصحوبا بالبيان الشهير الذي يطالب باستقلال المغرب، وكان المهدي أحد أصغر المؤسسين والموقعين على البيان⁽³³⁾.

3- التنسيق خلال فترة الكفاح الوطني

4- بعد الحرب العالمية الثانية جمعت المهدي بوصفه منتما لحزب الاستقلال علاقات تنسيق في الإطار المغربي مع حركات التحرر في الجزائر وتونس (حزب الشعب الجزائري وحزب الدستور الجديد التونسي بزعامة الحبيب بورقيبة⁽³⁴⁾)، فعندما شكلت لجنة تحرير المغرب العربي في مصر تحت قيادة عبد الكريم الخطابي⁽³⁵⁾ كان صداها لدى المناضلين الشباب التقدميين أكبر منه لدى الطبقة التقليدية، وحين كان المهدي في فرنسا ممثلا لحزب الاستقلال رفقة المناضل الوطني عبد الرحيم بوعبيد، كان مكتب الحزب هناك ملتقى للمناضلين المغاربة من الدول الأربع، ويظهر هذا في المذكرة التي قدمت إلى الأمم المتحدة وكانت بإمضاء كل من المهدي بن بركة عن حزب الاستقلال وأحمد مزغنة⁽³⁶⁾ عن حركة انتصار الحريات الديمقراطية وجلول فارس عن حزب الدستور⁽³⁷⁾.

وبعد بدايات التحضير لعملية الكفاح المسلح بدول المغرب في بداية الخمسينيات، انطلقا من مبادرة عبد الكريم الخطابي بتأسيس لجنة تحرير المغرب العربي سنة 1947م⁽³⁸⁾، تواصل التنسيق بفضل المناضلين الميدانيين من البلدين، كما يظهر من كتابات المهدي نفسه لاحقا، عن وجود وحدة نضال في هذه الفترة: "واليوم نجد مرة أخرى شعب أقطار المغرب العربي موحدا كما كان من 1953 إلى 1955"⁽³⁹⁾، لقد شكلت المنطقة الشمالية المحتلة من قبل إسبانيا معقل النشاط المشترك وتكوين الخلايا المسلحة من قبل المقاومة المغربية⁽⁴⁰⁾، التي كان عمادها رفاق بن بركة الأوائل، بدءاً بالفقيه البصري الذي كان على رأس المنظمة السرية، واليوسفي الذي كان هو المنسق العام بتكليف من بن بركة، وآخرين مثل عبد الله الصنهاجي⁽⁴¹⁾، والحسين برادة، والناصر الطويل، ومحمد بن سعيد أيت إيدر⁽⁴²⁾، وأيضا من خلايا جزائرية تحت قيادة محمد بوضياف⁽⁴³⁾ وبين بلة وعبد القادر بوزار⁽⁴⁴⁾.

قسم الموقف من الكفاح المسلح قيادة حزب الاستقلال، وقد أدان المناضلون الذين تبنا خيار المواجهة، موقف برجوازيي الحزب الذين كانوا يؤثرون المفاوضات والمطالب السياسية الإصلاحية، هذه الوضعية أقلقته المهدي وكعادته في الحركية والنشاط كان عليه التحرك سريعا من أجل تنظيم الحزب والاتصال بمختلف الاتجاهات، فهو يتمتع بعلاقات جيدة بالجميع⁽⁴⁵⁾.

بات المهدي يضطلع بالمهمة الصعبة بعد خروجه من السجن في نهاية سنة 1954، وهي إعادة بعث وإنعاش دور حزب الاستقلال، الذي دخل في سبات منذ سنوات، حاول عقد لقاءات مع المناضلين والمجموعات المسلحة ومنهم من كان منفيا في المنطقة الاسبانية مثل رأس المقاومة محمد البصري، فحزب الاستقلال المتصدع لم يستطع اتخاذ قرار حول العمل المسلح وأغلبية قياداته ومنهم: اليزيدي وبلافريج، ضد العنف وتميل إلى التهدئة وتتبنى اتجاه تسوية مع فرنسا، باستثناء الفاسي الذي كان يخطط من القاهرة بدعم من عبد الناصر وتنسيق مع مناضلين جزائريين لإرسال أسلحة للمقاتلين المغاربة، لكن من دون سلطة على الحزب، فالمهدي وبوعي تام بخطورة تخلف الحزب عن اللحظة التاريخية المهمة إذا استمر في تجاهل الحركات العميقة المسلحة، دخل في اتصال مع المقاتلين الريفيين المرتبطين بالثوار الجزائريين مثل محمد بوضياف والعربي بن مهيدي⁽⁴⁶⁾، وفي هذه الفترة التقى بمحمد البصري وتم الاتفاق على تقوية دور حزب الاستقلال داخل المجموعات المسلحة⁽⁴⁷⁾.

تم التخطيط المشترك لتسريع تجهيز الوحدات القتالية وتنظيم الخلايا، وأقرت اجتماعات القادة من الطرفين إنشاء جيش تحرير المغرب العربي، وشكلت لجنة مشتركة عامة ولجنة تنسيق لجيش التحرير المغربي بالناظور يوم 15 جويلية 1955، ووضع على رأسها أربعة أعضاء هم: محمد بوضياف وبن مهيدي من الجزائر وعباس المسيعدي⁽⁴⁸⁾ وعبد الله الصنهاجي من المغرب، وانتخب عباس المسيعدي كاتباً وبوضياف أميناً لها⁽⁴⁹⁾. وتم إطلاق العمليات العسكرية بالمغرب على أساس هذا الاتفاق يوم الفاتح أكتوبر 1955 في الأحداث المشهورة بتيزي وزلي وتازا وبوزنياد وإيمونار مرموشة وبركة⁽⁵⁰⁾، وقد ساهمت مصر في تمويل التدريب حيث تنقل المناضلون عبر إسبانيا، التي غضت الطرف عما يحدث نكاية في فرنسا، ووصلت إلى الناظور دفعة السلاح الأولى⁽⁵¹⁾ على متن اليخت دينا⁽⁵²⁾ واستقبلها السعيد بونعيلات⁽⁵³⁾ وبوضياف.

5- بن بركة ومرحلة التركيز على المشروع القطري 1955-1959.

مثل انطلاق المسار التفاوضي بين الحكومة الفرنسية والوطنيين المغاربة تحطيما للمجهود المغربي المشترك من أجل الكفاح المسلح الموحد، فكانت مناورة فرنسية من رئيس الوزراء إدغار فور⁽⁵⁴⁾ (Edgar Faure) حين استشعر خطورة الموقف⁽⁵⁵⁾، وهو ما يؤكد كثيرون منهم ما ذكره إدغار فور نفسه على لسان هوارى بومدين، الذي أخبره أن خرق الاتفاق الموقع بين الوطنيين الجزائريين والتونسيين والمغاربة من أجل التحرر المشترك سببه أن المسؤولين المغاربة التقليديين كانوا يتخوفون من سيطرة التيار الراديكالي في حالة خوض المعركة المسلحة لهذا مالوا للحلول السياسية⁽⁵⁶⁾، وهو نفس الطرح الذي يذهب إليه بن بركة⁽⁵⁷⁾.

كان هناك خلاف داخل الصف الوطني المغربي حول التفاوض، فعلال الفاسي⁽⁵⁸⁾ رفض لقاءات إيكس لبيان (AIX-LES-BAINS) التي مهدت لاستقلال المغرب، من أجل فتح المجال للكفاح المسلح وللقضية الجزائرية⁽⁵⁹⁾، والمهدي بن بركة صاحب الطرح الراديكالي دفع في البداية ضد القبول بهذا المسار، ورفض أي تسوية لا تتوافق مع مسار الكفاح، وتحت ضغط عناصر الحزب المعتدلة خاصة بوعبيد الذي كانت تجمعها علاقات وطيدة بالمتقنين الفرنسيين ومنهم زوجة إدغار فور اليسارية لوسي (Lucie)، تراجع وقبل بالمشاركة، وقد

بقيت الطائرة التي كانت ستقل الوفد المغربي للمفاوضات تنتظر في مطار سلا سناً وثلاثين ساعة، ولم تتوقف الحركة بين الإقامة وبيت المهدي من أجل إقناعه بالاشتراك في الوفد وفي الأخير قبل بالانضمام للقاء⁽⁶⁰⁾، ومن هاته اللحظة سيبدأ المهدي مسارا سيندم عليه كثيرا لاحقا، فقد أضر بالمسار المغربي المشترك خاصة أنه كان أحد من أقنعوا المقاومين بوضع السلاح لإنجاح مسار إيكس لبيان⁽⁶¹⁾.

في جانفي 1956 عقد اجتماع في مدريد لقادة المقاومة وجيش التحرير المغربي تم فيه الاتفاق على عدم وضع السلاح حتى استكمال تحرير كامل بلاد المغرب بما فيها الجزائر، وهو اللقاء الذي تم فيه تقسيم جيش التحرير وجعل من مهام الجيش الجنوبي تحت قيادة بن حمو المسفيوي⁽⁶²⁾ وشيخ العرب⁽⁶³⁾ دعم الثورة الجزائرية بالجنوب، حيث تشير بعض المصادر إلى نية المهدي بن بركة، من وراء نقله قسم من جيش التحرير للمناطق الجنوبية، في الضغط على القوات الفرنسية التي لا زالت بالمغرب ورفع الخناق عن الثوار الجزائريين، وفي هذا السياق حسب المهدي بن بركة، جاءت أحداث تمرد عامل تافيلات، القائد المخزني عدي وبيهي⁽⁶⁴⁾، في بداية سنة 1957، والتي امتدت من قصر السوق جنوبا وحتى الناظور شمالا بغية قطع الاتصال بين الثوار الجزائريين ونظرائهم المغاربة⁽⁶⁵⁾.

وخلال هذه الفترة لم تنقطع أبدا زيارات المناضلين الجزائريين للمغرب ولقاءاتهم بالمناضلين المغاربة وعلى رأسهم بن بركة، ففي صيف 1956 قامت قيادات عليا للثورة الجزائرية وهم بن بلة وبوضياف وخيضر⁽⁶⁶⁾ وآيت أحمد⁽⁶⁷⁾ والصحفي مصطفى الأشرف⁽⁶⁸⁾ بزيارة للمغرب، حيث قام اليوسفي والبصري بإيصالهم لبيت المهدي بن بركة حتى قبل زيارة الملك محمد الخامس واستمرت النقاشات حتى ساعة متأخرة من الليل، وفي اليوم التالي التقوا الملك محمد الخامس، وبعد إقلاعهم تم تحويل الطائرة من قبل الفرنسيين في الحادث المشهور، فاندلعت احتجاجات في المغرب قادها المناضلون المغاربة وعلى رأسهم التيار الراديكالي من أتباع بن بركة وانتهت بقتل العديد من الأوربيين⁽⁶⁹⁾.

ورغم هذا إلا أن المهدي غاص شيئا فشيئا في الهم المغربي القطري وفي طروحات حزب الاستقلال ومغرب يمتد من البحر المتوسط والمحيط الأطلسي وحتى السنغال مرورا بتيندوف، وهو ما تثبتته كثير من الشهادات كشهادة الصحفي الفرنسي جورج شافارد (Georges Chaffard): "بضعة شهور بعد الاستقلال علال الفاسي والمهدي بن بركة التقوا الجنرال الفرنسي كوني (Cogny) قائد الفرقة الفرنسية بالمغرب، بن بركة أكد له أنه لا نزاع على الحدود ونستطيع تصور سيادة ثنائية فرنسية مغربية لاستغلال خيرات ما تحت الأرض في موريطانيا، علال الفاسي نبهه بحدة نسييت تيندوف فيرد المهدي؛ آه، نعم، ضع أيضا تيندوف"، وأضاف: "يكفي أن يتم وضع أول عارضة في خط السكة الحديدية الرابطة بين تيندوف وأغادير بشكل احتفالي حتى يتم التخفيف من هياجنا ويتم وقف جيش التحرير المغربي"⁽⁷⁰⁾.

هناك من رأى في مواقف المهدي براغماتية صرفة من أجل مصالح المغرب القطرية ولا تعكس حقيقة مواقفه وأفكاره، وإنما هي انعكاس لواقع الاقتصاد المغربي الراجح تحت المشاكل والباحث عن مخرج من خلال الثروات التي تختزنها الصحراء المشتركة، "أستاذ الرياضيات المغربي بن بركة الذي يستلهم مشروع المغرب الكبير كان سيكتفي بالحدود الحالية إذا ضمن أن الثروات الباطنية في موريتانيا والصحراء سيتم تقاسمها"⁽⁷¹⁾، ويؤكد هذا الكلام حديثه هو نفسه: "إن المشروع السياسي للمغرب العربي يهدف إلى إنشاء قوة اقتصادية اعتمادا على الموارد

الطاقوية التي تخترنها الصحراء المغاربية التي من شأنها إقامة الفرصة لتنمية اقتصادية حقيقة يمكن مقارنتها بتلك التي عرفت أوروبا أثناء ثورتها الصناعية⁽⁷²⁾.

لكن المشاكل التي عرفت الحدود في هذه الفترة ترجح ميولاته وتبنيه لطروحات حزب الاستقلال، فبالجنوب الغربي واجهت المناضلين الجزائريين مجموعة معضلات، فتواصلت هجمات القوات الفرنسية انطلاقا من الأراضي المغربية، وتواصلت عمليات المصالح العسكرية المغربية التي تعرقل تحركات وحدات الجيش الجزائري ونقل الأسلحة، فاقترح بوصوف تدخل الوفد الخارجي للثورة لدى الملك محمد الخامس، وعندما لم يفد ذلك تنقل دباغين وتوفيق المدني⁽⁷³⁾ إلى المغرب يوم 18 فيفري 1957، وتم عقد لقاء بحضور الشيخ خير الدين⁽⁷⁴⁾ بين قادة جبهة التحرير وبعض قادة حزب الاستقلال ببيت المهدي بن بركة منهم الفقيه الغازي وعمر بن عبد الجليل⁽⁷⁵⁾، وحاول المدني التذكير بضرورة التضامن والوحدة، وكان رد المهدي بن بركة باسم حزب الاستقلال أن هناك غموضا يكتنف التوجه والخلفية الأيديولوجية لجبهة التحرير واستحالة العمل مع حركة ليست لها أهداف واضحة، "في إشارة لشبهات حول التوجه الشيوعي"، فرد المدني أن جبهة التحرير حركة وطنية تتطلق من مقومات الشعب الجزائري المسلم، فأنهي الخلاف وحلت القضية⁽⁷⁶⁾.

وحول هذا الموضوع يتحدث محمد حربي⁽⁷⁷⁾: "الحدود الإقليمية للمغرب كانت دائما تثير تحفظات لدى القادة الجزائريين اتجاه المهدي بن بركة، وأثناء الكفاح المسلح وقعت صدامات في منطقة فيجيج بين وحدات جيش التحرير الجزائري والتي كانت تنقل السلاح وبين جيش التحرير المغربي، وهو ما دفع لعقد لقاء يوم 08 أبريل ثم يوم 06 مايو 1959 بين الطرفين، ومثل المهدي بن بركة والبصري الطرف المغربي وتم التوصل لاتفاق لم يحترم أبدا، وحمل بوصوف⁽⁷⁸⁾ بن بركة المسؤولية"، ثم يضيف: "تناقشت مع المهدي حول الموضوع وقد بعث للحكومة المؤقتة يستفسر حول قضية الحدود، وكانت الإجابة أن الحل مع فرنسا لن يمس قضايا الحدود، وسيتم التفاهم بخصوصها مع تونس والمغرب من أجل تشارك ثروة الصحراء"، ويؤكد حربي على موقفه: "لست مع من يقول إن المهدي تخلى عن طرحه حول الحدود لكنه فعل فقط لظروف منعه من الكلام بوضوح مثل رفاق آخرين"⁽⁷⁹⁾.

ذكر الصحفي الإيطالي أتيليو غوديو (Attilio Gaudio) الذي كان متواجدا في هذه الفترة بمنطقة الصحراء الغربية وبالضبط في منطقة عمليات جيش التحرير الجنوبي، أن زعماء حزب الاستقلال القادمين من الشمال أخبروا سكان منطقة عكا أن الاستقلال الذي توج بعودة محمد الخامس لم يكن إلا مرحلة، ويجب استئنافه بتحرير المناطق الصحراوية حتى السنغال، وإن استرجاع منطقة فم الأعشار ليس إلا خطوة في طريق استرجاع تينندوف⁽⁸⁰⁾.

ولعل الدور الأبرز الذي لعبه المهدي في هذه الفترة فيما يتعلق بعلاقته مع الجزائر، كان في مؤتمر طنجة⁽⁸¹⁾، الذي انعقد على إثر لقاء جمع المهدي بن بركة وعلال الفاسي وعبد الرحيم بوعبيد وكانت له علاقة مباشرة مع الحرب وكان القصد من وراء تنظيمه هو إظهار التضامن بين الأطراف الثلاثة تونس والمغرب والجزائر، ودعم كفاح الشعب الجزائري، عبر إيجاد آليات الدعم المادي والمعنوي⁽⁸²⁾.

وقد أخذت القضية الجزائرية نصيب الأسد من النقاشات باعتبارها قضية المغرب العربي الأساسية، فأعلن المؤتمر مبدأ حق الشعب الجزائري المقدس في السيادة، واعتبر أن الاستقلال هو الشرط الوحيد، والموضوع الوحيد للمفاوضات بين الطرفين، وهو الحل للنزاع الفرنسي الجزائري، وأقر المؤتمر أن تُقدّم الأحزاب السياسية للشعب الجزائري المكافح من أجل الاستقلال كامل مساندة شعوبها وتأييد حكوماتها، وكانت إحدى توصيات المؤتمر هي

إنشاء كتابة تجتمع دوريا من أجل متابعة تنفيذ مقررات المؤتمر، وتجتمع هذه الهيئة في العاصمتين التونسية والمغربية دوريا، وكان أعضاؤها عن المغرب: المهدي بن بركة والفقيه البصري، ومن الجزائر فرحات عباس⁽⁸³⁾ وبومنجل ومن تونس الباهي لدغم⁽⁸⁴⁾ وعلي بلهوان⁽⁸⁵⁾.

6- علاقات المهدي بالثورة الجزائرية بعد تأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية 1959-1962

بعد انفصال المهدي عن حزب الاستقلال، وتأسيسه رفقة العديد من المناضلين الوطنيين لحزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، باتت مواقفه أكثر وضوحا اتجاه القضية الجزائرية، بل أضحت بندا ثابتا في وثائق الحزب ومقرراته، ففي ميثاق تأسيس الحزب نفسه وضع كهدف مهم مساعدة الشعب الجزائري المكافح من أجل تحرره⁽⁸⁶⁾، بل عندما وضع برنامجا كروية ثورية للحزب جعل من شروطه وكحد أدنى؛ التضامن الفعلي مع الجزائر⁽⁸⁷⁾، لقد اعترف بالخطأ المرتكب في حق مسار الكفاح المشترك ضد الاحتلال وتفضيل أسلوب المفاوضات: "فلا أحد ينكر الدور الذي لعبه اقتران الحركتين التحريريتين الجزائرية والمغربية وما كان سيقرب عليه في تحول السياسة الفرنسية، وأيضا ليس من قبيل الصدفة أنه في الوقت الذي بدأ فيه المناضلون يدركون المعنى العميق للنضال الوطني أن يفهم المستعمرون المعنى العاطفي لإرجاء الملك من منفاه، كانت السياسة الاستعمارية في منتهى الذكاء"⁽⁸⁸⁾.

لقد تم إجهاض ذلك المسار الموحد بين الحركتين النضاليتين، وبعد فترة من الانكفاء الذاتي والتفوق هاهو المهدي يعود ليقر أنه فعلا كان هناك جهدٌ مشتركٌ تم الالتفاف عليه لصالح تسويات داخلية ومصالح خارجية: "واليوم الشعوب موحدة كما كانت بين سنتي 1953 و1955 في جبهة الكفاح المسلح ضد الجهاز الاستعماري، الذي تمكن في نهاية 1955 من تفتيت هذه الجبهة بإعطاء استقلالات خادعة لتونس والمغرب"⁽⁸⁹⁾.

تحولت القضية الجزائرية لهم رئيسي في نشاط المهدي النضالي، ففي نوفمبر 1960 م في تقريره لمنظمة التضامن الأفرو-أسيوي؛ ذكر بقرار حزب الاتحاد الوطني المتخذ على مستوى المجلس الوطني المنعقد يوم 21 أكتوبر 1960م، والقاضي بربط نضال الحزب من أجل تصفية الاستعمار والإقطاع بنضال الشعب الجزائري، وإلحاق الحزب على جلاء القوات الأجنبية المتواجدة في المغرب، والذي يساعد في حل القضية الجزائرية حتى لا يكون المغرب مساهما بأي شكل في تعطيل استقلال الجزائر⁽⁹⁰⁾.

بعد خروج المهدي من المغرب وتفرغه لنشاطه الدولي كانت قضية الجزائر محور اهتمامه، وركز جهوده على توفير وسائل الدعم المعنوي والمادي لها من خلال منظمة تضامن الشعوب الأفرو-أسيوية، خاصة بعد تأسيس صندوق التضامن لدعم حركات التحرر في العالم الثالث والمدعوم أساسا من الاتحاد السوفياتي والصين، وأيضا من خلال علاقاته وزياراته للعديد من الدول والمحافل، فكان محاميا عن القضية الجزائرية، كما استفاد هو أيضا من دعم الجزائريين في منظمات العالم الثالث، والتي كان لهم فيها حضورٌ مميزٌ، لكن نتيجة صعوبة تحركهم وتبؤهم للمناصب بسبب غياب صفة الدولة عنهم، كان هو دائما العنصر المرجح والذي يحظى بدعمهم في الانتخابات على مستوى الهياكل، مثل صندوق التضامن ونيابته لرئاسة حركة التضامن الأفرو-أسيوي، وقد حاول المغرب الرسمي الضغط على جبهة التحرير في هذه الفترة لقطع العلاقة مع المهدي بن بركة بعد توجه حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية للمعارضة لكن ذلك لم يفلح⁽⁹¹⁾.

وبداية من يوم أول نوفمبر 1960 م بدأ حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية رسميا يعبئ لصالح الثورة الجزائرية، وفي الأول نوفمبر 1961 م قام اليسار المغربي بإحياء ذكرى انطلاق الثورة الجزائرية، وتحول الاحتفال

إلى احتجاج تم فيه اقتحام السفارة الفرنسية بالمغرب ونهبها وتم حرق العلم الفرنسي ورفع العلم الجزائري مكانه وتم ترديد شعارات تمجد بن بلة وتسيء للحسن الثاني، الأمر الذي دفع لتدخل الشرطة ومصالح الأمن لتخلف الاحتجاجات قتيلين وعدد من الموقوفين، وتكرر نفس شيء يوم 17 نوفمبر بمراكش⁽⁹²⁾.

اعتبر المهدي بن بركة أن الثورة الجزائرية تمثل الصفاء الثوري وتتوفر على رصيد من الكفاح ومقومات التماسك، ذلك الرصيد الذي هو العامل الأهم لنجاح الجزائريين في اجتياز مرحلة تصفية الاستعمار وتلافي الفخاخ التي ستصب في طريقهم لا محالة، مثل ما وضعت في طريق المغاربة، ولم يتصور أي نهاية لكفاح الشعب الجزائري غير الانتصار وأنه يمكن أن يبيء بالفشل، لكنه حذر من سياسات الاستعمار المخادعة التي تلتف على مطالب الشعوب، ويجب أن تؤدي نضالات الجزائريين وتضحياتهم لتتصيب نظام ثوري حقيقي والذي هو جبهة التحرير الوطني⁽⁹³⁾.

7- علاقة المهدي بن بركة بالجزائر المستقلة

بتوقيع اتفاقية إيفيان أمل المهدي أن تكون الجزائر هي الحالة المرجوة لتطبيق النموذج التقدمي، وكانت هناك خلال هذه الفترة اتصالات عديدة بين اليسار المغربي وقادة الثورة الجزائرية، فتواصل اليوسفي مع محمد حربي والأشرف ورضا مالك أثناء إعداد ميثاق طرابلس من أجل المبادرة المغاربية وقد بلغه فرحات عباس أن هناك انشغالا وأولوية داخلية بعملية بناء المؤسسات⁽⁹⁴⁾.

ومن خلال ميثاق طرابلس الذي وضع لبناء الدولة الجزائرية ومؤسساتها كان هناك تشارك لنفس الأفكار التي تبناها حزب بن بركة، فالأولوية لمعاداة الاستعمار والامبريالية، وللثورة الاقتصادية والاجتماعية وتحرير الفلاح والطبقات الكادحة، وكانت هناك دعوة للتقارب مع القوى الثورية التقدمية بالمغرب على عكس تونس⁽⁹⁵⁾، ومن هذه اللحظة باتت الجزائر المستقلة ونجاحها قضية شخصية للمهدي، "إن مستقبل الجزائر لا يهم الجزائر وحدها ولكن يهم المغرب العربي بأسره، ومن واجبنا كذلك ألا نتسامح مع أنفسنا في الماضي من أخطاء وسوء تقدير، حتى نساعد بتجربتنا المتواضعة إخواننا الجزائريين"⁽⁹⁶⁾.

كان تعويل بن بركة على الجزائر كبيرا لإحداث تغيير داخلي وتأثير مباشر في المعركة المغربية الداخلية بين القوى التقدمية وحلفاء الاستعمار كما يسميهم: "إن الوضع في الجزائر هو الذي سينتج عنه توضيح أكبر لنوعيات القوة المتقابلة في المغرب والذي سيؤثر بشكل ايجابي أو سلبي"، وقد رهن المهدي نجاح القوى التقدمية المغربية بإمكان جبهة التحرير الجزائرية من الإمساك بزمام السلطة في الجزائر.

ومباشرة بعد الاستقلال سارع المهدي لبعث مجموعة رفاق وصحفيين من باريس ليكونوا تحت تصرف الجزائريين، وأشهر معدودة بعد ذلك أضحى يتردد بشكل دائم على الجزائر، فبن بلة يستقبل كل المناضلين المعادين للامبريالية وكل أحرار العالم مثله ومثل تشي غيفارا ومانديلا، وبن بركة بالنسبة له: "صديق حميم، وله الحرية أن يتجول في كامل الجزائر في حماية الشرطة والدرك"⁽⁹⁸⁾.

وعندما تلاحقت الأحداث في المغرب وتصاعدت المواجهة بين حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية والملك الحسن الثاني، وحملة القمع التي أعقبت المؤامرة المزعومة في جويلية 1963م؛ اتهم المغرب الجزائر بالوقوف وراء القضية وتمويل التقدميين المغاربة بالسلاح، وأصبح بن بركة مطاردا فاحتضنه النظام الجزائري رسميا، وقام بن بلة بتخصيص راتب شهري له قدر بحوالي 250 ألف فرنك فرنسي قديم، وهي نفس قيمة راتب الرئيس بن بلة، وعينه مستشارا ومبعوثا له في قضايا عديدة⁽⁹⁹⁾.

وبقيت الجزائر مكان إقامة ثابت للمهدي رغم كثرة ترحاله، وقضى فيها فترة ستة أشهر متتالية ارتبط فيها بشبكة هنري كوريل (Curiel Henry)⁽¹⁰⁰⁾، ويذكر جون تابات (Jean Tabet) أحد مناضلي قضايا العالم الثالث وأحد أعضاء شبكة كوريل، أن بن بركة طلب منه في لقاء على غداء بالجزائر إخراج بوعبيد من المغرب، وتنقل تابات إلى المغرب والتقى بوعبيد لكنه رفض الخروج وأخبره أن مكانه بالمغرب⁽¹⁰¹⁾.

حاول بن بركة إنشاء فرع لحزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية بالجزائر، ومكاتب ربط مكونة من الطلبة، وقد وضعت جبهة التحرير تحت تصرفه فيلا في القبة حيث كان يجتمع فيها المنفيون المغاربة من الطلبة وقدماء المقاومة وصحفيون، كما سعى أيضا لإنشاء مدرسة إدارات، فتلقى بهذا الخصوص مساعدة ألمانيا الشرقية التي زودته بسيارة، وكذلك تلقى مساعدة مناضلين فرنسيين مثل غاليسو (Gallissot)⁽¹⁰²⁾، الذي ألقى محاضراته على المناضلين.

كان بن بركة يريد من هؤلاء أن يصبحوا إدارات تستطيع مساعدة دول العالم الثالث، وقد تواجد معه بالجزائر في هذه الفترة السعيد بونعيلات وشيخ العرب والجبلي وأعضاء آخرون من المقاومة الذين طالهم المنفى، ولم يكن لديه قرار واضح أو مشروع محدد، فقد سعى من أجل عودة المغاربة الذين كانوا مقيمين في الفيتنام بعد مشاركتهم في الحرب هناك مع الفرنسيين، كان يريد فتح مراكز تدريب لهم رغم أن كثيرين يؤكدون حرصه على عدم النزوع للثورة المسلحة والدخول في نزاع طويل يهدف للاستيلاء المسلح على الحكم⁽¹⁰³⁾.

8- موقف المهدي بن بركة من الجزائر بعد أزمة الحدود وحرب الرمال

مع تأزم الوضع بين الجزائر والمغرب واندلاع الاشتباك الحدودي بعد هجوم القوات المغربية على الأراضي الجزائرية في 15 أكتوبر 1963 م وإعلان الجزائر عدوا في المغرب من قبل الملك الحسن الثاني والطبقة السياسية المغربية وشن حملة دعائية ضخمة عليها، لم يتأخر المهدي بن بركة كثيرا وأصدر يوم 17 أكتوبر بيانا باسم حزب الاتحاد الوطني يشجب فيه اعتداءات المغرب: "الإتحاد الوطني للقوات الشعبية في المغرب يصدر بيانا يشجب فيه عدوان السلطات الملكية المغربية على التراب الوطني الجزائري ويناشد شعب المغرب بالوقوف إلى جانب شقيقه الشعب الجزائري"⁽¹⁰⁴⁾، وقد نُشر بيان المهدي في جريدة الشعب يوم 17 أكتوبر 1963م⁽¹⁰⁵⁾.

أرج المهدي بن بركة ما حدث في إطار الهجمة الإمبريالية الاستعمارية ضد دولة ثورية اشتراكية، واعتبره طعنة موجهة إلى الثورة الجزائرية وبصفة أهم إلى صميم الثورة العربية في سبيل الحرية والاشتراكية والوحدة وإلى مجموع حركات التحرر العالمية، ودعا جموع الشعب المغربي إلى الوعي لحقيقة المؤامرة وإلى إحباط المخطط الاستعماري والعمل على إيقاف الصدام المسلح، كما وجه دعوة للشعوب العربية والآسيوية والإفريقية للوقوف إلى جانب الشعب المغربي، الذي زُجَّ به في معركة عدوانية ضد أشقائه: "إنه ليست هناك قضية حدود بين شعب الجزائر والمغرب، الذين وحدث بينهما قرون التاريخ والمعركة ضد الاستعمار، واللذين يتوقان لتحقيق وحدة المغرب العربي"⁽¹⁰⁶⁾.

سارعت السلطات والطبقة السياسية التقليدية والإعلام في المغرب لاتهام المهدي بالخيانة العظمى، وحكم عليه بالإعدام يوم 09 نوفمبر 1963م، واستهجن الملك في خطابه موقف المهدي ووصفه بالدنيء والحقير وأنه طعنة في الظهر، لكن المهدي اعتبر موقفه وفاء لمبادئه وعقيدته وأيضا للجزائر التي استلهم منها النضال طويلا⁽¹⁰⁷⁾.

وضع المهدي الذي كان مفتونا بنجاح الثورة الجزائرية ومعجبا بتوجهات النظام الجزائري خبرته في خدمة الجزائر، ففي ميدان الإصلاح الزراعي ترجم كتابا أعده رفقة بعض المفكرين الفرنسيين ونشرت حلقاته في جريدة الشعب، وشرح فيه طريقة النهوض بالفلاحة، والتي قوامها: إعادة توزيع عادل للأراضي على عموم الشعب، وتغيير أسلوب الاستغلال من شكله الإقطاعي إلى الاشتراكي، وتحديث وسائل الإنتاج وتقنية الاستغلال، ويبقى التطبيق حسب بن بركة يحتاج إلى تدخل حازم من الدولة بطرق ثورية، وهو نفس الأسلوب الذي انتهجته الجزائر لاحقا وتنفيذ حرفي لرؤيته⁽¹⁰⁸⁾.

كانت آخر اتصالات المهدي بالجزائر من خلال تقرير أرسله إلى الرئيس أحمد بن بلة يوم 10 جوان 1965م، وهو عبارة عن مجموعة ملاحظات ونتائج حول مؤتمر منظمة التضامن الأفرو-آسيوي المنعقد بأكرا في 1964م، وحول الوضعية الراهنة بإفريقيا وأيضا حول القمة الإفريقية الآسيوية المزمع عقدها بالجزائر نهاية جوان، والتي كانت ستمثل باندونغ الثانية، تطرق المهدي في تقريره للنجاح في تجنب قمة أكرا أي نوع من الصراع والاحتكاك مما كان سيضر بقضايا التحرر، وقدم رؤية مفصلة عن النزاع السوفييتي الصيني، وأيضا النجاح في إبقاء التركيز على القضايا الراهنة وهي قضايا مواجهة الاستعمار، لكن هذا التقرير لم يصل أبدا إلى بن بلة الذي أطيح به يوم 19 جوان 1965م، ويسقطه فقد بن بركة حليفا مهما على الصعيد النضالي والفكري⁽¹⁰⁹⁾.

9- نهاية المهدي بن بركة وتأثيرها على العلاقة الثنائية بين البلدين

بعد سقوط نظام بن بلة لم تعد علاقة المهدي بن بركة بالجزائر كما كانت، وظل متحفزا من النظام الجديد ومن الرئيس بومدين، ويستشف نفس الموقف من الأخير، اتجاها باعتباره محسوبا على بن بلة، فعندما اختطف يوم 29 أكتوبر 1965م لم تتطرق له يومية الشعب الجزائرية حتى يوم 11 نوفمبر 1965 م، حيث تم الحديث بشكل مقتضب عن استتار المنظمات الوطنية الجزائرية لعملية الاختطاف⁽¹¹⁰⁾.

لقد اختفى المهدي بن بركة من الساحة السياسية المغربية والدولية يوم 29 أكتوبر 1965 م، نتيجة الاختطاف والتصفية التي طالته من قبل أجهزة الحسن الثاني، والتي جاءت نتيجة تضافر جهود دولية كثيرة أزعجها الدور الذي كان يلعبه المهدي بن بركة على صعيد الداخلي المغربي وعلى صعيد العالم الثالث ودعم حركات التحرر، فساهمت في تصفيته الأجهزة الأمنية المغربية والفرنسية والأمريكية وحتى جهاز الموساد الصهيوني، وبموته أجهض مشروع تضامن القارات الثلاث، وأجهض المشروع المعارض اليساري الداخلي، الذي كان يتزعمه المهدي، ويعتمد على الدعم الجزائري⁽¹¹¹⁾.

وبدورها فقدت الجزائر فيه حليفا إستراتيجيا ووازنا، ولم تستطع العديد من القيادات اليسارية الأخرى مثل البصري وبونعيلات أن تملأ الفراغ الذي تركه، لكن على صعيد العلاقات الثنائية بين الجزائر والمغرب، فرغم أنها ستزداد احتقانا في السنوات القادمة، بسبب أحداث السبعينيات، لكن انسحاب المهدي بن بركة من المشهد السياسي، أزاح ثقلا عن كاهل النظام المغربي، نظرا للنقل السياسي والأيدولوجي الذي يمثلته، ونتيجة قوة علاقته بالجزائر.

لقد بقي المهدي يعترف للجزائر بجميل المساعدة حتى آخر أيامه، ويذكر أنها ساعدت اليسار المغربي في محنته الكبرى، وشقيقه عبد القادر بن بركة ذكر أنه قبل تغييره بفترة قصيرة وعندما عفا عنه الملك وطلب منه العودة للمغرب وبلغه ذلك قال: "سأذهب أولا إلى الجزائر"، وهو نفسه في رسالته إلى بن بلة يخبره بقدمه، لكن

المهدي بن بركة لم يأت بعد ذلك أبداً إلى الجزائر، وبقيت فقط ذكرى دراسته بالجزائر وعلاقاته الوطيدة بها والنضال المشترك⁽¹¹²⁾.

خاتمة

يسجل التاريخ وجود علاقة وطيدة وحميمة بين المناضل الوطني والسياسي المغربي الكبير المهدي بن بركة وبين الجزائر دولة وشعباً ووطناً، قلّ أن توجد علاقة مماثلة لها، في ظل بروز النزعة القطرية والقومية، وغرق الكثير من السياسيين في المشاريع القطرية، وتجريم جل الدول خاصة العربية للعلاقات الخارجية للسياسيين. وعلاقة المهدي بن بركة بالجزائر قديمة، بدأت حين قدمها طالباً شاباً في نهاية الثلاثينيات، لتمثل له بداية الوعي النضالي وانطلاق النشاط السياسي، حيث تعرف فيها على الحركة الوطنية الجزائرية وتياراتها ورموزها، وتمرس فيها على النضال عبر انخراطه في النشاط الميداني، ورأسته لاتحاد طلبة شمال إفريقيا، وخلال هذه الفترة جمعت علاقات متينة بكثير من قيادات الحركة الوطنية.

وبعد عودة بن بركة للمغرب، استمر تواصله وعلاقته بالمناضلين الجزائريين، من خلال التنسيق الذي كان يحدث بين أحزاب الحركة الوطنية في البلدين، ليتطور هذا الأمر إلى التنسيق من أجل بلورة الكفاح الوطني نحو مشروع تحريري حقيقي في بداية الخمسينيات، كان للمهدي علاقة به ولو غير مباشرة. لكن تحت تأثير ظروف سياسية كثيرة، أبرزها الانضباط بموقف حزب الاستقلال المنتمي له وخياره التفاوضي بدل الكفاح المسلح، وحصول المغرب على استقلالها، ضعفت علاقة المهدي بالجزائر بين سنتي 1955 و1959م، وهي الفترة التي شهدت انكفاء المهدي على القضايا الداخلية وانشغاله ببناء مؤسسات دولة المغرب الناشئة، وكثير من تفاصيل الصراع السياسي الذي أملاه الاستقلال، ورغم هذا تسجل للمهدي بعض المواقف اتجاه الجزائر مثل مؤتمر طنجة سنة 1958 م.

وبعد انفصال المهدي بن بركة عن حزب الاستقلال، وتأسيسه رفقة الكثير من المناضلين الوطنيين المغاربة لحزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، عادت علاقة المهدي للتطور مع الجزائر، لتصبح قضيته الأولى واهتمامه الرئيسي، وينتهي به الأمر موالياً كلياً للجزائر بعد استقلالها، ويصبح حليفاً للنظام الجزائري حتى ضد نظام بلاده، وهو الأمر الذي سيكون له انعكاس كبير على مسار اليسار المغربي عموماً وعلى حياة المهدي بن بركة شخصياً، وسيكون أهم الدوافع للتخلص منه وتصفيته يوم 29 أكتوبر 1965 م.

الإحالات والهوامش

- 1- Bachir BEN BARKA, 2013, Mehdi Ben barka recueil de textes, CETIM, E: 01, Genève, p 04
- 2- Abdelkader BEN BARKA, 1966, El Mehdi Ben Barka mon frère, Robert Laffont, E:1, Paris, p 10./
- عبد اللطيف جبرو، 1986، المهدي بن بركة، الرياضيات مدرسة للوطنية، دار النشر المغربية، ط: 02، الدار البيضاء، ص 58.
- 3- أحمد بلافريج (1908-1990)، أحد مؤسسي حزب الاستقلال والأمين العام التاريخي له، وأول وزير خارجية للمغرب المستقل، وأول رئيس استقلالي للحكومة، ينظر: بيبير فيرموريين، 2014، تاريخ المغرب منذ الاستقلال، ترجمة: عبد الرحيم حزل، إفريقيا للنشر، ط: 02، الدار البيضاء، ص 22.
- 4- جبرو، مرجع سابق، ص: 62-65. / Abdelkader BEN BARKA, op-cit, p:11,12.
- 5- أحمد اليزيدي المدعو بوشعيب، أحد أبرز قادة العمل الوطني المغربي قاد حملة الاحتجاج على الظهير البربري سنة 1930 م، كان إلى جانب الزعيم علال الفاسي وأحمد الديوري، ممن قدم للإقامة سنة 1934 م عريضة مطالب الشعب المغربي، ظل في واجهة الأحداث حتى نهاية الحماية. انظر: جبرو، مرجع سابق، ص ص 67، 68.
- 6- لجنة العمل الوطني (CAM)، أول هيئة قيادية للحركة الوطنية المغربية تأسست سنة 1933 م. انظر: Moumen DIOURI, 1987, réalités marocaines-la dynastie alaouite de l'usurpation a l'impasse, Harmattan, E: 01, paris, p 70.

- 7- جبرو، مرجع سابق، ص: 66-68. أبو بكر القادري، 1992، مذكراتي في الحركة الوطنية 1930-1940، مطبعة النجاح الجديدة، ط: 01، الدار البيضاء، ج 1، ص 85. / Abdelkader BEN BARKA, op-cit, pp 20-31.
- 8- عبد الكريم غلاب، 1987، تاريخ الحركة الوطنية، مطبعة الرسالة، ط: 02، الرباط، ص ص 234، 235. / Zakya DAOUD – Maati MONDJIB, 1996, Ben Barka, édition Michalon, E:1, Paris, 85-88. / Abderrhim OUARDIGHI, 1982, l'itinéraire d'un nationaliste, Mehdi Ben Barka 1920-1965, Moncho, E: 01, Paris, p 32.
- 9- لقاءات جمعت بين الفرنسيين والطبقة السياسية المغربية، لحل الأزمة المغربية وعودة السلطان محمد بن يوسف لعرشه، انظر: قادة دين، الواقع السياسي في المغرب الأقصى من الاستقلال وحتى انتفاضة 23 مارس 1965 م، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2 - أبو القاسم سعد الله، 2020، ص 61.
- 10- Abdelkader BEN BARKA, op-cit, p 100.
- 11- عبد الرحيم بوعبيد (1922-1992م)، أحد رواد الحركة الوطنية ومؤسسي حزب الاستقلال، أول وزير وأب العملة المغربية والبنك المركزي المغربي، وأحد مؤسسي حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وأحد أهم رموز اليسار في المغرب. انظر: عبد الرحيم بوعبيد، 2018، شهادات وتأملات، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء.
- 12- عبد الرحمن اليوسفي (1924-2020 م)، مناضل وصحفي ومحامي، من مدينة طنجة، انضم للحركة الوطنية سنة 1944 م، أحد مؤسسي حزب الاستقلال ثم الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، انظر: فيرموريين، مرجع سابق، ص 193.
- 13- محمد البصري (1927-2003)، أو الفقيه البصري، ناضل في حزب الاستقلال، وثاني رئيس للمنظمة السرية المقاومة، ويعتبر الزعيم التاريخي للمقاومة المغربية، أحد مؤسسي حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وأحد أهم رموز اليسار والمعارضة المغربية، جيل بيرو، 2002، صديقنا الملك، ترجمة: ميشيل خوري، دار الطباعة للنشر والتوزيع، ط: 01، دمشق، ص ص: 65-67.
- 14- عثمان أشقرا، 2001، الحركة الاتحادية أو مسار فكرة تقدمية 1959-1999، إفريقيا الشرق، ط: 01، الدار البيضاء، ص 17.
- 15- قادة دين، المسار السياسي والفكري للمهدي بن بركة 1934-1965، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر 2 - أبو القاسم سعد الله، 2015، ص ص: 221-223.
- 16- جبرو، مرجع سابق، ص ص 68، 108.
- 17- DAOUD –MONDJIB, op-cit, p 75.
- 18- Mehdi ELMANDJRA, 1997, Ben Barka l'internationaliste, colloque Mehdi Ben Barka de l'indépendance marocaine a la tricontinentale, organisé par université de Paris 8 et l'institut Maghreb-Europe, 17-18 novembre 1995, sous la direction de René Gallissot et Jacques Kergoat, E:1, Karthala, p 178.
- 19- حسن أوريد، المهدي بن بركة، جريدة المساء، عدد: 2173، (19 سبتمبر 2013).
- 20- Abdelkader BEN BARKA, op-cit, p,p: 46,47. / DAOUD –MONDJIB, op-cit, p 75.
- 21- DAOUD –MONDJIB, op-cit, p 75.
- 22- André HERAULT, S D, le Maroc a visage découvert, nouvelle édition debresse, E:1, paris, p:166. / Abdelkader Benbarka, op-cit, p p 46,47.
- 23- الأمين دباغين (1917-2003 م)، طبيب ومناضل وسياسي جزائري، انتمى لحزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، كان أحد قيادات الثورة التحريرية ومن أعضاء الوفد الخارجي والمجلس الوطني للثورة ولجنة التنسيق والتنفيذ، شغل منصب وزير للخارجية في الحكومة المؤقتة الأولى. انظر: من هو الأمين دباغين، موقع جامعة سطيف، https://www.univ-setif2.dz/index.php?option=com_content&view=article&id=384:2014-11-30-09-30-47&catid=14&lang=ar&Itemid=102.
- 24- أحمد فرنسيس (1912-1968 م)، طبيب وسياسي جزائري، كان أحد رفاق فرحات عباس ومن مناضلي حركة أحباب البيان، انضم للثورة بعد مؤتمر الصومام، وعين وزيرا للمالية في الحكومة المؤقتة، وشغل منصب وزير المالية بعد الاستقلال. انظر: Abdellah Righi, 2007, Ahmed Francis 1910-1968 le docteur en politique, ANEP, E: 01, Alger.

- 25- أحمد بومنجل (1906-1984م)، محامي وسياسي جزائري، كان من مناضلي حركة أحباب البيان والاتحاد الديمقراطي، انضم للثورة بعد مؤتمر الصومام، ولقيدالية جبهة التحرير بفرنسا، شارك في مفاوضات إيفيان، وبعد الاستقلال شغل منصب وزير الإعمار، انظر: وزارة الثقافة الجزائرية، 2013، أبطال من ذاكرة الثورة، ابتكار للنشر والتوزيع، ط: 01، الجزائر، ص 59.
- 26- شوقي مصطفى (1919-2016 م)، طبيب وسياسي جزائري، من مناضلي حزب الشعب، ترأس جمعية طلبة مسلمي شمال إفريقيا. انظر: محمد يعيش، (2017)، "شوقي مصطفى ومساره النضالي، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية"، العدد: 01، مجلد: 05، ص ص 76-82.
- 27- مصالي الحاج (1898-1974م)، ولد بتلمسان، أب الحركة الوطنية وزعيم التيار الاستقلالي التاريخي، ومؤسس جمعية نجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب الجزائري ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية. انظر: مصالي الحاج، 2007، مذكرات، ترجمة: محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للطبع والاتصال والإشهار، ط: 01، الجزائر.
- 28- صحفي فرنسي ولد بقسنطينة في 28 أوت 1923م وتوفي سنة 1993م، مناضل في حركة القارات الثلاث، عمل في مختلف الصحف الفرنسية مثل (Action, Farance Observateur)، كان مقربا من المهدي بن بركة، أنظر: Jean-Louis Planche et René Gallissot, (19 Avril 1914), notice LENTIN Albert-Paul, Maitron, http://maitron-en-ligne.univ-paris1.fr/spip.php?article158289&id_mot=3633
اطلع عليه بتاريخ: 2019/04/08.
- 29- DAOUD – MONDJIB, op-cit, p 76.
- 30- Abdelkader BEN BARKA, op-cit, p p 46,47/. أوريد، مرجع سابق.
- 31- DAOUD – MONDJIB, op-cit, p p 75,76.
- 32- جبرو، مرجع سابق، ص: 122/. دين، مرجع سابق، ص ص 49-47.
- 33- دين، مرجع سابق، ص ص 55-57.
- 34- الحبيب بورقيبة (1903-2000 م) محامي ومناضل تونسي، مؤسس الحزب الدستوري الجديد، وأحد مؤسسي مكتب المغرب العربي، أول رئيس لتونس. انظر: الطاهر بلخوجة، 1999، الحبيب بورقيبة، سيرة زعيم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة.
- 35- عبد الكريم الخطابي (1882-1963 م)، سياسي وعسكري مغربي، وقائد ثورة الريف 1921-1926م، ومؤسس جمهورية الريف، حمل لقب أمير، نفي سنة 1926م إلى جزيرة لارينيون الفرنسية بالمحيط الهندي، فر سنة 1947 م من الأسر ولجأ إلى القاهرة، أسس مكتب تحرير المغرب العربي ثم لجنة تحرير المغرب العربي، ساهم في إطلاق الكفاح المسلح المغاربي، توفي ودفن بالقاهرة. انظر: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، 1989، معلمة المغرب، مطابع سلا، ص ص 3759-3767.
- 36- أحمد مزغنة (1907-1982 م)، سياسي ومناضل جزائري من إطارات حزب الشعب وعضو اللجنة المركزية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، انضم للمصاليين في أزمة 1953م. انظر: رفاص نادية، الحركة المصالية، نشأتها وتطورها في فرنسا 1954-1958، شهادة ماجستير، جامعة وهران، 2010، ص 16.
- 37- Déclaration des Partis d'Afrique du Nord aux ONU, 02 Novembre 1948, publie par René Gallissot et Jacques Kergoat, 1997, colloque Mehdi Ben Barka de l'indépendance marocaine a la tricontinentale, op-cit.
- 38- محمد علي الدايش، 2004، دراسات في الحركات الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، اتحاد الكتاب العرب، ط: 01، دمشق، ص 181.
- 39- المهدي بن بركة، 1966، الاختيار الثوري، دار الطليعة، ط: 2، بيروت، ص ص 41، 42.
- 40- عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائرية المغربية أثناء الثورة التحريرية 1954-1962، رسالة دكتوراه، جامعة قسنطينة 2007/2008، ص 112.
- 41- عبد الرحمان بن عبد الله الصنهاجي (1918 - 1985 م)، وطني ونقابي انخرط في حزب الاستقلال، كان له الفضل في تأسيس أولى خلايا المقاومة، من طليعة مؤسسي جيش التحرير، وكان له دور بارز في الكفاح المسلح. انظر: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مرجع سابق، ج: 25، ملحق: 02. ص ص 177، 178.

- 42- محمد بن سعيد آيت إيدر (1925)، من جنوب المغرب، ناضل في الحركة الوطنية ونشط في المقاومة، من قيادات جيش التحرير بالجنوب ومن مؤسسي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. انظر: محمد بن سعيد آيت إيدر، 2018، هكذا تكلم محمد بن سعيد، مركز محمد بن سعيد آيت إيدر للأبحاث والدراسات، الدار البيضاء.
- 43- محمد بوضياف (1919-1992 م)، مناضل وسياسي جزائري، عضو حزب الشعب وحركة انتصار الحريات الديمقراطية وعضو لجنة الستة التي فجرت الثورة التحريرية، وأحد رؤساء الجزائر. رفا، مرجع سابق، ص 16.
- 44- نذير بوزار، من منطقة مليانة، عمل في الإدارة الفرنسية بالمغرب، والتحق بالقاها سنة 1953 م، وعين ضمن قيادة جيش التحرير المغربي، نقل أول شحنة سلاح إلى المغرب وكان له دور مهم في تدريب عناصر جيش التحرير. انظر: نذير بوزار، 2008، جيش التحرير الوطني المغربي 1955-1956، ترجمة: عبد الرحيم الوردغي، دار أبي رقرق، ط: 01، الرباط.
- 45- Mehdi BEN BARKA, 1959, problèmes d'édification du Maroc et du Maghreb, 4 entretiens avec Ben barka, Tribune libre, recueillis par Raymond Jean, Plon, E:1, paris, p 28.
- 46- العربي بن مهيدي (1923-1957 م)، مناضل وسياسي جزائري، ينحدر من مدينة عين مليلة، كان أحد إطارات حزب الشعب وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، وأحد أعضاء المنظمة الخاصة وأحد مفجري ثورة التحرير، استشهد تحت التعذيب في شهر مارس 1957م. انظر: رفا، مرجع سابق، ص 18.
- 47- DAOUD – MONDJIB, op-cit, p:136./ Jean LACOUTURE, 1983, Profils perdus, éditions A.M.Métailié, E:1, Paris, p p 40, 41.
- 48- محمد ناصري الطويل (1925-1956)، المعروف بعباس المسعدي، انضم لحزب الاستقلال وللمقاومة، اعتقل سنة 1953م، حاول بعد خروجه من السجن التحضير لإطلاق الثورة المسلحة، اتجه إلى القاها حيث التقى بالأمير الخطابي، وكانت له علاقة بالمناضلين الجزائريين، صفي في جوان 1956م. DAOUD –MONDJIB, op-cit, p 127.
- 49- مقالاتي، مرجع سابق، ص ص 105، 106.
- 50- غلاب، مرجع سابق، ج 1، ص 676.
- 51- HASSANE II, 1993, la mémoire d'un roi, entretiens avec Eric laurent, Plon, E:1, Paris, p:55. / Kamal-Eddine MOURAD, 1972, le Maroc a la recherche d'une révolution, sindibad, E:1, Paris, p: 54. مقالاتي، مرجع سابق، ص ص 102-125.
- 52- اليخت دينا: عملية قامت بها لجنة تحرير المغرب العربي بالتنسيق مع المخابرات المصرية، في شهر فيفري 1955 م، نقلت من خلالها دفعة سلاح إلى الثورة الجزائرية والمغربية، تولى قيادتها نذير بوزار وهواري بومدين. انظر: بلحسن بالي، 2013، ملحمة اليخت دينا، ترجمة: عبد الحميد بوجلة، ثالة، ط: 01، الجزائر، ص ص 23-30.
- 53- محمد أوحاماد أجار (1920-2017 م)، المعروف باسم السعيد بونعيلات، من الرعيل الأول للوطنية والمقاومة، ينحدر من قبيلة أمانوز بمنطقة تافروات بإقليم سوس، من طليعة القيادة التي حضرت لإطلاق جيش التحرير، بعد الاستقلال انخرط في الحركة التقدمية. انظر: محمد لومة، 2013، السعيد بونعيلات، مكافح مغربي يتذكر، سلسلة منتدى الأمة للدراسات.
- 54- إدغار فور (1908-1988 م)، محامي وسياسي يساري فرنسي، ترأس الحكومة مرتين، الأولى سنة 1952، والثانية من فبراير 1955 وحتى فبراير 1956، ترأس الجمعية الوطنية من سنة 1973 وحتى سنة 1978، انتخب سنة 1978 عضوا في الأكاديمية الفرنسية. انظر: إدغار فور، 1986، مذكرات إدغار فور، ترجمة: حافظ الجمالي، طلاس للدراسات والنشر، ط: 01، دمشق.
- 55- MOURAD, op-cit, p 54.
- 56- Paul BALTA, 1990, le Grand Magreb, des indépendance a l'an 2000, laphomic, S E, Paris, p 22.
- 57- المهدي بن بركة، مصدر سابق، ص ص 41، 42.
- 58- علال الفاسي (1910-1974 م)، سياسي وأديب مغربي، يعتبر أحد أهم رموز الحركة الوطنية والزعيم التاريخي لحزب الاستقلال المغربي، وأحد وجوه الحركة الإسلامية المعاصرة والحركة النضالية المغاربية، انظر: عبد الكريم غلاب، 1974، ملامح من شخصية علال الفاسي، مطبعة الرسالة، ط: 01، الرباط.
- 59- عبد العزيز بلقزيز، العربي مفضال، أمينة البقالي، 1992، الحركة الوطنية المغاربية والمسألة القومية، مركز دراسات الوحدة العربية، د ط، بيروت، ص 70.
- 60- Abdelkader BEN BARKA, op-cit, p p 90-100.
- 61- مقالاتي، مرجع سابق، ص 141.

- 62-** محمد بن حمو المسفوي (1923- 013 م)، مقاوم مغربي ينحدر من منطقة وارزازات، كان له دور كبير ومحوري في جيش تحرير المغرب العربي منذ تأسيسه وحتى نهايته. محمد بن سعيد آيت إيدر، 2011، وثائق جيش التحرير في الجنوب 1956-1959م، نشر مركز محمد بن سعيد آيت إيدر، مطبعة النجاح الجديدة، ط: 01، الدار البيضاء، ص 17.
- 63-** سيدي أحمد أو براهيم أكوليز، لقب بشيخ العرب، من الرعيل الأول للمقاومة المغربية، سجن في عهد الاحتلال وفي عهد الاستقلال، من مؤسسي جيش التحرير بالجنوب، عارض بشدة النظام الملكي وتبنى الخيار المسلح، كانت له علاقة قوية بالجزائر. أشقرا، مرجع سابق، ص ص 76، 77.
- 64-** عدي وببيهي، زعيم أمازيغي محلي، وأحد من ساندوا السلطان محمد بن يوسف أثناء خلع من العرش، عين بعد الاستقلال عاملا على إقليم تافيلالت، فتمرد بسبب رفضه لسلطة حزب الاستقلال، ينظر: الزاكي عبد الصمد، 2015، عدي وببيهي: العامل المتمرد، مطابع الرباط نت، ط: 01، الرباط.
- 65-** المهدي بن بركة، التقرير المقدم لمنظمة التضامن الأفرو- آسيوي، 15 نوفمبر 1960، وثيقة مطبوعة، ملحق كتاب المهدي بن بركة، الاختيار الثوري، مصدر سابق.
- 66-** محمد خيضر (1912- 1967 م) سياسي جزائري، وأحد مفجري الثورة، ينحدر من منطقة بسكرة، ناضل في صفوف جمعية نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية، لجأ إلى القاهرة وانضم إلى مكتب تحرير المغرب العربي، كان عضوا في الوفد الخارجي للثورة التحريرية، وكان من ضمن القادة الخمس المختطفين في حادثة الطائرة سنة 1956 م. انظر: Tarik Khider, "Mohamed Khider, le parcours d'un nationaliste algérien assassiné", le Matin, (02 Janvier 2013).
- 67-** حسين آيت أحمد (1926- 2015 م)، سياسي جزائري، ناضل في صفوف حزب الشعب وحركة انتصار الحريات، كان من مؤسسي المنظمة الخاصة، ومن قادة الثورة وأحد أعضاء الوفد الخارجي لها. انظر: Hocine Ait Ahmed, 2009, Mémoires d'un combattant, L'esprit d'indépendance 1942-1952, Barzakh, E: 02, Alger.
- 68-** مصطفى الأشرف (1917- 2007م)، سياسي ومناضل جزائري، انضم لحزب الشعب وكان من الرعيل الأول للثورة التحريرية، عين في المجلس الوطني للثورة وتعرض للاختطاف رفقة الزعماء التاريخيين في حادثة الطائرة سنة 1956 م، بعد الاستقلال شغل منصب وزير وسفير. انظر: الطاهر أوشiche، "بعد مرور عامين على رحيل مصطفى الأشرف، مفكر في طي النسيان"، الخبر الأسبوعي، (04 جويلية 2009).
- 69-** DAOUD –MONDJIB, op-cit, p.p: 157, 158.
- 70-** Georges CHAFFARD, 1967, Les Carnets secrets de la décolonisation, Calmann-levy, S E, Paris, p 115.
- 71-** Ibid, p 115.
- 72-** Mehdi BEN BARKA, problèmes d'édification du Maroc et Maghreb, op-cit, p 42.
- 73-** أحمد توفيق المدني (1899- 1983م)، عالم ومؤرخ وسياسي جزائري، أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، انضم للثورة سنة 1956م وأصبح عضوا في مجلسها الوطني وفي وفدها الخارجي، ثم في الحكومة المؤقتة، بعد الاستقلال شغل منصب وزير وسفير. انظر: عبد القادر خليف، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899- 1983، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007.
- 74-** محمد خير الدين البسكري (1902- 1993 م)، عالم وسياسي جزائري ينحدر من منطقة بسكرة، من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التحق بالثورة وعين ممثلا عنها بالمغرب. انظر: أسعد لهاللي، الشيخ محمد خير الدين وجهوده الإصلاحية في الجزائر 1902- 1993، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006.
- 75-** عمر بن عبد الجليل، أصله من تلمسان الجزائرية، من رواد الحركة الوطنية المغربية، أحد الموقعين على وثيقة الاستقلال، وأول مهندس فلاحه مغربي، شغل بعد الاستقلال منصب وزير للفلاحة ثم وزير التربية. انظر: أبو بكر القادري، 1988، الحاج عمر بن عبد الجليل، صور من حياته ومواقف من جهاده، دار الرسالة للطبع والنشر والإعلام، ط: 01، الدار البيضاء.
- 76-** أحمد توفيق المدني، 2009، حياة كفاح، مذكرات، دار البصائر، ط: 2، الجزائر، ص، ص: 281، 282. /مقالاتي، مرجع سابق: ص ص 234، 235.

- 77- محمد حربي، سياسي ومؤرخ جزائري، ولد سنة 1933م بالحروش بسكيكدة، ناضل في صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وترأس ودادية طلبة شمال إفريقيا بباريس بين سنتي 1953 و1954م، التحق بالثورة سنة 1956م وتولى عدة مسؤوليات في فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، بعد الاستقلال شغل بعض الوظائف في وزارة الخارجية، وقد سجن بعد التصحيح الثوري سنة 1965م، وفر من السجن إلى فرنسا سنة 1973م وتحول من السياسة إلى التاريخ. انظر: مولود قرين، (جوان 2020) "محمد حربي، في حياة تصدي وصمود، بين نرجسية المناضل وموضوعية المؤرخ"، مجلة تاريخ العلوم، عدد: 13، مجلد: 05، ص 96.
- 78- عبد الحفيظ بوصوف (1926- 1980 م)، سياسي جزائري ينحدر من منطقة ميلة، ناضل في صفوف حزب الشعب وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، كان من ضمن مجموعة ال22 ومن مفجري الثورة، شغل منصب نائب بن مهدي في قيادة الولاية الخامسة التاريخية، وكان عضوا في المجلس الوطني لثورة، ثم وزير للتسليح في الحكومة المؤقتة، يعتبر مؤسس المخابرات الجزائرية. انظر: أسعد لهلاي، (مارس 2019)، "عبد الحفيظ بوصوف ودوره في الثورة التحريرية الجزائرية"، مجلة هيروود للعلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد: 09.
- 79- Med HARBI, Ben barka et les nationalistes arabes, colloque Mehdi Ben Berka, de l'indépendance marocaine a la tricontinentale, op-cit, p,p: 137,138.
- 80- Attilio GAUDIO, 1991, Guerres et Paix aux Maroc, karthala, E:1, Paris, p p 75,76.
- 81- مؤتمر طنجة، مؤتمر تضامني مغربي عقد في شهر أبريل 1958 م بمدينة طنجة المغربية، بين حزب الاستقلال المغربي والحزب التونسي الدستوري الحر الجديد وجبهة التحرير الوطني بحث مسألة الوحدة المغربية. انظر: معمر العايب، 2010، مؤتمر طنجة المغربي، دراسة تحليلية تقييمية، دار الحكمة للنشر، ط: 01، الجزائر.
- 82- بلقزيز، مفصال، بقالي، مرجع سابق، ص 237.
- 83- فرحات عباس (1899- 1985 م)، مناضل وسياسي جزائري، بدأ إدماجيا وانتهى ثوريا، بدأ النضال منذ العشرينيات، أسس حزب الاتحاد الشعب الجزائري سنة 1938، ثم حزب حركة أحباب البيان ثم حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، التحق بالثورة سنة 1956م وأصبح رئيسا لأول حكومة جزائرية مؤقتة. انظر: عز الدين معزة، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005.
- 84- باهي لدغم (1913- 1998 م)، مناضل وسياسي تونسي، ناضل في صفوف الحزب الدستوري الحر الجديد، وشغل منصب الوزير الأول بين سنتي 1969 و1970م. انظر: عبد الرحمن الأدغم، 2019، الباهي الأدغم الزعامة الهادئة، شهادات وخواطر، دار نيرفانا للنشر، ط: 01، تونس.
- 85- مقالاتي، مرجع سابق، ص ص 345، 554.
- 86- ميثاق المؤتمر التأسيسي للاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وثيقة مطبوعة، ملحق الاختيار الثوري، مصدر سابق.
- 87- المهدي بن بركة، الاختيار الثوري، مصدر سابق، ص 65.
- 88- نفسه، ص ص 41، 42.
- 89- نفسه، ص 78.
- 90- تقرير المهدي بن بركة لمنظمة التضامن الأفرو- آسيوي، مصدر سابق.
- 91- HARBI, op-cit, p 139.
- 92- DAOUD – MONDJIB, op-cit, p 263.
- 93- المهدي بن بركة، الاختيار الثوري، مصدر سابق، ص ص 22، 23. / المهدي بن بركة، الاستعمار الجديد والاستقلال المزيف، الشعب، عدد: 99، 06 أبريل 1963، ص 06.
- 94- DAOUD – MONDJIB, op-cit, p: 265.
- 95- مقالاتي، مرجع سابق، ص 464.
- 96- المهدي بن بركة، الاختيار الثوري، مصدر سابق، ص ص 23، 24.
- 97- نفسه.
- 98- أحمد بن بلة شهادة شفوية، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، قناة arte، 2001. /
- DAOUD – MONDJIB, op-cit, p 265.
- 99- بن بلة شهادة شفوية، مصدر سابق.

100- مناضل يساري مصري المولد، إيطالي الأصل، ولد سنة 1914 م من جذور يهودية، مناصر لقضايا العالم الثالث، أسس شبكة حاملي الحقائق أثناء الثورة التحريرية الجزائرية، وفر له النظام الجزائري الحماية في الستينيات، اغتيل سنة 1978 م، انظر: Gilles PERRAULT, Henri Curiel, citoyen du tiers-monde, le monde diplomatique, N: 528, (avril 1998), pp 24,25.

101- جون تابات، شهادة شفوية، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، قناة arte، 2001.

102- مؤرخ يساري فرنسي متخصص في المغرب خلال فترة الاحتلال وفي الحركة اليسارية والعمالية، درّس بجامعة الجزائر سنة 1962، ودرّس بجامعة أوروبية عريقة: معهد مغرب- أوروبا، وجامعة باريس 8، انظر: Abdellatif MANSOUR, "René Gallissot, un historien de terrain le laboureur du temps", Maroc Hebdo, (17 Octobre 1998).

103- حميد برادة، شهادة شفوية، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، قناة arte، 2001./

DAOUD – MONDJIB, op - cit, p 309

104- بيان المهدي بن بركة لشجب اعتداء المغرب، 17 أكتوبر 1963، ملحق رقم: 04، الاختيار الثوري، مصدر سابق.

105- جريدة الشعب، عدد: 266، 17 أكتوبر 1963.

106- نفسه.

107- DAOUD – MONDJIB, op-cit, p: 309.

108- المهدي بن بركة، شروط الإصلاح الزراعي في المغرب، ج 1 - ج 10 جريدة الشعب، عدد: 154- 166، 11- 25 جوان 1963، ص 04.

109- rapport de Mehdi Ben barka orienté au président Ben Bella, traduit par Abderrahmane El youssefi, publie par colloque Mehdi Ben Barka de l'indépendance marocaine a la tricontinentale, op-ci

110- جريدة الشعب، عدد: 901، 11 نوفمبر 1965، ص ص 01، 02.

111- BOUKHARI Ahmed, 2002, le secret –Benbarka et le Maroc, Lafon, Paris, pp 132-161.

112- دين، مرجع سابق، ص ص 226- 232.

- قائمة المصادر والمراجع

- الوثائق

- المهدي بن بركة، التقرير المقدم لمنظمة التضامن الأفرو- آسيوي، 15 نوفمبر 1960، وثيقة مطبوعة، ملحق كتاب المهدي بن بركة، 1966، الاختيار الثوري، دار الطليعة، ط: 2، بيروت.
- المهدي بن بركة، بيان شجب اعتداء المغرب على الجزائر، 17 أكتوبر 1963، ملحق كتاب المهدي بن بركة، 1966، الاختيار الثوري، دار الطليعة، ط: 2، بيروت.
- ميثاق المؤتمر التأسيسي للاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وثيقة مطبوعة، ملحق كتاب المهدي بن بركة، 1966، الاختيار الثوري، دار الطليعة، ط: 2، بيروت.

- Déclaration des Partis d'Afrique du Nord aux ONU, 02 Novembre 1948, publie par René Gallissot et Jacques Kergoat, 1997, colloque Mehdi Ben Barka de l'indépendance marocaine a la tricontinentale, karthala, paris.
- rapport de Mehdi Ben barka orienté au président Ben Bella, traduit par Abderrahmane El youssefi, publie par René Gallissot et Jacques Kergoat, 1997, colloque Mehdi Ben Barka de l'indépendance marocaine a la tricontinentale, karthala, paris.

- الكتب

- أبو بكر القادري، 1988، الحاج عمر بن عبد الجليل، صور من حياته ومواقف من جهاده، دار الرسالة للطبع والنشر والإعلام، ط: 01، الدار البيضاء.
- إدغار فور، 1986، مذكرات إدغار فور، ترجمة: حافظ الجمالي، طلاس للدراسات والنشر، ط: 01، دمشق.
- أحمد توفيق المدني، 2009، حياة كفاح، مذكرات، دار البصائر، ط: 2، الجزائر.
- بيبير فيرمورين، 2014، تاريخ المغرب منذ الاستقلال، ترجمة: عبد الرحيم حزل، إفريقيا للنشر، ط: 02، الدار البيضاء.
- بلحسن بالي، 2013، ملحمة اليخت دينا، ترجمة: عبد الحميد بوجلة، ثالة، ط: 01، الجزائر.

- جيل بيرو، 2002، صديقنا الملك، ترجمة: ميشيل خوري، دار الطباعة للنشر والتوزيع، ط: 01، دمشق.
- الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، 1989، معلمة المغرب، مطابع سلا، سلا.
- وزارة الثقافة الجزائرية، 2013، أبطال من ذاكرة الثورة، ابتكار للنشر والتوزيع، ط: 01، الجزائر.
- الطاهر بلخوجة، 1999، الحبيب بورقيبة، سيرة زعيم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة.
- المهدي بن بركة، 1966، الاختيار الثوري، دار الطليعة، ط: 2، بيروت.
- محمد بن سعيد آيت إيدر، 2011، وثاق جيش التحرير في الجنوب 1956-1959 م، نشر مركز محمد بنسعيد آيت إيدر، مطبعة النجاح الجديدة، ط: 01، الدار البيضاء.
- محمد بن سعيد آيت إيدر، 2018، هكذا تكلم محمد بنسعيد، مركز محمد بنسعيد آيت إيدر للأبحاث والدراسات، الدار البيضاء.
- محمد لومة، 2013، السعيد بونعيلات، مكافح مغاربي يتذكر، سلسلة منتدى الأمة للدراسات.
- محمد علي الدايش، 2004، دراسات في الحركات الوطنية والاتجاهات الوندوية في المغرب العربي، اتحاد الكتاب العرب، ط: 01، دمشق.
- مصالي الحاج، 2007، مذكرات، ترجمة: محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للطبع والاتصال والإشهار، ط: 01، الجزائر.
- معمر العايب، 2010، مؤتمر طنجة المغاربي، دراسة تحليلية تقييمية، دار الحكمة للنشر، ط: 01، الجزائر.
- نذير بوزار، 2008، جيش التحرير الوطني المغربي 1955-1956، ترجمة: عبد الرحيم الوردغي، دار أبي رقرق، ط: 01، الرباط.
- عبد الكريم غلاب، 1974، ملامح من شخصية علال الفاسي، مطبعة الرسالة، ط: 01، الرباط.
- عبد الكريم غلاب، 1987، تاريخ الحركة الوطنية المغربية، مطبعة الرسالة، ط: 2، الرباط.
- عبد اللطيف جبرو، 1986، المهدي بن بركة، الرياضيات مدرسة للوطنية، دار النشر المغربية، ط: 2، الدار البيضاء.
- عبد العزيز بلقرين، العربي مفضال، أمينة البقالي، 1992، الحركة الوطنية المغربية والمسألة القومية، مركز دراسات الوحدة العربية، د ط، بيروت.
- عبد الرحيم بوعبيد، 2018، شهادات وتأملات، المركز الثقافي العربي، ط: 1، الدار البيضاء.
- الزاكي عبد الصمد، 2015، عدي وبهي: العامل المتمرد، مطابع الرباط نت، ط: 01، الرباط.
- Abdelkader BEN BARKA, 1966, El mehdi ben Benbarka mon frère, Robert Lafont, E: 1, paris.
- Abdellah Righi, 2007, Ahmed francis 1910-1968 le docteur en politique, ANEP, E: 01, Alger.
- Abderrhim OUARDIGHI, 1982, l'itinéraire d'un natoinaliste, Mehdi Ben Barka 1920-1965, Moncho, E: 01, Paris.
- André HERAULT, S D, le Maroc a visage découvert, nouvelle édition debresse, E: 1, Paris.
- Attilio GAUDIO, 1991, Guerres et Paix aux Maroc, karthala, E:1, Paris.
- Georges CHAFFARD, 1967, Les Carnets secrets de la décolonisation, Calmann-levy, S E, Paris.
- Bachir BEN BARKA, 2013, Mehdi Ben barka recueil de textes, CETIM, E: 01, Geneve.
- HASSANE II, 1993, la mémoire d'un roi, entretiens avec Eric laurent, Plon, E:1, Paris.
- Hocine AIT AHMED, 2009, Mémoires d'un combattant, L'esprit d'indépendance 1942-1952, Barzakh, E: 02, Alger.
- Jean LACOUTURE, 1983, Profils perdus, éditions A.M.Métailié, E:1, Paris.
- Kamal-Eddine MOURAD, 1972, le Maroc à la recherche d'une révolution, sindibad, E:1, paris.
- Med HARBI, 1997, Ben barka et les nationalistes arabes, colloque Mehdi Ben Berka, de l'indépendance marocaine a la tricontinentale, karthala, E:1, paris.
- Mehdi BEN BARKA, 1959, problèmes d'édification du Maroc et du Maghreb, 4 entretiens avec Ben barka, Tribune libre, recueillis par Raymond Jean, Plon, E:1,Paris.
- Mehdi ELMANDJRA, 1997, Ben Barka l'internationaliste, colloque Mehdi Ben Barka de l'indépendance marocaine a la tricontinentale, organisé par université de Paris 8 et l'institut Maghreb-Europe, 17-18 novembre 1995, sous la direction de René Gallissot et Jacques Kergoat, Karthala, E:1, Paris.
- Moumen DIOURI, 1987, réalités marocaines-la dynastie alaouite de l'usurpation al'impasse, Harmattan, E: 01, paris.

- Paul BALTA, 1990, le Grand Magreb, des indépendance a l'an 2000, laphomic, S E, Paris, Alger.
- Zakya DAOUD – Maati MONDJIB, 1996, Ben Barka, édition Michalon, E:1, Paris.

– الشهادات الشفهية

- أحمد بن بلة، شهادة شفهية، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، قناة arte، 2001.
- جون تابات، شهادة شفهية، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، قناة arte، 2001.
- حميد بريدة، شهادة شفهية، برنامج بن بركة المعادلة المغربية، قناة arte، 2001.

– المقالات الأكاديمية

- أسعد لهالي، "عبد الحفيظ بوضوف ودوره في الثورة التحريرية الجزائرية"، مجلة هيودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مؤسسة هيودوت للبحث العلمي والتكوين، الجزائر، عدد: 09، (مارس 2019).
- مولود قرين، "محمد حربي، في حياة تصدي وصمود، بين نرجسية المناضل وموضوعية المؤرخ"، مجلة تاريخ العلوم، جامعة زيان عاشور، الجلفة، العدد: 13، مجلد 05، (جوان 2020).
- محمد يعيش، "شوقي مصطفى ومساره النضالي"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد: 01، مجلد 05، (2017).

– الجرائد

- المهدي بن بركة، الاستعمار الجديد والاستقلال المزيف، الشعب، عدد: 99، (06 أبريل 1963)، ص: 06.
- المهدي بن بركة، شروط الإصلاح الزراعي في المغرب، ج 1- ج 10 جريدة الشعب، عدد: 154-166، (11-25 جوان 1963)، ص: 04.
- الشعب، عدد: 266، (17 أكتوبر 1963).
- الطاهر أوشيجة، "بعد مرور عامين على رحيل مصطفى الأشرف، مفكر في طي النسيان"، الخبر الأسبوعي، (04 جويلية 2009).
- حسن أوريد، المهدي بن بركة، جريدة المساء، عدد: 2173، (19 سبتمبر 2013).
- Gilles PERRAULT, Henri Curiel, citoyen du tiers-monde, le monde diplomatique, n: 528, (avril 1998).
- Abdellatif MANSOUR, René Gallissot, un historien de terrain le laboureur du temps, MarocHebdo, (17 Octobre, 1998).
- Tarik Khider, "Mohamed Khider, le parcours d'un nationaliste algérien assassiné", le Matin, (02 Janvier 2013).

– الرسائل الجامعية

- أسعد لهالي، الشيخ محمد خير الدين وجهوده الإصلاحية في الجزائر 1902-1993، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006.
- عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائرية المغربية أثناء الثورة التحريرية 1954-1962، رسالة دكتوراه، جامعة قسنطينة، 2008/2007.
- عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1989-1983، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007.
- عز الدين معزة، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005.
- قادة دين، المسار السياسي والفكري للمهدي بن بركة 1934-1965، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله، 2015.
- قادة دين، الواقع السياسي في المغرب الأقصى من الاستقلال وحتى انتفاضة 23 مارس 1965 م، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله، 2020.
- رفاس نادية، الحركة المصالية، نشأتها وتطورها في فرنسا 1954-1958، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2010.

– مواقع الإنترنت

- par Jean-Louis Planche et René Gallissot, mise en ligne le 19 avril 2014, LENTIN Albert-Paul [Dictionnaire Algérie],
- http://maitron-en-ligne.univ-paris1.fr/spip.php?article158289&id_mot=3633.
- https://www.univ-setif2.dz/index.php?option=com_content&view=article&id=384:2014-11-30-09-30-47&catid=14&lang=ar&Itemid=102.

Présence de l'absence, traces du rien ? L'addiction au virtuel à l'adolescence**Pr. Amel DEHANE**

Département de psychologie, Université Badji Mokhtar Annaba, dehane.amel@hotmail.fr

Soumis le : 11/09/2022

révisé le : 16/10/2022

accepté le : 16/10/2022

Résumé

Les adolescents connaissent d'importants bouleversements dans leur corps et leur esprit, et ils doivent gérer des situations difficiles de séparation et d'excitation. Ils tentent d'utiliser les nouvelles technologies pour diminuer leur souffrance. Cet article a pour objectif de préciser les angles de vue autour de l'addiction au virtuel. Nous avons conçu cette nouvelle forme de dépendance en lien avec le processus adolescent et la problématique de séparation qu'il implique. Le virtuel devient chez l'adolescent dépendant un objet transitoire (McDougall) se manifestant à travers une socialisation non socialisante. L'addiction au virtuel vient empêcher le second processus de séparation-individuation (P. Blos) que constitue l'adolescence.

Mots-clés: Adolescence, addiction au virtuel, corps, objet virtuel, relation virtuelle, dépendance, internet.

وجود الغياب، آثار اللا شيء ؟ الإدمان الافتراضي في مرحلة المراهقة

ملخص

يمر المراهقون باضطرابات كبيرة متعلقة بأجسادهم وعقولهم ، وعليهم التعامل مع المواقف الصعبة من الانفصال والإثارة. فهم يحاولون استخدام تقنيات جديدة لتقليل معاناتهم. تهدف هذه الورقة إلى توضيح زوايا الإدمان الافتراضي. هذا الشكل الجديد من التبعية المتعلق بسيرورة المراهقة ومشكلة الانفصال التي تنطوي عليها. عندها يصبح الافتراضي عند المراهق المعتمد موضوعا انتقاليا (McDougall) يظهر نفسه من خلال التنشئة الاجتماعية غير مجتمعة. الإدمان على العالم الافتراضي يعرقل السيرورة الثانوية للانفصال-الفردانية (P. Blos) التي تشكل مرحلة المراهقة.

الكلمات المفتاحية: مراهقة، إدمان على الافتراضي، جسد، موضوع افتراضي، علاقة افتراضية، تبعية، إنترنت.

Presence of absence, traces of nothing? Virtual addiction in adolescence**Abstract**

Teenagers go through major upheavals in their body and mind, and they have to deal with difficult situations of separation and excitement. They try to use new technologies to reduce their suffering. This article aims to clarify the angles of view around virtual addiction. We designed this new form of dependency in connection with the adolescent process and the issue of separation that it implies. The virtual becomes in the dependent adolescent a transitory object (McDougall) manifesting itself through a non-socializing socialization. Addiction to the virtual prevents the second process of separation-individuation (P. Blos) that constitutes adolescence.

Keywords: Adolescence, addiction to the virtual, body, virtual object, virtual relationship, dependence, internet.

Auteur correspondant: Pr. Amel DEHANE, dehane.amel@hotmail.fr

Introduction

Comme s'accorde à le penser un certain nombre d'auteurs, l'addiction s'inscrit dans une problématique de dépendance amorcée pendant l'enfance. Cette problématique va créer une vulnérabilité à l'investissement de l'objet et à la perte, le sujet n'ayant pas les ressources internes pour supporter son absence. À l'adolescence, ces vulnérabilités vont se faire jour par la rupture de l'équilibre narcissico-objectal et par la remise en jeu du processus de séparation et de la position dépressive. La poussée du pubertaire va renvoyer le sujet au manque de ses objets internes et à la faille de ses assises narcissiques.

Ainsi, cet article a pour objectifs de présenter les principales connaissances actuelles sur un phénomène relativement récent appelé «cyberdépendance », nous voulons savoir de quelle dépendance parle-t-on, lorsqu'il s'agit du virtuel ? Dépendant au virtuel, je risquerai volontiers l'hypothèse que nous le sommes tous, ou le serons tous très vite. D'une part, et comprendre ce qui pousse de nombreuses personnes, notamment les adolescents, à aller chercher dans l'espace virtuel un objet d'addiction et à investir ces espaces désincarnés au détriment de la vie réelle ? Car si pour la plupart des personnes, la culture de l'image et des nouvelles technologies ne les conduit pas à s'aliéner, pour d'autres, le recours au virtuel présente un refuge idéal. Se pose alors la question de la frontière entre la normalité et la pathologie, lorsque l'on s'intéresse au champ complexe des conduites addictives.

Définition et classification

Avant toute chose, il s'agit de bien délimiter la cyberdépendance. D'emblée, il faut distinguer les utilisations d'Internet dans le cadre d'usages professionnels ou scolaires, qui à certains moments peuvent être intenses mais nécessaires, des usages non essentiels, récréatifs mais qui, dans certains cas, peuvent devenir excessifs jusqu'à engendrer des méfaits qui relèveraient de la cyberdépendance. La cyberdépendance peut se définir comme une dépendance au virtuel par le biais d'Internet qui se traduit par un besoin de connexion qui ne correspond pas aux besoins réels d'une personne. Cette nécessité de se connecter vient satisfaire un besoin et procure un soulagement.

Ce terme, issu du latin *ad-dicere*, a été utilisé en ancien français pour désigner la dette à payer par des travaux d'intérêt général. Sa sonorité anglo-saxonne témoigne d'un voyage du français vers l'anglais et d'un retour aux sources, mais pas sans avoir subi quelques modifications au passage.

Plusieurs termes sont utilisés pour faire référence à la cyberdépendance dont la plupart sont issus de la littérature anglophone. Certains soulignent la dépendance et l'addiction: *Internet Addiction*, *Net addiction*, *Cyberspace Addiction* ou *Internet Dependency*, d'autres font davantage référence à ce qui pose problème comme *Pathological Internet Use*, *Problematic Internet Use* ou encore *Internet Addiction Disorder*⁽¹⁾. Il faut souligner que l'usage problématique d'Internet se distingue de la dépendance à Internet.

Aviel Goodman ⁽²⁾ définit l'addiction comme « un processus dans lequel est réalisé un comportement qui peut avoir pour fonction de procurer du plaisir et de soulager un malaise intérieur et qui se caractérise par l'échec répété de son contrôle et sa persistance en dépit des conséquences négatives »

Types de cyberdépendance

Une cyberdépendance aux jeux; une cyberdépendance à caractère relationnelle (chat, forum, etc.) ; une cyberdépendance à caractère sexuelle; une cyberdépendance dite «générale» où la nécessité de connexion est telle que le contenu n'est pas particulièrement privilégié; le cyber amassage ou « cyberhoarding » qui concerne le comportement d'amassage des contenus et des informations sur le réseau; la cyberdépendance dépensière qui correspond aux dépenses liées aux jeux d'argent, aux sites d'achat et de boursicotage compulsif ⁽³⁾. On retrouve également, le cyberépistémophile, qui passe beaucoup de temps à faire des recherches sur le Web et à télécharger des fichiers; le hacker, surnommé «le pirate du Web» dont les activités sont multiples, comme pénétrer des systèmes informatiques bien protégés et difficiles d'accès, mais reposent sur la prouesse technologique qui est ici recherchée ; le cybertalk-addict qui

présente une dépendance à la communication virtuelle (e-mail, chat), une dépendance aux contacts *on-line*; le cybergame-addict qui utilise Internet pour jouer en ligne où la compétition entre les joueurs et l'incarnation dans un personnage virtuel sont au premier plan.

Éléments de diagnostic d'un cyberdépendant

La durée avancée pour considérer un internaute comme cyberdépendant correspondrait à une utilisation d'environ 40 heures hebdomadaires. On ne compte pas, dans ces 40 heures, les heures passées sur le Net pour le travail. Young ⁽⁴⁾, en 1996, notait déjà que le temps moyen par semaine passé sur Internet par des sujets cyberdépendants est de 38,5 heures contre 4,5 heures pour les utilisateurs ne présentant pas de dépendance. En plus du temps de connexion, Young ⁽⁵⁾ retient le critère du type de connexion. Elle en arrive à la conclusion suivante: les dépendants font plutôt usage d'application impliquant une réciprocité dans la communication (jeu en réseau, email, chats...) alors que les personnes ne présentant pas de dépendance utilisent prioritairement Internet pour rechercher des informations.

Symptômes

Ainsi, pour les symptômes physiologiques, on trouve: le syndrome du canal carpien, la sécheresse des yeux, des maux de tête et migraines chroniques, des maux de dos, une alimentation irrégulière et rapide, des insomnies ou des modifications du cycle de sommeil. Concernant, les symptômes psychologiques, on constate: un sentiment de bien-être, de soulagement et d'euphorie pendant l'utilisation d'Internet; des pensées obsédantes et anticipatoires concernant son usage; un sentiment de vide ou d'irritabilité si la connexion est impossible; de la culpabilité ou de la honte en rapport avec son utilisation; le besoin d'augmenter le temps de connexion et des difficultés pour cesser ou diminuer l'usage; diminution de l'intérêt et du temps consacré à d'autres activités; des difficultés relationnelles, sociales et professionnelles, des mensonges à propos de l'usage d'Internet ^{(6); (7)}.

Se construire avec Ou sans

La génération actuelle a grandi avec les caméscopes familiaux qui permettent de voir sa propre image « dans le poste », et Internet qui permet d'envoyer des photographies familiales à des parents inconnus vivant à l'autre bout du monde. C'est pourquoi elle ne se contente plus, comme la précédente, de faire valider son intimité par son cercle proche, familial ou amical. Elle élargit cette démarche à l'ensemble des interlocuteurs potentiels qu'Internet lui permet de toucher.

Ainsi, avec cette technologie, les adolescents ont aujourd'hui pris l'habitude de se voir sur l'écran du téléviseur ou de l'ordinateur familial, à tel point que les technologies du numérique risquent bientôt de substituer au traditionnel « stade du miroir » — où l'enfant découvre son image dans un miroir d'argent qui lui fait face — un « stade de l'écran ». Or, cette situation modifie radicalement le rapport des jeunes d'aujourd'hui à leur propre image. En effet, quand les représentations de soi se multiplient, l'identité ne s'attache plus à aucune. Rares, les images emprisonnaient l'apparence, nombreuses, elles libèrent au contraire l'image de chacun de la référence au reflet visuel. Sous l'effet de la généralisation de la photographie familiale et des nouvelles technologies, les jeunes rattachent donc beaucoup moins leur intimité et leur identité à la représentation visuelle d'eux-mêmes. Ils n'ont plus une image d'eux-mêmes, mais plusieurs, et ils apprennent à en jouer.

La relation avec les mondes virtuels renoue donc avec le premier dialogue interactif mère-enfant, ravissant celui-ci de voir un adulte si bien accordé à lui.

La « navigation » sur le Net ou l'immersion dans la réalité virtuelle donnent aux internautes le sentiment d'être rivés à un corps encombrant et inutile, qu'il faut nourrir, soigner, entretenir, etc., alors que la vie serait si heureuse sans ces tracasseries. La communication sans corps et sans visage du réseau favorise les identités multiples, la fragmentation d'un individu à modulations variables engagé dans une série de rencontres virtuelles pour lesquelles il endosse à chaque fois un nom différent, voire même un âge, un sexe, une profession choisis selon les circonstances. Le corps devient une donnée facultative.

Comment se faire un corps sans visage ?

Parfois, les adolescents se trouvent dans une souffrance contre laquelle ils cherchent des solutions. Nous pouvons alors penser que les impasses du processus adolescent amènent certains jeunes à se réfugier dans l'univers virtuel offert par les supports numériques. Pour Michel Wawrzyniak⁽⁸⁾, « le virtuel nous fait accéder à un monde possible, à une possibilité du monde que l'on se construit. L'adolescence constitue, du fait de certaines spécificités de ses remaniements psychiques, une porte d'entrée dans ce monde de la virtualité ». Placer la question du corps au cœur de la réflexion sur la passion pour le virtuel peut s'avérer fertile, notamment quand ce recours se présente à la puberté où le jeune doit s'adapter aux exigences pulsionnelles pressantes.

Parmi les premiers articles parus sur la question du *virtuel* des Techniques d'Information et de Communication TIC et de l'adolescence, nous retrouvons celui de François Marty⁽⁹⁾ proposant, au travers d'un cas clinique, que « son investissement du virtuel s'inscrit dans une quête de sens pour une corporéité nouvelle, mais insensée ». Face aux changements corporels, la maîtrise qu'offre l'outil informatique marque le contraste avec le manque de maîtrise de son propre corps, « il maîtrise les images virtuelles à défaut de pouvoir le faire avec l'image de son corps ».

Ce lien entre la virtualité des Techniques d'Information et de Communication TIC et de l'adolescence est également souligné par Philippe Gutton⁽¹⁰⁾, qui propose l'idée que la virtualité ferait que l'adolescent délaisserait pour un moment son travail de subjectivation. Le virtuel pourrait, alors, contenir les angoisses, la violence interne venant du processus adolescent et faisant écho à la problématique propre à chaque sujet. Il s'interroge sur le virtuel et donne une piste de réflexion intéressante concernant les pathologies « au plus près du corps » comme les addictions : « L'adolescent imagine les convenances de la fabrication du corps, leurs causes et leurs effets assurément interprétés comme externes. Ainsi, en incarnant des avatars, le cyberdépendant peut ressentir, comme nous dit Michael Stora⁽¹¹⁾, « une impression soit de légèreté corporelle soit de puissance ».

Selon Brice Courty⁽¹²⁾, « le jeune inscrit et délègue l'image et la pulsionnalité de son corps sur un avatar qu'il dirige, dépassant ainsi la passivation pulsionnelle *pubertaire* pour parvenir (au mieux) à l'activité de créateur de (son) destin ». Il oriente son questionnement sur les articulations entre le jeune, l'avatar qui le représente en termes de « corps réel » et « corps virtuel ».

Le virtuel expose à une expérience qui place à la fois en deçà et au-delà du corps, qui n'est ici au fond que passif, même s'il résonne des innombrables effets de sensations et d'émotions provoquées par l'image. Avec le corps virtuel idéal mis en acte, l'absence du corps réel favorise les contacts avec des nombreux interlocuteurs.

Cet absent si présent.

Toujours dans cette optique, Rémy Potier⁽¹³⁾, propose l'idée que « Le virtuel est un monde où les frontières se brouillent et où les corps s'effacent, où l'Autre existe dans l'interface de la communication, mais sans corps et sans visage, sans autre toucher que celui du clavier de l'ordinateur, sans autre regard que celui de l'écran. Le reflet y est dès lors singulier et mortifère. *Le regard y est également écrit par avance* dans ses possibilités et limites, pour celui qui s'engouffre dans l'espace virtuel afin de le parcourir. Le corps y est absent, mais néanmoins surreprésenté par son absence, puisqu'il y est figuré et l'enjeu de tous les échanges. Plongé dans cet environnement, le sujet y est capté comme dans un miroir, mais la jubilation est ici relative à la possibilité d'influer sur le reflet. ».

Le double, c'est la représentation du Moi pouvant prendre diverses formes, comme celles de l'ombre, du reflet, du portrait, du sosie ou du jumeau, issues du narcissisme originaire. Le motif du double est repris également par Freud dans « L'inquiétante étrangeté », « cette variété particulière de l'effrayant, qui remonte au depuis longtemps connu, depuis longtemps familier ».

Ainsi l'addiction peut être comprise comme « procédé d'auto-guérison » ⁽¹⁴⁾, comme lutte antidépressive. À l'adolescence cette dépression est d'une nature particulière et a un lien avec le processus de développement visant à la séparation d'avec l'objet primaire.

Ainsi, Pourquoi l'engouement des adolescents pour l'internet ?

Étant donné la nouveauté de ce concept et le peu de données concernant la cyberdépendance, il est difficile de présenter un paragraphe sur les différentes approches explicatives de cette dépendance.

Néanmoins, certains auteurs ont contribué et contribuent à la compréhension de cette conduite, à partir notamment de l'étude des jeux vidéo en ligne chez les adolescents et de la comparaison avec la dépendance aux jeux d'argent. Précisons qu'internet est devenu pour les adolescents le premier loisir devant la télévision. Y passant de plus en plus de temps, les jeunes s'y constituent des tribus, qui participent à leurs identifications. Les adolescents ont désormais un *blog*, sur lequel ils expriment leurs sentiments et font vivre leurs relations amicales en réseau ⁽¹⁵⁾. Déjà à propos d'Internet, il s'agit de s'interroger sur les effets psychiques de l'implication des nouvelles technologies dans la construction des repères et des identités.

Pour nous, cette addiction est en lien étroit avec le processus adolescent et la problématique de séparation qu'il implique. L'adolescence constitue le deuxième processus de séparation-individuation ⁽¹⁶⁾ : le sujet doit faire le deuil de ses *imagos* parentaux pour pouvoir investir un nouvel objet (extra familial, anti narcissique, non incestueux). Néanmoins la précarité des assises narcissiques, du fait d'une problématique d'empiétement posée pendant l'enfance, va opposer l'axe narcissique et l'axe objectal et va rendre ce deuil impossible, deuil qui sera repoussé par l'addiction, gelant ainsi le processus adolescent.

Bergeret ⁽¹⁷⁾ pointe la présence d'une carence identificatoire et narcissique chez les personnes aux prises avec l'addiction. Il remarque un défaut de représentation de l'objet chez ces sujets, qui ont du mal à tolérer la frustration et qui, pour cela, utilisent le comportement addictif comme solution immédiate, en vue d'atteindre le plaisir et surtout pour éviter la souffrance de la frustration. Pour cet auteur, ces personnes vont avoir une relation à l'objet spécifique, caractéristique de ce défaut d'intériorisation de l'objet. Dans ces conduites, la dimension narcissique prédomine avec la dépendance narcissique à l'égard des objets. La relation ne peut pas s'intérioriser malgré les mécanismes de maîtrise rencontrés dans les addictions. L'objet d'addiction est alors indispensable à la fois pour créer l'excitation mais aussi comme pare-excitation.

L'impossibilité d'introjection transforme cette solution en une contrainte à la répétition. Pour Jeammet ⁽¹⁸⁾, « l'objet d'addiction, en lui-même peu spécifique, apporte un double colmatage à ces "déficiences structurelles" ou failles "occasionnelles" de l'appareil psychique, sources de souffrance et de déséquilibre pour le moi ». Il met l'accent sur le lien entre les troubles de la séparation et la recherche paradoxale d'une dépendance à un objet externe. Le sujet opère un déplacement sur un objet externe, car il va avoir l'impression de le contrôler.

Ainsi, le virtuel et l'image, d'une manière générale, offrent la possibilité d'une perception continue de l'objet. Perception qui va déterminer sa permanence car sa non perception signifierait sa perte dans le cas d'un défaut d'introjection prenant sa source dans les premiers temps de l'enfance : c'est d'abord l'impossibilité du nourrisson à comprendre ou à expliquer l'absence de la mère qui va créer le traumatisme et le surgissement de l'angoisse, angoisse déterminée par la perte de la perception de l'objet vécue comme perte réelle de l'objet ⁽¹⁹⁾. L'espace virtuel par les images qu'il propose, comporte une figuration de l'objet, figuration qui toutefois n'est pas une représentation (au sens de symboliser l'objet, de l'intérioriser) car elle provient de l'extérieur. Dans l'addiction, l'image ne vient pas représenter l'absence mais vient au contraire la nier. Nous ne sommes plus dans « la présence de l'absent » ⁽²⁰⁾ mais bien dans la présence pour éviter d'être confrontés à l'absence. Il va s'agir d'un agrippement scopique, comme si le sujet ne voulait (ou ne pouvait) pas perdre de vue l'objet.

L'objet virtuel va donc servir à restaurer transitoirement une permanence de l'objet, c'est-à-dire une présence sans absence. Présence qui sera maintenue le temps d'une partie. Et, on le sait, dans le virtuel les images sont infinies.

À travers les relations d'objet partiel, l'autre pourrait renvoyer une image bonne à introjecter. Il pourrait s'agir de relation en miroir où l'autre n'est pas reconnu dans sa spécificité de personne, mais à travers la fonction qu'il remplit. McDougall, dans *Théâtres du Je*, parle de « théâtre transitionnel ou de la quête des personnages. (...) J'appelle cet autre le tenant lieu d'un objet transitionnel, objet à mi-chemin entre la perception de l'autre comme totalement créé par le sujet et l'autre reconnu comme ayant une existence indépendante, des attributs et des désirs propres. L'objet est hors du contrôle magique, mais peut être manipulé »⁽²¹⁾. L'Internet permettrait la manifestation de ce que toute relation objectale a de plus narcissique.

À l'adolescence, l'objet est recherché mais est aussi vécu comme menaçant. Le sujet va être bien en peine de trouver une bonne distance à l'objet, ni trop près (angoisse d'intrusion), ni trop loin (angoisse de séparation).

Les bases de l'antagonisme narcissico-objectal développées lors des relations précoces sont très fortement réactivées à l'adolescence ce qui fait de cette période un « révélateur de la problématique de dépendance » à l'égard des objets externes⁽²²⁾. Du fait d'une problématique d'empiétement posée pendant l'enfance, les limites soi-objet n'ont pas pu s'établir fermement, créant des zones de confusion et d'intrusion réciproques.

Ainsi la problématique de dépendance va se révéler dans la sphère relationnelle. Le sujet va tenter de substituer à ses liens affectifs relationnels des liens de maîtrise et d'emprise. Le comportement addictif va être une tentative de contrôler la distance relationnelle.

En effet, il s'agira d'ordonner et de maîtriser ses excitations sans en comprendre encore le sens. Ce type de relation renverrait à des angoisses archaïques s'adressant à des objets partiels mais avec l'illusion d'une relation à un objet total.

Au sein du numérique ainsi, l'autre n'existera que pour soutenir le narcissisme, Internet devenant un vaste réseau de quête identitaire. Le « réseau social » se transforme petit à petit en un « réseau de présentation de soi », où existe un déni de l'autre, de sa différenciation, de sa subjectivation et de sa virtualisation.

La spécificité de la passion virtuelle résidera cependant ailleurs, dans un aspect inattendu. La contrainte par corps caractérisant les addictions semble antilogique pour penser l'investissement excessif des mondes virtuels ; cependant, il s'avère que dans ces espaces non tangibles l'engagement corporel est surreprésenté, par son absence. Cet engagement du corps viendrait alors contribuer au choix du sujet de son objet d'addiction, ce que nous confirmera la clinique du virtuel.

À l'adolescence, c'est à une dépendance initiale que le sujet souhaite échapper. Une dépendance qui est à la fois angoisse d'intrusion (impossibilité d'une relation à l'objet libidinal) et de séparation (impossibilité de la perte de l'objet primaire).

J. McDougall⁽²³⁾ rappelle que la constitution de l'aire transitionnelle est la condition nécessaire pour développer « la capacité d'être seul ». Ainsi l'auteur constate que les comportements addictifs sont ressentis comme obligatoires au moment où le sujet se trouve seul, être seul étant l'équivalent d'une blessure narcissique qui requiert la solution addictive chez le sujet⁽²⁴⁾. Supporter l'absence va donc prendre valeur de lutte pour le sujet dépendant.

Au final, la cyberdépendance vient empêcher le second processus de séparation-individuation⁽²⁵⁾ que constitue l'adolescence ». Elle prend donc valeur de lutte contre une perte d'objet qui n'est pas représentable, et renvoie à un sentiment de sécurité interne trop fragile pour pouvoir supporter la séparation. L'adolescence en tant que deuxième processus d'individuation-séparation exige pourtant un deuil des premiers objets d'amour pour permettre une substitution objectale vers un nouvel objet.

Selon Stora⁽²⁶⁾, la cyberdépendance vient toujours révéler un problème, notamment celui en lien avec une image idéale. Les adolescents dépendants sont en quête d'une construction

identitaire: «leur image de soi défaillante va tenter de se “réparer” dans l’incarnation d’une figure héroïque: leur avatar. Ils tournent, observent, regardent ce double virtuel d’eux-mêmes». Selon cet auteur ⁽²⁷⁾ la cyberdépendance fait partie des pathologies qui touchent l’estime de soi et le narcissisme : « Certains jeunes dépendants sont tyrannisés par un idéal du moi parental implacable, sans souplesse, et ils ont besoin de retrouver un objet qu’ils peuvent maîtriser, contrôler pour échapper à cet idéal ».

L’espace virtuel représenterait ainsi l’interface entre l’équilibre narcissique et la maîtrise de l’objet. Par conséquent, cette relation d’objet est celle à un objet addictif, avec pour but d’esquiver le sentiment de perte et d’éviter un effondrement narcissique. Selon Stora ⁽²⁸⁾, la dépendance met en lumière la souffrance d’une image de soi défaillante. L’addiction va alors jouer le rôle d’antidépresseur.

Système familial des cyberdépendants

À l’origine de cette image de soi défaillante, que les sujets cyberdépendants essaient de restaurer, on retrouve deux types de systèmes familiaux. D’une part, ceux qui **sur-stimulent très tôt le potentiel de leur enfant**, ce qui le place trop tôt dans une position de maîtrise objectale sans en avoir les moyens psychiques. Ainsi, on donne à l’enfant une toute-puissance qui s’exerce aussi bien sur les objets qui l’entourent que sur ses parents. Par conséquent, l’enfant se trouve dans une position paradoxale de toute-puissance et d’obligation de ne pas décevoir ses parents. D’autre part, et à l’inverse, on trouve des familles dans **lesquelles l’enfant est livré à lui-même**, devant se débrouiller tout seul sans être protégé par ses parents. **Le point commun entre ces deux systèmes familiaux est que l’enfant est mis trop tôt dans une position d’adulte responsable et autonome**: « Cette surestimation du soi du tout-petit est à l’origine de profondes blessures narcissiques » ⁽²⁹⁾ dont la marque est indélébile.

Configuration familiale des cyberdépendants

Toujours selon cet auteur, on retrouve dans l’histoire infantile des cyberdépendants, deux grands types de configurations familiales: **la mère dépressive et la mère narcissique**, avec un **père plutôt absent**. Dans le premier cas, il s’agit d’une mère dépressive, qui ne regarde pas son enfant mais la télévision et c’est grâce aux images qui défilent sur l’écran qu’elle se sent mieux, moins seule. Le tiers, censé être le père, est remplacé par la télévision. Le bébé va alors surinvestir les images comme seul remède à la dépression maternelle. Dans le deuxième cas, la mère narcissique est dans la maîtrise objectale de ses enfants. Le risque encouru pour l’enfant est d’être écrasé sous le poids de projections idéales de plus en plus élevées. Ces enfants sont alors en souffrance car ils sont incapables de répondre à de telles exigences maternelles. L’impuissance et la culpabilité font d’eux des « dépressifs en sursis » ⁽³⁰⁾. La dépendance future au virtuel prend la forme d’enjeux narcissiques en lien avec l’idéal du moi.

Ce qu’il faut retenir

Selon Tisseron ⁽³¹⁾, il existerait cinq types de préoccupations pouvant expliquer l’engouement des adolescents pour le virtuel: **Ceux qui luttent contre l’angoisse permanente d’être abandonnés** d’où la nécessité d’avoir un écran toujours allumé qui les regarde ou un avatar qu’ils ne quittent jamais; **Ceux qui recherchent des sensations fortes** et aiment les jeux de tir et de simulation; **Ceux qui aiment construire et manipuler les avatars**, *Les Sims* correspondant ainsi parfaitement à leur désir (de manipuler et d’expérimenter); **Ceux qui cherchent à soigner une estime de soi défaillante**. Pour y pallier, ils cherchent alors à être les meilleurs et tentent d’atteindre le plus haut niveau; **Ceux qui jouent pour nouer des liens** et ce, en tout anonymat (la recherche de compagnie). Les adolescents des deux premières catégories seraient plus à même d’être confrontés au risque de développer une dépendance. En effet, si l’adolescent compare le plaisir né des excitations du jeu à celui qu’il retire dans sa vie quotidienne, celle-ci pourra paraître bien terne. Cet élément est d’autant plus inquiétant qu’il peut s’accompagner de consommation de substances psychoactives dont l’objectif sera d’augmenter l’excitation ressentie. Les adolescents de la cinquième catégorie peuvent également développer une forte dépendance. Néanmoins, ça

n'est pas tant du jeu qu'ils sont dépendants mais de la plateforme d'échanges qu'il inclut. Il existe une particularité dans ces jeux que l'on ne retrouve nul part ailleurs. En effet, on peut parler de sa vie intime tout en combattant ensemble contre des ennemis, et finalement demander l'aide d'un joueur plus expérimenté qui jouera, à ce moment-là, le rôle du père. D'où le constat que certains adolescents trouvent dans les jeux vidéo un substitut familial. Ainsi, Internet se présente comme le principal concurrent du cercle familial ⁽³²⁾.

Le virtuel est donc un espace de projection et de régression qui peut s'avérer très bénéfique par l'évasion et la créativité qu'il propose. Pourtant il peut être aussi source d'addiction.

Conclusion

Ce papier montre que la cyberaddiction est en lien étroit avec le processus adolescent. Cette cyberaddiction peut être ainsi comprise comme la conservation des liens morbides du sujet avec ses objets d'attachements infantiles, empêchant ainsi le processus adolescent et le développement psychique de l'individu.

Nous voyons que si les adolescents se perdent parfois dans les nouvelles technologies, cela ne doit pas nous cacher ce que la plupart d'entre eux y cherchent. Qu'il s'agisse de gérer les excitations et les conflits psychiques, d'envisager les images, de négocier le passage à l'âge adulte ou de définir son intimité, les nouvelles technologies posent autant de nouveaux jalons et repères que les thérapeutes doivent connaître, afin de ne pas se méprendre sur les désirs qui guident leur utilisation.

Notre réflexion n'est pas sans conséquence sur le plan thérapeutique. En effet, ce travail montre que la voie de sortie de la dépendance se trouve dans la capacité à se déprimer. Il s'agira d'accompagner le sujet dans un travail de deuil qui va lui permettre de se séparer de ses objets infantiles en intériorisant ces liens. Ainsi la séparation n'aura plus valeur de rupture du lien et permettra au sujet d'accepter l'interdépendance de ses relations à autrui. Au moment où on se pose des questions sur les addictions au virtuel et sur leur prise en charge, il nous semble important de mettre l'accent sur la problématique de dépendance qui est sous-jacente, c'est-à-dire l'impossibilité de se détacher des premiers objets d'amour. Ces liens entravant n'ont pas pu être transformés au moment de l'adolescence et ce sera à la psychothérapie ou à l'analyse de reprendre ce travail de deuil laissé en suspens.

Références :

- 1- Chou, C., Condron, L., & Belland, JC (2005). Un examen de la recherche sur la dépendance à Internet. *Revue de psychologie de l'éducation*, 17, 363-388.
<http://dx.doi.org/10.1007/s10648-005-8138-1>
- 2- A. Goodman., (1990). Addiction: definition and implications. *Br. J. Addict.* 85, 1403– 1408.p. 1403.
- 3- J-C, Nayebi., (2007), Cyberdépendance: Quand la révolution Internet mange ses enfants, article inaugural, cyberdependance.fr.
- 4- Young, K. S. (2007). Cognitive-behavioral therapy with internet addicts: Treatment outcomes and implications. *Cyberpsychology & Behavior*, 10, 671–679. Doi: 10.1089/cpb.2007.9971. CrossRef Google Scholar
- 5- Young, K. S. (2007). Cognitive-behavioral therapy with internet addicts: Treatment outcomes and implications. *Cyberpsychology & Behavior*, 10, 671–679. Doi: 10.1089/cpb.2007.9971. CrossRef Google Scholar
- 6- J-C, Nayebi., (2007), Cyberdépendance: Quand la révolution Internet mange ses enfants, article inaugural, cyberdependance.fr.
- 7- K. S. Young, (1996). Internet Addiction: The Emergence of a New Clinical Disorder. *CyberPsychology & Behavior*, 1, 237-244.
<http://www.netaddiction.com/articles/newdisorder.pdf> <http://dx.doi.org/10.1089/cpb.1998.1.237>
- 8- M. Wawrzyniak., (1998), La virtualité à l'adolescence : de la virtualité à la déréalité, *L'information psychiatrique*, p. 19-26. p. 19
- 9- Marty F., (1998), Addiction adolescente au virtuel, *Le Carnet Psy.* p. 32.
- 10- Ph. Gutton (2004), *LE VIRTUEL ET SES CONDUITES*, VIRTUEL 2004 T. 22 N°1
- 11- M. Stora., ADDICTION AU VIRTUEL. LE JEU VIDÉO, VIRTUEL 2004 T. 22 N°1. p. 73

- 12-** B. Courty, Esquisse 3 : Du virtuel, L'Esprit du temps « Adolescence », 2008/ 1 n 63, pp 249 à 254. Mis en ligne sur Cairn.info le 27/08/2008.p. 249<https://doi.org/10.3917/ado.063.0249>
- 13-** R. Potier, AU RISQUE DU VIRTUEL ? L'Esprit du temps | « Topique » 2009/2 n° 107, pp 149 à 162. p. 152.
- 14-** J. Mcdougall, Théâtres du Je, (1982), Collection Folio essais n 440, Gallimard
- 15-** R. Potier., P. Bialès, « De l'amitié en virtuel », *Adolescence* 2007/ 3 n 61 pp 581-591
- 16-** P. Blos Jr, M.D. IntergenerationalSeparation-Individuation. *Treating the Mother-Infant Pair. The PsychoanalyticStudy of the Child*, Volume 40, 1985 – Issue 1. Pp 41-56 <https://doi.org/10.1080/00797308.1985.11823023>
- 17-** J. Bergeret., (1981), Introduction à une étude sur la personnalité du toxicomane. In: Bulletin de la Société française du Rorschach et des méthodes projectives, n°32, 1981. Les toxicomanies. pp. 9-16; doi : <https://doi.org/10.3406/clini.1981.1400>https://www.persee.fr/doc/clini_0373-6261_1981_num_32_1_1400
- 18-** Ph. Jeammet, Les conduites à risques des adolescents /. in Le Courrier des Addictions Vol. 2, N°2 (2000). - pp. 52-55.p. 101
- 19-** C. Chabert, (1987). La psychopathologie à l'épreuve du Rorschach, Paris, Dunod.
- 20-** S. Missonnier, H. Lisandre, 2003 Le virtuel : la présence de l'absent. Paris : E. D. K., 263 p
- 21-** J. Mcdougall, Théâtres du Je, (1982), Collection Folio essais n 440, Gallimard, p. 63
- 22-** Ph. Jeammet, Les destins de l'auto-érotisme à l'adolescence, In Devenir « adulte » ? (ouvr. Coll.), Paris, PUF, 1990, pp.53-79.
- 23-** J. Mcdougall, Théâtres du Je, (1982), Collection Folio essais n 440, Gallimard.
- 24-** J. Mcdougall, (2001), Sexualité, identité et créativité, 2001, p. 195-212, *Adolescence* n 37- 1 vol 19
- 25-** P. Blos Jr, M.D. IntergenerationalSeparation-Individuation. *Treating the Mother-Infant Pair. The PsychoanalyticStudy of the Child*, Volume 40, 1985 – Issue 1. Pp 41-56 p. 41 <https://doi.org/10.1080/00797308.1985.11823023>
- 26-** M. Stora, (2007), Les écrans, ça rend accro..., Hachette. p. 95
- 27-** Ph. Gutton (2004), *LE VIRTUEL ET SES CONDUITES*, *VIRTUEL*2004 T. 22 N°1 P. 75
- 28-** M. Stora, Guérir avec les jeux vidéo, Le carnet PSY, 2007/ 8 n 121, pages 38 à 39
- 29-** M. Stora, Guérir avec les jeux vidéo, Le carnet PSY, 2007/ 8 n 121, pages 38 à 39, p. 110
- 30-** M. Stora, Guérir avec les jeux vidéo, Le carnet PSY, 2007/ 8 n 121, pages 38 à 39, p. 104
- 31-** S. Tisseron, (2008), *Virtuel, mon amour. Penser, aimer, souffrir, à l'ère des nouvelles technologies*, Paris, A. Michel.
- 32-** S. Tisseron, S. Missonnier, M. Stora, (2006), *L'Enfant au risque du Virtuel*, Paris, Dunod.

Slogan, langage du hirak dans l'espace urbain d'Annaba: enquête sociolinguistique**Dr. Sabrina MELOUAH**

Université Badji Mokhtar -Annaba, melouahsabrine@gmail.com

Soumis le: 31/01/2022

révisé le: 20/09/2022

accepté le : 20/09/2022

Résumé

L'espace public est à l'origine un lieu de socialisation où s'affichent des écriteaux urbains marqués par la pluralité linguistique. A l'instar des autres villes d'Algérie, nous portons un regard sociolinguistique sur les langues des slogans contestataires et ce qu'elles résultent de fabrications néologiques et rhétoriques innovantes issues du hirak à travers les rues du cours de la Révolution de la ville d'Annaba.

Mots-clés : Espace urbain ; slogan ; contact des langues ; slogan ; néologie.

شعار لغة الحراك في الفضاء العمراني لمدينة عنابة: دراسة اللغويات الاجتماعية.

ملخص

الفضاء العام هو في الأصل مكان للتنشئة الاجتماعية حيث يتم عرض العلامات الحضرية التي تتميز بالتعددية اللغوية مثل باقي المدن الجزائرية، نلقي نظرة اجتماعية لغوية على لغات شعارات الاحتجاج وما نتجت عنه من تلفيقات جديدة وخطابية مبتكرة من الحراك في شوارع مسار ثورة مدينة عنابة.

الكلمات المفتاحية: فضاء عمراني ؛ شعار ؛ اتصال لغوي.

Slogan, language of hirak in the urban space of Annaba: sociolinguistic investigation**Abstract**

Public Space is originally a place socialization where urban signs indicated by linguistic plurality are displayed .like the other Algerian cities , we take a sociolinguistic look at the languages of the antiestablishment slogans and what the yresultfrom innovativeneo logical and rhetorical making from hirak in the streets of revolution course of the city of Annaba

Key words: Urban space; slogan ; language contact; slogan ; neology.

Introduction:

Depuis la fin de février 2019, un nombre surprenant de manifestants qui se soulèvent contre le cinquième mandat du défunt Président Abdelaziz Bouteflika et son régime, s'accroît d'un vendredi à un autre, dans les rues d'Algérie à travers des «manifestations de sourires». Comme le décrit clairement Rachid Sidi Boumedine dans son ouvrage :

L'Algérie depuis quelque temps, sept mois à ce jour, bouillonne. Elle « s'est jetée dans la rue » dans des manifestations qui ont gardé le rythme hebdomadaire (les vendredis) de façon interrompue durant plus de six mois, pour exposer d'abord son mécontentement de la candidature (envisagée, puis concrétisée) de Abdelaziz Bouteflika pour l'exercice d'un « supposé » cinquième mandat (complet, puis réduit, selon la dernière version), puis son rejet de toutes les versions destinées, à maintenir en place, selon les manifestants, de ce qui est devenu, dans le vocabulaire courant, « le système »⁽¹⁾.

Ce « mouvement contestataire » porté par la population et particulièrement la jeunesse algérienne n'est pas inédit ni dans l'histoire de ce pays ni dans le monde arabe⁽²⁾. Cependant, les manifestants pacifiques actuels font preuve d'une imagination créatrice et d'un humour décapant matérialisés à travers un discours médiatique : les pancartes, les slogans et les chants des protestataires sont de plus en plus prolixes dans les rues. L'espace public et le réseautage numérique (Facebook) sont devenus un champ d'expression foisonnant de l'humour politique et un lieu de renaissance de la société civile. Cette « révolution de velours » comme tous les mouvements révolutionnaires s'organisent à travers les réseaux sociaux⁽³⁾. Il faut noter également que l'espace public est l'espace propice à la démocratie séparant les gouvernés des gouvernants⁽⁴⁾, le peuple algérien et particulièrement sa jeunesse a choisi cet espace de médiation qui n'appartient à personne, mais à l'ensemble pour exprimer leur droit à la démocratie. Ce mouvement de contestation s'inscrit dans la continuité du mouvement révolutionnaire du « Printemps arabe » qui a été entamé en Tunisie jusqu'au Bahreïn dès 2010.

Les discours des mouvements contestataires ont sollicité l'attention de tous les chercheurs. Nous citons les travaux de Touillier Feyrabend sur les slogans en 1983⁽⁵⁾, l'étude du « discours de l'action collective⁽⁶⁾ », d'Orkibi en 2015 et l'analyse portant sur le mouvement social algérien du 22 février 2019 : profondeur et puissance au cœur de l'espace public du Hirak algérien en 2019 de Mebtoul⁽⁷⁾, etc. A ce sujet, Khaoula Taleb Ibrahim incite les chercheurs en sciences humaines et sociales à porter un regard pluridisciplinaire sur la conception de « Hirak » qui met en mouvement la société algérienne :

Interpellés en tant qu'universitaires et spécialistes de sciences humaines et sociales par ce moment exceptionnel dans l'histoire de notre pays, nous voudrions, au-delà de l'engagement citoyen de chacune et chacun d'entre nous dans ce mouvement, proposer un regard croisé à l'une de ces sciences sur ce qui est désormais connu sous l'appellation de « hirak⁽⁸⁾ ».

Dans le cadre de cette investigation, nous tentons de porter un regard singulier sur ce mouvement populaire de protestation qui a marqué l'histoire de l'Algérie contemporaine. Il est caractérisé par une inventivité multidimensionnelle (politique, populaire, artistique, linguistique, idéologique). Nous convergeons notre réflexion vers les pratiques langagières forgées par les manifestants qui se défilent dans un espace urbain d'une des villes d'Algérie, Annaba. Nous ciblons particulièrement le slogan contestataire des manifestants annabis afin de décrypter et d'interroger : *Quelle est l'origine du mot « hirak » ? Que signifie-t-il ? Qu'est-ce que le Hirak ? Comment l'analyser comme phénomène sociolinguistique urbain ? Comment s'entremêlent les langues dans les slogans du hirak de l'an 2019 ? Comment se manifeste la créativité lexicale dans les slogans des manifestants algériens ?*

1-Contextualisation

Nous tenterons de mettre en revue, tout d'abord, l'appareil conceptuel relatif au slogan contestataire du hirak. Nous réaliserons ensuite un bref aperçu sur la sociolinguistique. Nous éclairerons, enfin, le concept de néologie.

1-1- Hirak, quelques repères

Etymologiquement, le mot « Hirak » i.kai\est d'origine arabe « الحراك », issu du verbe à l'infinitif formant le radical entrillettre « حرك », qui signifie bouger, mouvoir, et agir.

L'introduire avec l'article définitif (EL = ج) fournit une autre signification: mouvement en interaction comme le mouvement non nulaire⁽⁹⁾. Ce mot est né en français sous une forme graphique latine, connue en tamazight par «ⵓⵎⵓⵎⵉⵏⵜⵉⵙⵉⵏⵜⵉⵙⵉⵏⵜⵉⵙⵉⵏⵜ» (prononcé: *Amussu* ou *Anduddi*) pour désigner le concept de « *Mouvement* »⁽¹⁰⁾. L'emploi de cette innovation linguistique de l'arabe standard remonte aux mouvements révolutionnaires qui se succédaient dans le monde arabe. Nous les citons dans un ordre chronologique: le « *Hirak Al-Djanoubi* » (mouvement sudiste ou du sud ou encore mouvement séparatiste) au Yémen en 2007, « *al- Hirak al-cha'bi fil Rif* » (mouvement du Rif marocain ou mouvement de revendication-réseau routier) en 2016, « *Hirak algérien* » (mouvement algérien) en février 2019, « *Hirak au Liban* » ET « *Hirak en Iran* » contre le pouvoir en place en octobre 2019 et « *Hirak koweïtien* » contre la corruption au début de septembre 2019⁽¹¹⁾. Ce terme témoigne des soulèvements populaires comme une nouvelle étape dans l'histoire unissant le monde arabe.

Dans le contexte algérien, ce vocable a été introduit avec une variante limitant soit le cadre spatial ou régional, où se déroule la protestation, le cas de *mouvement algérien*, *mouvement national*, *mouvement d'Alger*, *mouvement annabi*, ... soit l'aspect de revendication comme *mouvement populaire*, *pacifique* et à *revendication politique*. Depuis son déclenchement dans le monde, notamment en Algérie, il est devenu une véritable source de réflexion dans les médias et dans l'espace universitaire. À travers des analyses, on indique que le *hirak* occasionne des mots de la même famille qui engendrent des mots savants. À savoir : « *harāk* ou *haraka* », un terme prononcé correctement en arabe classique, introduit par les médias audio-visuels d'expression arabe comme Al-Jazira ou Al-Arabiya et qui prend plus d'ampleur avec l'ajout du concept « *national* » dans le mouvement sociopolitique algérien donnant naissance à l'expression « *harakawataniya* » (mouvement national). Ce mouvement a généré d'autres expressions, telles que : « *issyanemadani* » (désobéissance civile), « *révolution du sourire*⁽¹⁾ », « *moudhaharatesilmiya*⁽²⁾ » (manifestations pacifiques). Ces diverses appellations créatrices sont issues d'un nouvel élan des pays arabes comme celui de la « *révolution du jasmin* » de la Tunisie en 2011. Nous trouvons également l'emploi du mot « *hirakiste* » *h.r.k.i.s.t* par dérivation (suffixe finale -iste) qui sert à former des noms des manifestants qui sont au cœur du *hirak*⁽¹²⁾.

Ce nom d'agent a été utilisé dans la presse écrite comme le cas de l'article de Hadjer Ben Boubakeur, paru dans El Watan le 26 janvier 2021, ainsi que dans les ouvrages de Boris Cyrulnik et Boualeme Sansal (2020) et d'Akram Belkaïd (2021). En ce qui concerne, le mot « *hirakologie* », créé par le linguiste Lazhari Rihani⁽³⁾, est une composition à base du radical (*hirak*) et du suffixe (*logie*) renvoyant à une théorie ou à une doctrine traitant « *un discours raisonné sur un mouvement social qui mérite d'être analysé*⁽¹³⁾ ». C'est pourquoi nous nous orientons vers l'analyse des textes des slogans contestataires algériens lors des prémices de ce mouvement dans un espace urbain bien cerné. Dès le début du *hirak*, les manifestants ont su gardé un rythme hebdomadaire (les vendredis) de façon ininterrompue durant plus de trois ans (2019, 2020, 2021) constituant l'évolution chronologique des arrestations des « *hirakistes* », qui réclament avec obstination le départ immédiat de tous les dignitaires du régime. Effectivement, ils rejettent tous les plans concoctés par les représentants du pouvoir pour maintenir en place tout ce qui est devenu dans le vocabulaire courant, « *le système* ». La manifestation du vendredi 22 février 2019 à Kherrata avait donné le coup d'envoi à une vague de protestation sans précédent dans tout le pays⁽¹⁴⁾, notamment dans la ville d'Annaba⁽¹⁵⁾. Suite à cette mobilisation du soulèvement populaire pacifique, le peuple algérien a changé l'opinion mondiale à son égard, particulièrement par les médias (traditionnel et moderne).

1-2- Vers une définition du slogan

Dans la société actuelle, le « *slogan* » est devenu principalement un outil de communication quotidienne. Il est partout grâce aux moyens de masse médias (presse, radio, TV, affichage, réseaux socio-numérique). Le slogan remonte, dans les pays occidentaux, à

une ancienne tradition. Il est apparu dans l'ancienne Ecosse du Royaume-uni (sud Angleterre) à travers le cri de guerre «*sluagh-ghairm*» /slua'ɣerəm/ d'un clan écossais ou Irlandais (Bloch-Wartburg) en 1513. Il a été attesté en ce sens en français depuis 1842. Il a fait donc son entrée d'ordre électoral et publicitaire qu'au XIXe siècle. Comme le déclare Olivier Reboul: «*Le mot, qui en anglais était venu de la politique à publicité, est passé en français de publicité à la politique. Mais à une politique placée sous le signe de la propagande de masse* ⁽¹⁶⁾». Ce concept a été déterminé par de nombreux chercheurs de disciplines diverses (philosophie, communication, sociologie, psychologie, linguistique). A titre illustratif, nous citons la définition du philosophe précité que le slogan est «*une formule concise et frappante, facilement repérable, polémique et le plus souvent anonyme, destinée à faire agir les masses tant par son style que par l'élément d'autojustification, passionnelle ou rationnelle, qu'elle comporte : comme le pouvoir d'incitation du slogan excède toujours son sens explicite, le terme est plus au moins péjoratif* ⁽¹⁷⁾». D'après Marie-José Jaubert, le slogan «*doit être une formule courte à retenir, si possible pourvue d'un rythme interne, de rime et d'allitérations* ⁽¹⁸⁾». Il est indispensable de noter que les dictionnaires généraux et linguistiques n'ont pas proposé des acceptions de ce mot, tel que : le *Trésor de la langue française*, «*Une formule concise et expressive, facile à retenir, utilisée dans la campagne de publicité, de propagande, pour lancer un produit, une marque, ou pour gagner l'opinion à certaines idées politiques ou sociales.* ⁽¹⁹⁾». Ainsi que pour le *Grand Robert de la langue française* «*Formule concise et frappante, utilisée par la publicité, la propagande politique, etc* ⁽²⁰⁾». De même pour les dictionnaires linguistiques de Jean Dubois, Pierre Charaudeau et de Dominique Maingueneau⁽²¹⁾ qui reprennent la signification suggérée par Reboul pour déterminer la «*sloganisation*» comme degré de figement et de récurrence dans le texte. A partir de ce qui précède, nous avançons que les définitions apportées demeurent générales sur le plan linguistique qui se résume en une formule ou un énoncé à effet. Il est nécessaire de noter que ce concept est devenu un objet de réflexion, particulièrement avec le déclenchement des révolutions arabes. Voire l'acception attribuée par Zoé Carle, ce médium de masse est une «*forme brève injonctive, à la fois présomptive et incitative* ⁽²²⁾». Il est perçu comme «*un dispositif émotif, reposant à bien des égards sur la poéticité d'une forme intrinsèquement liée tantôt au geste d'inscription, tantôt à celui de la profération et à sa rythmicité singulière.* ⁽²³⁾». En privilégiant le qualificatif de «*révolutionnaire*» par rapport au «*contestataire*» car ce dernier n'évoque pas la grandeur du désir de la «*contester* ⁽⁴⁾». Cette distinction lui permet de classer le slogan selon son caractère polysémique, indiquant la nature des contenus, le statut des producteurs et la créativité des formes verbales⁽²⁴⁾. L'apport de son intérêt de «*fournir une définition, appuyée sur la collection, la description et l'analyse des matériaux linguistiques, sonores et iconographiques* ⁽²⁵⁾». Le slogan joue un rôle important dans les révoltes. C'est donc un moyen de communication permettant de transmettre un message (écrit, oral), exprimer une idée d'un locuteur à son interlocuteur dans un espace bien déterminé. Il est exposé sur des différents supports de communication sous forme d'une inscription ou d'un dessin utilisé plus précisément sur les murs, une plaque ou une texture dans des lieux publics comme le graffiti, le panneau, la banderole, la pancarte. On rencontre quotidiennement des slogans utilisés dans de nombreux et divers domaines (publicité, politique et contestation), d'où la typologie des slogans: publicitaire, politique et enfin révolutionnaire. Le slogan révolutionnaire, objet de notre étude, sert à éveiller l'intérêt des citoyens et à répondre à des opinions sociopolitiques ou à des réclamations et des revendications. Il s'agit d'une formule qui portent un sens péjoratif visant à la réclamation d'une forte mobilisation, telles que les formules pacifiques utilisées lors du hirak en Algérie. C'est pourquoi il est important de prendre en compte les constituants du processus de «*sloganisation*», tels que les mobilisateurs le contexte et l'espace où s'inscrit l'évènement. En bref, on peut le résumer en une «*formule rythmique brève, autonome, polémique, le plus souvent anonyme car, collective, frappante et facile à mémoriser, poussant à l'action, d'origine orale, mais se déployant sur des supports écrits* ⁽²⁶⁾ ».

1-3- Sociolinguistique urbaine et créativité néologique, conception

Il n'est pas évident de répondre à la question: *Qu'est-ce que la sociolinguistique urbaine?* Mais il est possible de présenter ce champ d'étude et ses spécificités. Dès les années 1990, beaucoup de spécialistes, notamment des sociolinguistes français et francophones se sont intéressés à problématiser la ville, les phénomènes langagiers observés en milieu urbain. Ce qui en résulte deux principales tendances : l'étude des représentations linguistiques et l'étude des phénomènes langagiers en milieu urbain⁽²⁷⁾. Cette discipline se concentre sur l'« urbain » dans le champ d'étude de brassage des langues, de l'urbanisation sur les formes linguistiques⁽²⁸⁾, et la mise en mots de l'identité urbaine⁽²⁹⁾. Dans cette contribution qui s'inscrit dans la continuité de nos travaux ultérieurs (2011, 2019), nous tentons de traiter le message des slogans contestataires qui se défilent dans le centre de la ville d'Annaba comme espace de convergence linguistique, socioculturelle, idéologique. Il est nécessaire de rappeler que cette ville autant que les autres de l'Algérie est caractérisée par un paysage bi-plurilingue surtout après la révision constitutionnelle de 2016 : deux langues officielles (arabe et tamazight), l'arabe algérien et les langues étrangères (français, anglais, ...). En réalité, le paysage sociolinguistique algérien ne cesse de solliciter l'attention des sociolinguistes comme Derradji (1995, 1999, 2002), Rahal, Kebbas, Kara, Taleb-Ibrahimi (2007), et particulièrement sur le plurilinguisme dans les médias (Morsly (1993, 2006), Zenati (2004), Kadi et Maïche (2008), Chachou (2011, 2013), Melouah (2011, 2017, 2019, 2020), etc.

Les langues ne sont ni stables ni fixes. Elles évoluent, s'entrecroisent et se transforment au fil des temps. Elles se distinguent par les mots qui naissent, évoluent, disparaissent, réapparaissent parfois sous une forme différente. Les idiomes présentent des différences fondamentales dans leur richesse lexicale dont le vocabulaire se structure. Il est question de deux termes renvoient également à la même signification : néologie ou créativité lexicale. Ils sont définis par plusieurs auteurs, tels que : Georges Mounin entend par " *néologisme, je comprends, le mot nouveau, le sens nouveau d'un vocable déjà existant, mais aussi l'emprunt (à une langue étrangère ou à la langue spéciale d'un métier, d'un groupe social, etc. [...])*"⁽³⁰⁾. D'après Guilbert, la créativité lexicale est une source d'enrichissement du lexique. Il commente : « *Pouvoir d'enrichir le lexique en recourant aux divers procédés de dérivation*"⁽³¹⁾. Dans ce sens, Daniela Dinca annonce que la créativité lexicale accompagne la situation technologique et culturelle d'une société parce que, chaque langue dispose d'un nombre de procédés morphologiques, morphosyntaxiques et morphosémantiques propre à elle pour créer les nouveaux termes⁽³²⁾. C'est dans cette optique que nous allons traiter notre corpus fondé sur une typologie de néologisme des procédés de formation des mots : néologie morphologique et néologie sémantique. Pour cela, nous adopterons la typologie des matrices lexicogéniques définie par Jean Tournier (2004)⁽³³⁾. Il dénombre treize (13) matrices classées en trois (03) catégories : les matrices morphosémantiques (la composition, la préfixation, la suffixation, la dérivation inverse et l'amalgame), les matrices morphologiques (la siglaison, l'apocope et l'aphérèse) et les matrices morphologiques (la siglaison, l'apocope et l'aphérèse). Il additionne à cette double classification de douze matrices internes le troisième processus de la dynamique externe : l'emprunt. Bref, nous nous appuyons sur cette typologie afin de mettre à jour et de comprendre la fabrication des mots par le biais de procédés de créations lexicales.

2-Champ d'étude et résultats

Nous essayerons de mettre en évidence le cadre méthodologique de la recherche qui aboutira à l'analyse et la discussion des données récoltées dans le cadre de la présente enquête.

2-1-Corpus et terrain d'étude

Notre corpus est constitué de 65 slogans écrits, dont 07 sur des pancartes, 04 banderoles et 45 sur des affiches. Suite à notre posture d'observation participante, nous avons choisi une méthode de recherche appliquée, permettant non seulement de faire le prélèvement de la matière à étudier, mais d'enregistrer et de pérenniser le moment observé et vécu dans l'espace urbain cerné. L'usage de l'imagerie scientifique comme un document visiblement référentiel

et crédible permet de faire une lecture spécifique et active dans les cursus d'architecture, d'urbanisme, du socioculturel et de la linguistique. Chaque prise de photo a été identifiée, située par rapport à la scène représentée (lieu, moment de prise de vue, réaction suscitée). Cette notation de visionnements successifs des photographies est une méthode descriptive et d'investigation qui sert à contrôler la qualité, le nombre et le lieu des prises de vue sur une feuille de route⁽³⁴⁾. En effet, nous avons photographié ses slogans répertoriés durant la période qui témoigne sur la « révolution du sourire ⁽⁵⁾ » qui s'est propagée sur le territoire algérien. Nous les circonscrivons lors de la première phase du hirak amorcée le 22 février 2019 jusqu'au mois de décembre de la même année. Lors de cette période, il y a eu une série des manifestations et d'arrestations. Réellement, les protestataires ont brandi des slogans contre la candidature du défunt Président Monsieur Abdlaaziz Bouteflika à un cinquième mandat. Ils ont, ensuite, réclaté le départ des dignitaires de son régime et l'annulation des élections présidentielles qui ont été prévues pour le 12 décembre 2021.

Notre corpus est extrait d'un espace urbain bien cerné : le cours de la Révolution (Réf : Annexe 02, Figure n°01) qui est le cœur palpitant du centre-ville d'Annaba (Réf : Annexe 02, Carte géographique n°1). Il est le symbole de cette ville au fil des temps. Ses immeubles d'une architecture occidentale mauresque de l'époque coloniale et ses rues analogues unies par une placette publique narrant le vécu de Bône la coquette et l'actualité d'Annaba (Réf : Annexe 02, Carte géographique n°2). C'est un espace public où se concentrent et s'élèvent les voix des manifestants. Pour reprendre l'explication de Hana Salah et de Sassia Spiga : « *Les médinas sont au cœur de l'identité historique de la ville. Une identité appuyée sur l'architecture traditionnelle, mais aussi sur des référents culturels dont il importe de connaître l'origine et formes évolutives. (...)* ⁽³⁵⁾ ». Par ailleurs, le thème de « *la marche dans l'espace public de la ville* » ressuscite comme objet de recherche dans les différents champs disciplinaires des sciences humaines et sociales. Nous mentionnons quelques travaux antérieurs : Emmanuel Kant (1784), Walter Benjamin (1982), Georg Simmel (1981), Lewis Mumford (2001) et de Rachel Thomas (2005) traitant les représentations, les rôles du piéton et des transformations urbaines dans l'appréhension de la ville au quotidien. Dans le contexte de cette enquête, l'espace public est perçu comme un espace de médiation politique au fondement de la démocratie où l'intérêt est accordé à la véritable pensée produite par la mobilité. Partant du fait que l'espace public est l'espace atypique à la démocratie qui distingue les gouvernés des gouvernants en faisant du pouvoir, un lieu vide et de liberté, qui n'appartient à personne⁽³⁶⁾. En réalité, les manifestations du hirak sont un instrument de composition de la ville qui expose et révèle l'art d'engagement des gens de la marche, dit contestataires ou hirakistes. Par conséquent, le choix de notre échantillonnage est directement lié à la problématique et aux objectifs ciblés par cette recherche : la classification et fonctionnement des procédés de la créativité lexicale des messages des slogans contestataires recueillis dans le cours de révolution d'Annaba (Réf : Annexe 01-S1, S2). Il s'agit d'un espace social/sociolinguistique urbain est le lieu de confrontation d'une multitude de textes des écriteaux urbain, tel est le cas des slogans, qui constituent l'objet de cette étude.

2-2- Annaba: plurilinguisme affiché

Dans les rues du centre-ville d'Annaba, le plurilinguisme s'affiche sous des formes diverses en matière d'affichage urbain. En portant un regard sur les slogans contestataires qui évoluent dans cet espace lors du hirak durant l'an 2019, nous décelons la présence des langues avec des graphies diverses (arabe, latine et symboles) comme l'arabe (standard, dialectal), le français et la darija. Nous notons l'absence de la seconde langue officielle qui peut être traduite par le rejet idéologique et l'incompréhension de cet idiome par la population annabi. Nous remarquons un emploi spontané et perspicace des langues existantes. D'ailleurs, nous prenons en compte les modalités linguistiques qui se déclarent à travers les slogans contestataires du hirak : modalité unilingue⁽⁶⁾, modalité dialingue⁽⁷⁾, modalité bilingue⁽⁸⁾ et modalité plurilingue⁽⁹⁾ (Melouah, 2020). D'après les cas relevés, la modalité unilingue domine

la modalité bi-plurilingue parce que les contestataires veulent transmettre une opinion personnelle noyée dans un groupe social exprimant un message unique aux dirigeants du régime politique. Cependant, il est important de noter que cet unilinguisme partagé entre les langues existantes affiche un bi-plurilinguisme sociétale. L'utilisation des langues unilingues individuellement par les protestataires renseigne sur les niveaux d'instruction (lettrés, universitaires, étudiants et autres) et les classes sociales des citoyens participants à travers une unique voie/voix bi-plurilingue. Voire la prédominance de l'arabe dialectal et la langue française dans les slogans qui démontrent que la cause du hirak concerne tous les Algériens de tout âge sans exception. Nous citons les cas suivants : celles des étudiants (B1, S41), celle d'un simple citoyen âgé (S43) et celle qui unit tout le peuple algérien à travers une seule voie « *أنا معكم* » (S55, S56) Ce bi-plurilinguisme informe et forme sur l'emploi de la gestion « *in vivo* »⁽³⁷⁾ aboutissant à l'émergence des langues vernaculaires insérées en désordre dans les productions des slogans contestataires. Cette gestion reflète les pratiques socio-langagières utilisées dans le quotidien algérien et particulièrement dans l'espace urbain étudié.

2-3- Recueil de créativité néologique du hirak algérien de l'an 2019 à Annaba

Il faut faire les rues du cours de la révolution d'Annaba pour y prendre le temps du spectacle gratuit à commencer à y distinguer les slogans d'inventivité vigoureusement consciencieux et d'une force de fabrication de néologismes inattendue. Pour analyser les données innovantes, nous recourons à la grille lexicogénique définie par Tournier en 2004⁽³⁹⁾ que nous jugeons adéquate à notre analyse des données. Elle permet de traiter les phénomènes néologiques selon les matrices internes et la matrice externe. A savoir :

En premier lieu, nous tenterons de classer les procédures néologiques de la matrice interne (morphosémantiques, sémantique et morphologiques). Nous enregistrons d'abord, sept (07) constructions morphosémantiques dans notre échantillon. A titre d'exemple, les quatre (04) cas répertoriés de la composition comme le terme « *revendredication* » (S3) est une combinaison d'un nom d'action « *revendication* » au nom du cinquième jour de la semaine « *vendredi* » qui donne de l'ampleur à l'action et au jour de la manifestation⁽¹⁰⁾. Le même cas pour les deux mots sur (S4) « *bêtel* », « *bêtel n* » l'amalgame graphique entre les deux codes (français et arabe) engendrant une substantivation d'un syntagme formel, inhabituel et grotesque exprimant une inquiétude de la médiocratie des élections présidentielles et de leurs représentants considérés comme une bande de voyous des imbéciles ignorants. Pareillement pour « *je ne douzdouzerai pas* » (S5) juxtaposant plusieurs éléments composant une phrase déclarative de formation négative baptisant un nouveau verbe amalgamé, sensé à base de double chiffres 12 « douze + douze » et conjugué au futur simple de l'indicatif à la première personne du singulier annonçant un avis personnel : « je ne voterai pas le 12 décembre 2019 ». Il y a aussi une synthèse formée de deux substantifs dans un rapport de coordination morphologique, telle que : « *Gaid Salah vous souhaite une Tebboune année* » (S6), où le premier mot est prédominant sur les plans formels et sémantiques infligeant un sens prédicatif. Ces composés issus de ce fait sont généralement des substantifs et parfois des adverbes de formation habile appartenant au langage familier et occasionnel. En conséquence, nous pouvons avancer que les exemples identifiés sont issus d'un processus structurel formant de nouveaux mots composites, distrayantes et de défoulement qui justifient la colère dissimulée contre la réalité vécue. Nous relevons aussi trois (03) cas de néologisme par dérivation à travers l'adjectif qui contient le suffixe -iste comme le cas de (S7) « *hirakiste* » qualifiant des partisans du mouvement de contestation arabe portant le nom hirak. Prenons le cas de suffixe verbal (re) de « *Vendredire* » (S8) désignant le fait de manifester le jour de la grande prière. Le nom féminin « *Mafiocratie* »⁽¹¹⁾ (S9) qui se crée par ajout d'un suffixe (tie) à radical (mafia) en glissant avec souplesse la voyelle « o » au lieu de « a » pour simplifier son articulation surgit dans l'espace urbain annabi lors du hirak pour cerner et dénoncer la mafia du pouvoir algérien.

En plus, nous sélectionnons également les changements de sens comme la métaphore dans notre album récolté. Il y a deux (02) cas mettant en évidence la productivité langagière des pacifistes algériens à travers des représentations graphiques confrontant la constitution

algérienne modifiable à la celle qui fixe des USA sur (S10) ainsi que la conversion de la photo légendaire en une momie d'un dictateur qui a régné depuis 2012 sur (S11-1-2-B2). Par ailleurs, nous repérons cinq (05) cas des réductions morphologiques : les quatre (04) cas d'abréviation affichés sur (S12) comme « ZAIM » dont chaque lettre se réfère à un mot bien précis attribué au sens premier de ce mot en arabe standard (زعيم) un chef ou un Président qui semble être « Zerrou Arragant Ignoble Mafiaux ». Ainsi, l'appellation abrégée des partis politiques algériens FLN (Front de libération nationale), RND (*Rassemblement national démocratique*) et sur (S13) GPRA : Gouvernement provisoire de la République Algérienne, qui est le bras politique et gouvernemental de FLN durant la guerre d'indépendance de ce pays. Par conséquent, on annonce que cette procédure qui consiste à abréger un ensemble de mots en écrivant et en utilisant les premières lettres ou les initiales de termes précités n'est qu'une stratégie intelligente qui tend à exploiter les moyens de registre sociopolitique et d'histoire pour révéler le processus du problème posé et l'attente espérée du peuple.

D'autre part, nous identifions également un (01) cas correspondant à la troncation postérieure : « DEC » (S14) renvoyant au mois de décembre prévu pour les élections présidentielles. Bref, nous affirmons que nous répertorions 14 cas justifiant l'utilisation de la néologie morphosyntaxique. A partir de ses exemples, nous déclarons que l'option graphique et linguistique réalisée dans la production des slogans n'est pas aléatoire. Ils résultent de l'art de l'écriture et du savoir-faire de ses producteurs. En effet, ils se ressource de leur passé et du conservatisme populaire pour transmettre un message crucial référant à la libération du pays.

En second lieu, nous essayerons de sélectionner les procédures néologiques de la matrice externe qui se limite en un unique procédé : l'emprunt. Notre album est parsemé d'emprunts qui résultent du contact permanent des langues. Ce processus est défini comme la formation de nouveaux lexèmes dans la langue emprunteuse. Jean Dubois explique « *il y a emprunt quand un parler A utilise et finit par intégrer une unité ou un trait linguistique qui existait précédemment dans un parler B et que A ne possédait pas ; l'unité ou le trait empruntés ont eux-mêmes appelé emprunt* »⁽⁴⁰⁾. Notre corpus est parsemé d'emprunts. Nous notons qu'il y a emprunt aux différentes langues affichées sur les slogans contestataires. Nous relevons l'emprunt aux langues étrangères comme le français et l'anglais : l'emprunt à la langue française qui apparaît à travers l'emploi de 06 lexies, telles que : les verbes « ديفاج » (dégage) de (S15-1-2), « doubliche » (doubler à la forme négative) (S16) transcrit en graphies arabes, les noms comme « ce Watan » (nation) (S17), « papa », « Magistkhrat » (Magistrats) (S19), « mezeria » (lamisère) (S20), « caserna » (la caserne) (S21), « tilifoune » (le téléphone) (S22). A la différence de la langue française, la langue anglaise ne bénéficie pas d'un passé historique avec l'Algérie. Il y a emprunt des terminologies et des symboles relevant du domaine de l'informatique comme « Cnt-Alt-sup » (S23/S24), « connecté, système déconnecté » (S25), « formatez le système » (S26), « formatage, mis à jour » (S27). Nous trouvons également le phénomène de l'arabisme à travers l'emprunt à la langue arabe standard parce qu'il n'y a pas d'équivalent français ou une insuffisance au niveau de l'emploi d'un certain type de vocabulaire difficilement nommable dans la réalité française. A titre illustratif : sur (S29), il y a la lexie « fatwa »⁽¹²⁾ qui relève du registre religieux arabo-musulman ainsi la lexie « moudjahidines » renvoyant aux combattants d'un mouvement de libération nationale dans le Maghreb et le Moyen-Orient. De même, nous repérons aussi l'emprunt à l'arabe algérien à travers la lexie « Harragas » qui désignent « les migrants clandestins » et la lexie « bled » sur (S30) généralement utilisés par les maghrébins à l'occident en faisant référence à leur pays d'origine. La lexie « nif » (le nez) (S31) est d'origine algérienne renvoyant à l'orgueil, l'honneur et la fierté. Contrairement à langues précitées qui jouissent des graphies qui lui sont propres, cette langue orale et populaire profite de son statut *facto* qui lui attribue le rôle de la langue véhiculaire. En bref, cette créativité chez les contestataires annabis est renforcée par le malaise social vécu et le mouvement populaire

espéré. Cet éveil national dithirak algérien fournit aux langues existantes un lexique inventif et fécond, même s'il est parfois qualifié de comique, drôle, grotesque, grossier ou vulgaire. A ce sujet, Bautier indique:

Qu'un tel rapport au langage va également de pair avec la vulgarisation de pratiques d'oralité liées à la condensation de sens et de créativité quotidienne telle que celle qui est présente dans les injures et, lorsqu'il y a jeu de langage, c'est un jeu de vanes dont il s'agit pour reprendre le terme de W. Labov, c'est-à-dire surenchère créative dans le domaine des formes d'insulte dont l'enjeu est d'avantage de montrer la maîtrise du jeu et du langage que l'injure réellement⁽³⁸⁾.

En dernier lieu, nous indiquons la dominance de la matrice externe par rapport à la matrice interne. En effet, cette créativité néologique est issue des langues qui s'entremêlent dans les slogans. Ce mélange des langues est significatif. Il permet non seulement de séduire et de sortir du cadre sérieux pour décrypter les liens compliqués entre les dirigeants du régime et son peuple, mais il renforce le sens de la réclamation afin de la transmettre au monde entier.

2-3- Revue de littérature du hirak qui se fabrique dans la rue

Durant les manifestations qui se déroulaient dans les rues du Cours de la Révolution d'Annaba, nous relevons d'autres particularités langagières comme 03 cas de calques, 07 cas d'alternance codique et 09 cas des formes stylistiques.

Les manifestants algériens de tout âge démontrent une souplesse intelligible et quasi-systématique en mélangeant des langues existantes affichées à travers les slogans qui se défilent chaque vendredi. En effet, nous trouvons l'emploi du calque et de traduction littérale qui résultent des cas modalités dialingues (B4, S59, S62). Ces slogans respectant la législation de l'affichage ont été investis pour ancrer leur réclamation dans la mémoire collective. Nous relevons aussi l'alternance codique fusionnant les idiomes et leurs graphies en couple comme (français-arabe standard) sur (B4, S60), (français-arabe dialectal) sur (S61, S62, S63), (anglais et arabe) (S59). Suites aux cas répertoriés, nous remarquons une véritable démonstration d'habileté, une manière d'être « in » et de se rapprocher de la culture des pays développés et occidentaux.

Pour le volet des nuances esthétiques et stylistiques, nous retenons les cas suivants: deux (02) cas de la comparaison, un (01) cas de l'anaphore, un (01) cas de l'antithèse et trois (03) cas du détournement. Nous identifions deux (02) cas de comparaison collant une étiquette péjorative et dangereuse au pouvoir à travers l'insertion des comparants comme « camembert » (S32) « tumeur » (S33) révélant la situation nauséabonde, alarmante et d'impasse dans lequel le pouvoir a introduit le pays. Nous relevons aussi, le procédé d'enrichissement rythmique de l'anaphore à travers la répétition d'un même mot ou expression à la tête d'un message où les mots s'enchaînent pour exposer l'illégitimité des gouverneurs en Algérie (S18). Ainsi, nous trouvons un emploi de l'antithèse qui consiste à mettre en valeur les mots qui s'opposent à travers le contraste déterminant l'objectif de la lutte menée pour ne pas reproduire les mêmes faits. Les protestataires annabis se ressource des médias pour exprimer un détournement à travers l'investissement des personnages des films et des animateurs anglo-saxons dans les (03) trois exemples: les personnages « Le Bon, la Brute et le Truand » du film western confrontés aux trois personnalités du pouvoir algérien (S34), celui du maître « Yoda » de la « Sagastar wars » (S35) décrivant le dirigeant dictateur. Il y a aussi l'usage du jeu télévisé de TF1 « qui veut gagner des millions » présenté par Jean-Pierre Foucault introduisant la réponse du peuple qui se résume en un verbe d'action « dégage » sur (S36). Les hirakistes algériens, notamment annabis se ressource dans les répertoires historiques, socioculturels et artistiques afin de capter l'attention, de transmettre un message et de faire comprendre au monde la cause défendue. En somme, ils sont en train de confectionner un glossaire vivant qui se fabrique en maniant d'une manière artistique le français de la télévision, l'anglais de l'informatique, l'arabe des livres et de la rue dans les espaces urbains de la contestation.

A partir de ce qui précède, nous affirmons que le corpus récolté constitue un laboratoire permettant d'étudier la créativité néologique et l'expression de la citoyenneté révoltante à travers le contact des langues dans l'espace urbain où se déroule le fait. Nous pouvons

également souligner que les matrices lexicogéniques contemporaines de Jean Tournier complétée par un répertoire artistique et stylistique permettent de décrypter les slogans néologiques des manifestants. En faisant le bilan de formation néologique sur les slogans contestataires du Cours de la Révolution d'Annaba, on démontre que ces derniers ont forgé un glossaire dédié au hirak de 2019 en investissant leurs capacités sociolinguistiques, leur registre culturel, leur historique et humoristique pour des fins politiques et militantes. Il s'agit donc d'une émancipation sociolinguistique qui émane d'un esprit créatif ayant pour visée l'émancipation sociopolitique.

En guise de conclusion, le hirak met en mouvement les langues à travers un comportement de révolte et une nomenclature néologique qui témoignent sur la dynamique langagière et l'ouverture du citoyen algérien. En ce sens, il génère une source productive et innovatrice comme une preuve réclamant leur trajectoire de renouvellement en se fondant sur leur mode identitaire, leur environnement urbain et sur leur exercice de liberté pour accompagner de nouveaux mouvements socio-politiques. Le langage du hirak algérien sur les slogans dans le contexte urbain n'affiche pas uniquement une pluralité des langues en évolution créatrice, il tend à l'unicité d'une Algérie nouvelle plurilingue.

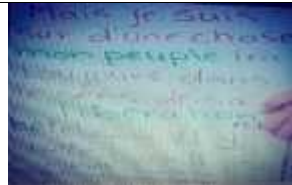
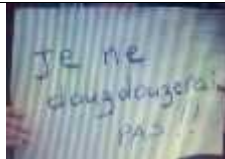
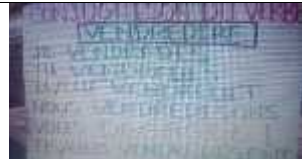
Références bibliographiques

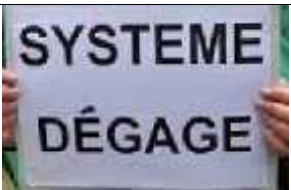
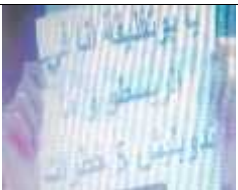
- 1-Sidi Boumedine, R., *Aux sources du hirak*, Edition Chihab, Algérie, 2019, p. 25.
- 2-Khelladi, A., « Rire quand même : l'humour politique dans l'Algérie d'aujourd'hui. In: *Revue du monde musulman et de la Méditerranée*, n°77-78, 1995. *L'humour en Orient*. pp. 225-237. Disponible sur: Rire quand même : l'humour politique dans l'Algérie d'aujourd'hui - Persée (persee.fr)(Consultée, le 12/12/2021).
- 3- Bodin, C., Chambru, M., « Fake news ! Pouvoirs et conflits autour de l'énonciation publique du « vrai » ». *Études de communication - Langues, information, médiations*, 2019/2 (n° 53), pages 7.
- 4-Lefort, *Essai sur la politique*. Paris, Seuil, (1986).
- 5-TouillierFeyrabend, H., « Un discours d'agitation sur les slogans par l'image les affiches de Mai 86 », Dans *Ethf*, 13, 3, 1983' p. 251-264.
- 6-Orkibi, E., «Le(s) discours de l'action collective : contextes, dynamiques et traditions de recherche». Dans *Argumentation et analyse du discours*, 2015. Disponible sur : <https://journals.openedition.org/aad/2002>(Consultée, le 12/12/2021).
- 7-Mebtoul, M., « Le mouvement social algérien du 22 février 2019 : profondeur et puissance au cœur de l'espace public ». Dans revue des *Sciences Sociales*, Volume 1, Numéro 7, Pages 25-37.
- 8-Benfoudil, M., « Regards Croisés Sur Le «hirak» ». Dans *Revue des Sciences Sociales*, Volume 1, Numéro 7, Page 51.
- 9-« Le « Hirak » à l'heure du 5 juillet ». Disponible sur : *Al HuffPost Maghreb*, 5 juillet 2019 (Consultée, le 12/12/2021).
- 10-Mokrani, I., « Meṛṛuk/Amussu n Ḥirak: tuddsa n Yinemyura War Tilisa yecyeb-itt weḥbas n yiwen n uneymas ». Dans *Algérie Presse Service*, 2018. Disponible sur : [sur www.aps.dz](http://www.aps.dz) (consultée, le 08/07/2020).
- 11-Belkaid,,A., « HIRAK, DANS d'Orient XXI », publié le15/11/2019. Disponible sur:Hirak (orientxxi.info) (Consultée, le 12/12/2021).
- 12-Ferhani, A., « Du hirak au harak, tentative de lexique ». Dans *EL WATAN*, publié le17/05/2019. Disponible sur:Du hirak au harak, tentative de lexique | El Watan (Consultée, le 12/12/2021).
- 13-Benfoudil, M., « Regards Croisés Sur Le «hirak» ». Dans revue des *Sciences Sociales*, Volume 1, Numéro 7, Pages 51.
- 14-Madjid Zerrouky, « A Kherrata, aux sources du soulèvement algérien » [archive], sur *Le Monde*, 8 juin 2019 (consulté le 31 décembre 2019). Disponible sur : A Kherrata, aux sources du soulèvement algérien (wikiwix.com). (Consultée, le 12/12/2021).
- 15-« Algérie : retour sur une journée de mobilisation inédite contre la candidature de Bouteflika », *Le Point Afrique*. Publié le 22/02/2019. Disponible sur : <https://archive.wikiwix.com/cache/index2.php?url=http%3A%2F%2Fafrique.lepoint.fr> (Consultée, le 12/12/2021).
- 16-Reboul, O., *Le slogan*, Bruxelles : Editions Complexes/Paris:Presse Universitaire de France, PUF/ Edition Composition, 1975, p. 14.
- 17-Reboul, O. Op .cit, 1975, p. 14.

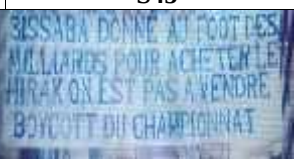
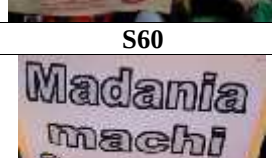
- 18-Jaubert, M-J., (Ed), *Slan, mon amour. Textes reinis et présentés par...* Paris : Editions Bernard Barrault, 1985, p. 10.
- 19- Trésor de la langue Française. Paris : Gallimard, 1992, volume 15, p. 561-562
- 20-Grand Robert de la langue française, 1981 : vol. 6, p. 270.
- 21- Dictionnaires linguistiques de Jean Dubois, Pierre Charaudeau et de Dominique Maingueneau
- 22- Carle, Z., *Poétique du slogan révolutionnaire*. Paris, Presses de la Sorbonne Nouvelle, 2019, p 14.
- 23- Carle, Z., *Op.cit*, 2019, p.23.
- 24- Carle, Z., *Op.cit*, 2019, p. 15.
- 25- Carle, Z., *Op.cit*, 2019, p. 23.
- 26- Carle, Z., *Op.cit*, 2019, p. 155.
- 27-Melouah, S., « Langues, cultures des écrits dans la ville : affichage publicitaire urbain de la téléphonie mobile d'Annaba (Algérie). Dans *Revue El-Tawassol*.département de français, université Badji Mokhtar – Annaba, Algérie, Article à paraître.
- 28-Calvet, J.-L., *Les voix de la ville : Introduction à la sociolinguistique urbaine*, Paris, Payot, 1994.
- 29-Bulot, T., (éd.) et Tsekos, N., avec la collaboration de Gamberini, G., Grosse, S., Bauvois, C., et Diricq, B., *Langue urbaine et identité : Langue et urbanisation linguistique à Rouen, Venise, Berlin, Athènes et Mons*, Paris, L'Harmattan, 1999.
- 30-G. Mounin, 1974 : *Dict. de la linguistique*.229-230.
- 31- Guilbert, L., *La créativité lexicale*, Paris, Larousse, 1975, p. 11.
- 32-Dinca, D., « Du néologisme au néonymie », Dans *Studiisicercetări de onomasticăsi lexicologie*, 2008, p. 820.
- 33-Tournier, J., *Précis de lexicologie anglaise*. Ed. Ellipses, 2004.
- 34-Melouah, S., « Langues, cultures des écrits dans la ville : affichage publicitaire urbain de la téléphonie mobile d'Annaba (Algérie). Dans *Revue El-Tawassol*.département de français, université Badji Mokhtar – Annaba, Algérie, Article à paraître.
- 35 Salah, H., et Spiga, S., a médina de Annaba: Histoire, mémoire et identité, dans *El -Tawassol: Sciences Humaines et Sociales N°50*, Facultés des sciences et technologies, département d'aménagement, université Badji Mokhtar – Annaba, Algérie, 2017. Disponible sur : [صالح-صالح-هنا](#) -سيقة-وساسية-50-20.pdf (Consultée, le 10/03/2021).
- 36-Dacheux, E. « TIC et espace public : leçon du printemps tunisien ». *Vers une culture mediatic ?* 2015, 147.
- 37-Calvet, J.-L., *Les voix de la ville : Introduction à la sociolinguistique urbaine*, Paris, Payot, 1994, p 8.
- 38-Bautier, E., « Pratiques langagières, pratiques sociales. De la sociolinguistique à la sociologie du langage ». Dans *Revue française de pédagogie*, volume 118, 1997, p 6.
- 39-Tournier, T., *Précis de lexicologie anglaise*. Ed. Ellipses, 2004.
- 40-Dubois, J., *Stendhal une sociologie romanesque*, Paris, éditions la découverte, « textes à l'appui / laboratoire des sciences sociales », 2007, 251 p117.

Annexes:

Annexe 01 : Slogans récoltés lors des manifestations sur le cours de la révolution d'Annaba.

			
S1	S2	S3	S4
			
S5	F6	S7	S8

			
S9	S10	S11-1	S11-2
			
S12	S13	S14	S15-1
			
S15-2 en fr	S16	S17	S18
			
S19	S20	S21	S22
			
S23	S24	S24	S26
			
S27	S28	S29	S30
			
(S31)	S32	S33	S34
			
S35	S36	S37	S38
			
S39	S40	S41	S42

			
S43	S44	S45	S46
			
B1	B2	B3	B4
			
S47	S48	S49	S50
			
S51	S52	S53	S54
			
S55	S56	S57	S58
			
S59	S60	S61	S62
			
S63	S63	S65	

Annexe 02 : Cartes et figures.

		
Carte géographique n°1 : délimitant le centre-ville d'Annaba.	Carte géographique n°2 délimitant le centre-ville d'Annaba.	Figure n°01 : Vue globale du centre-ville d'Annaba.

- 1- Nous insérons une preuve palpable affichant la dénomination de cette manifestation sur le slogan (S49) de l'album récolté.
- 2- La banderole (B2) de notre corpus démontre cette dénomination pacifique et engagée lors du hirak de l'an 2019.

- 3-** C'est un Professeur de linguistique arabe à la faculté de Langue et Littérature arabes de Ben Aknoun à Alger en Algérie.
- 4-** D'après le dictionnaire Trésor de la Langue Française informatisé, il signifie : « Discuter l'appartenance d'une chose à quelqu'un et la revendiquer à son profit. *Contester un bien, un héritage, un territoire.* Synonyme. *Réclamer.* » Disponible sur : <https://www.lalanguefrancaise.com/dictionnaire/definition/contester> (Consultée, le 22/01/2022).
- 5-** « *La Révolution du sourire* » est l'intitulé du premier livre sur Mouvement populaire en Algérie », publié aux éditions Franz Fanon à Alger. Il a été co-écrit par dix (10) écrivains et poètes et journalistes écrivains algériens, notamment, El-Mahdi Acherchour, Kamel Bencheikh, HediaBensahli, Salah Guermiche, Mohamed Kacimi, Amina Mekahli, Mohamed-Anis Saidoune, RabehSebaa, Lynda-NawelTebbani.
- 6-** Nous identifions le monolinguisme arabe standard sur (S45/S46/S47/S48/S49), le monolinguisme arabe dialectal sur (S50/S51/S52/53/54/55/S56/S/S63), le monolinguisme français sur (B3/S38 jusqu'au S43) et le monolinguisme anglais sur un slogan (S57).
- 7-** Nous empruntons cette notion à Prorquier. Nous relevons cette modalité en couple : (français et arabe standard) sur (B4, S62) et le couple (arabe et anglais) sur (S59).
- 8-** Nous repérons deux cas en couple (arabe et français) sur 5S61/S62).
- 9-** Nous la trouvons sur un cas, tel que : (S37) unissant toutes les langues en présence.
- 10-** Nous indiquons que ce jour est particulier pour plusieurs religions (juive, chrétienne et islam). Pour les musulmans, le vendredi est le jour où Adam fut créé. C'est aussi le jour où il entra dans les jardins du Paradis, le jour où il en fut chassé et le jour où il quitta ce monde. Le vendredi est également le jour où aura lieu la Résurrection. Pour les Algériens, c'est le jour du week-end (repos) pour manifester. A vrai dire, ils manifestent en dehors des heures du travail et de la prière.
- 11-** Il est important d'indiquer que ce terme a été emprunté à la parodie de la démocratie française en Polynésie occupée. Il se réfère à l'association de malfaiteurs, soutenu par L'Etat français depuis 1842.
- 12-** Elle signifie un avis religieux donné par un spécialiste de la loi islamique, appelé el-mufti.

Analyse du processus interprétatif sur les plateformes de chats francophones**Hanene BOUFENARA**

Ecole Normale Supérieure Assia Djébar Constantine, boufenara.hanene@ensc.dz

Soumis le : 20/01/2022

révisé le : 21/06/2022

accepté le : 20/11/2022

Résumé

Le présent article a pour but d'analyser et de comprendre le processus interprétatif des discussions sur les plateformes de chat en s'appuyant sur les travaux de la théorie de la pertinence. L'analyse cognitive de ces espaces de discussion a montré la cohérence du processus interprétatif et la pertinence dans le traitement des informations à travers le déploiement, par les interlocuteurs, de stratégies pour compenser le manque du cadre spatio-temporel symptomatique aux écrits numériques.

Mots-clés: *Théorie de la pertinence, plateformes de chat, traitement inférentiel, analyse cognitive, interprétation.*

تحليل العملية التأويلية على منصات الدردشة الفرائكفونية**ملخص**

الهدف من هذا المقال هو فهم العملية التأويلية للمحادثات على منصات الدردشة وهذا يركز على الأبحاث المتعلقة بنظرية الملائمة. التحليل المعرفي لهذه الفضاءات أظهر تناسب العملية التأويلية في معالجة المعلومات من خلال استعمال المحاورين لإستراتيجيات لتعويض النقائص المتمثلة في غياب إطار مكاني وزماني عرضي للكتابات الرقمية.

الكلمات المفتاحية: *نظرية الملائمة، منصات الدردشة، معالجة المقاصد، تحليل معرفي، تأويل.*

Analysis of the interpretive process on digital platforms of french-speaking chat**Abstract**

The purpose of this article is to analyze and understand the interpretive process of discussions on chat platforms based on the work on relevance theory. This cognitive analysis allowed us to observe the coherence of the interpretive process and the relevance in the processing of information through the deployment of strategies, by the interlocutors, in order to compensate for the lack of a spatio-temporal framework symptomatic of digital writing.

Keywords: *relevance theory, chat platforms, inferential treatment, cognitive analysis, interpretation.*

Introduction:

Communiquer sur le réseau d'Internet a fait des conversations sur écran un élément de la vie quotidienne. Cette tendance, alliant échanges verbaux, formes écrites et technologie, s'est développée et a vu naître une nouvelle tradition de recherche. La communication numérique écrite¹ renouvelle les formes de la communication verbale et propose un matériau original, qui selon F., Gadet : « *C'est un matériau conjoignant la nouveauté d'un objet, la nouveauté des technologies, la nouveauté d'une dissémination sociale et la nouveauté (ou la reconfiguration) des questions adressées à la linguistique générale* ». ⁽²⁾

Faire le choix d'analyser ce type de corpus, c'est aussi relever le déficit lié au caractère limité et contraignant de la communication numérique écrite, à savoir, le non-partage du contexte, les relations fragiles entre les participants et la volatilité des thématiques. La prééminence du textuel entraîne aussi des pratiques qui impactent sur la forme de ces écrits comme la rapidité de la transcription qui conduit au relâchement et au non-respect des normes orthographiques. Malgré toutes ces contraintes, de véritables échanges s'établissent sur ces espaces et connaissent un succès auprès des utilisateurs. Ce qui nous interpelle est justement la façon dont les messages sont interprétés. La communication en face-à-face ne repose pas seulement sur le verbal. D'autres éléments contribuent largement à optimiser le processus interprétatif comme, le non-verbal et le para-verbal. Le face-à-face se base de prime à bord sur la présence des locuteurs (leur âge, leur sexe, leur statut sont connus) et sur le partage du même contexte. Beaucoup de paramètres interviennent dans le processus interprétatif. Alors, qu'en est-il de la communication numérique écrite à distance ?

A ce sujet M., Marcoccia estime que: « *Les dispositifs de communication numérique sont peu propices à la communication expressive et à l'intelligibilité des messages et des intentions des utilisateurs, en raison de l'absence d'indices habituellement présents en face-à-face et de contexte partagé* ». ⁽³⁾

La communication numérique écrite fait émerger une culture numérique élargie et partagée, une manière particulière d'envisager la conversation. Elle nécessite l'imbrication et l'activation de plusieurs compétences pour assurer une intercompréhension optimale. Il s'agit de questionner le processus interprétatif des échanges établis sur le chat.

Les plateformes de communication sur Internet permettant des discussions synchrones comme les chats proposent une toute nouvelle façon d'envisager la conversation. « *Le terme chat désigne l'usage d'un dispositif informatisé pour échanger des messages écrits en mode synchrone. Est synchrone, un dispositif de CMO impliquant l'engagement simultané des interactants dans la communication* » ⁽⁴⁾. Les chats se basent alors sur la transcription textuelle des messages en temps réel entre des personnes interconnectées. Faire du face-à-face avec son écran n'avait pas l'air de déplaire aux milliers, voire aux millions de personnes qui ont fait de ces plateformes numériques un lieu de partage et d'échange.

Problématique

La question de la communication humaine a toujours été au centre des réflexions sur le langage. D'Aristote à Jakobson, le langage ne fait que traduire ou encoder la pensée humaine. Les études récentes en linguistique et en psychologie de ces dernières années stipulent que le langage n'est qu'en partie codé, les mécanismes mis en place pour l'interprétation de l'information relèvent d'un processus d'inférence autant que du codage⁽⁵⁾. La communication devient alors l'affaire de la cognition. Les processus inférentiels⁽⁶⁾ montrent leurs efficacités à travers le traitement des messages de la manière la plus pertinente possible.

Pour comprendre les mécanismes de construction du sens, nous essayons de répondre aux questions suivantes: Comment les interlocuteurs, sur l'espace de *chat*, interprètent-ils les messages qui apparaissent et défilent sur leurs écrans ? Et quelles stratégies et ressources déploient-ils afin de garantir la réussite du processus interprétatif ?

D'après notre observation des espaces de chat, nous émettons l'hypothèse suivante : l'interprétation des messages, sur les plateformes numériques serait facilitée par l'adaptation et l'appropriation de ces espaces par les utilisateurs. Le processus interprétatif reposerait sur

le principe de la pertinence, en tenant compte du contexte d'échange de la communication électronique dans notre cas le chat. Aussi, la rentabilisation du processus inférentiel serait aussi assurée par le partage du même contexte social, des mêmes croyances et de valeurs communes.

Corpus et méthodologie

L'objet de notre recherche consiste à une analyse des plateformes de chat pour comprendre le processus interprétatif à travers une analyse cognitive.

L'analyse de la communication médiatisée est un champ de recherche pluridisciplinaire assez récent, né aux Etats-unis au début des années 90. Il s'est développé partout dans le monde et parmi les champs issus de ce courant l'analyse de discours, des sciences de la communication de la psychologie et de la sociologie. L'analyse des discours numériques est donc une partie d'un ensemble plus vaste. L'abondance des corpus numériques et leurs accessibilités facilitent le travail du chercheur dans la mesure où une simple inscription lui permet d'entrer sur l'espace commun des discussions et d'observer leurs déroulements. Le corpus de chat ne nécessite pas aussi de transcription : il est conservé dans son format initial, il est question de corpus naturels et transcrits. Marcoccia écrit à ce sujet : « *Ces corpus sont naturels, il s'agit d'activités discursives qui auraient lieu en l'absence du chercheur, qui n'ont pas été sollicitées par ce dernier et qui ne sont pas biaisées par leur recueil* »⁽⁷⁾.

Les dispositions éthiques et déontologiques concernant les échanges en ligne entièrement textuels doivent tenir compte de leur caractère public ou privé. Or, les données conservées et enregistrées sont de nature publique, aucune donnée personnelle sur la vie privée des internautes n'est exposée. Susan Herring⁽⁸⁾ fournit d'autres critères qui permettent d'exonérer le chercheur du poids des considérations éthiques. Parmi ces critères, le nombre de destinataires; sachant que sur notre corpus, le nombre des participants peut être très élevé (surtout à des heures de grandes affluences) et chaque destinataire est un destinataire potentiel. Aussi, les sujets abordés sont généralement de nature ludique et conviviale loin de l'intimité. L'emploi des pseudonymes par les internautes garantie le respect de leur vie privée. En plus, la présence du chercheur n'impacte pas sur les messages des internautes. Ainsi, les messages étudiés émanent de l'expérience réelle des participants conscients de leur visibilité et l'idéal du « spontané total »⁽⁹⁾ serait alors atteint. En revanche, en quête d'intimité, le dispositif propose aux utilisateurs, des niches privées visibles que par les participants concernés.

L'abondance des corpus en ligne facilite leur représentativité. Il revient donc au chercheur de décider de la taille du corpus à conserver. Nous observerons quelques extraits de *chat* provenant d'un corpus établi pour notre travail de thèse. Nous avons effectué l'enregistrement du corpus sur deux salons de chats francophones « Algérie-chat » et « Chat-land » dédiés aux utilisateurs algériens, notre corpus est constitué de 3000 messages s'étalant de 2010 jusqu'au 2016. Pour la présente analyse, nous exploitons seulement trois extraits émanant du site « Algérie-chat », ces extraits sont tronqués et ne sont qu'une partie d'échanges plus étendus. Nous les avons débarrassés des messages de signalement provenant du serveur qui n'ont pas de rôles significatifs pour notre analyse. En raison de la taille volumineuse du corpus, nous présentons en annexe qu'une partie du corpus à partir duquel les extraits ont été tirés dans le but de prendre connaissance des messages qui ont précédés ou suivis les extraits.

Ce corpus, composé uniquement d'échanges établis entre les interlocuteurs, est d'abord enregistré puis archivé pour être analysé et décrit par la suite. Ce type de procédé est qualifié de « verbo-centriste »⁽¹⁰⁾, on reproche à cette technique la centration sur le texte qui occulte l'aspect matériel numérique de ce discours et ne rendra donc pas compte des autres éléments qui constituent une fenêtre de chat. L'objectif de notre travail consiste à se focaliser seulement sur l'aspect langagier. Les plateformes de chat étudiées ne permettent pas la conservation des discussions (elles ne sont pas archivées), elles défilent sur l'espace commun et disparaissent après un certain temps (la persistance des messages sur l'écran dépend de la dynamique interactionnelle, c'est-à-dire que les messages figurant sur la fenêtre commune disparaissent

une fois que les nouveaux messages sont postés, le temps de persistance des messages sur l'écran est donc imputable au flux plus ou moins important des nouveaux messages). La fonctionnalité du copier/coller a été possible seulement pour l'enregistrement du 20 octobre 2010. Pour le reste des enregistrements, nous avons effectué des captures d'écran en respectant l'enchaînement des discussions, puis nous avons conservé que la partie qui contient les échanges entre les participants. Autrement dit, la partie réservée aux textes échangés est celle qui constitue notre corpus. A l'instar de Marcoccia : « (...) *Les messages produits et rendus visibles par le système sont, de toute façon, les seules choses qui sont partagés par les internautes. De ce point de vue, l'analyse « purement textuelle » peut se justifier*». ⁽¹¹⁾

L'observation persistante et l'étude longitudinale nous permettront d'analyser le phénomène interprétatif et expliquer le processus inférentiel qui consiste à compléter le sens d'un énoncé en se référant au contexte.

Nous nous appuyons sur les travaux en sciences cognitives de Sperber et Wilson (1979) ⁽¹²⁾. Leur contribution, à proposer un modèle interprétatif, s'enracine dans la pragmatique du langage de Grice et ambitionne à l'amender à travers la *théorie de la pertinence*. Elle associe étroitement les notions d'inférence et de pertinence. Cette analyse cognitive vise à comprendre et à analyser le fonctionnement de la communication et le raisonnement de l'esprit humain que certains modèles issus de la sémiologie ou même de la pragmatique n'ont pas eu à expliquer. Par ce principe, les deux auteurs proposent une théorie générale de l'esprit humain qui repense la communication.

Cette théorie stipule que le locuteur fournira à son interlocuteur des indices en relation avec le contexte en tâchant de le faire avec le moins d'effort possible pour que ce dernier puisse inférer son intention de communication et de ce fait réussir le travail d'interprétation.

La notion de pertinence devient le souci majeur du communicateur. Au moment de communiquer avec autrui, il s'assure de la pertinence de son message avec une revendication implicite de la pertinence de son intention afin que le destinataire soit interpellé sur l'efficacité de son interprétation. Les contenus explicites et implicites des énoncés seront alors traités par le destinataire de manière à confirmer leur pertinence à travers la prise en compte de l'acte à accomplir du caractère littéral et du contenu inférentiel des énoncés. A ce propos, Moeschler propose de l'expliquer comme suit : « *Le principe de pertinence stipule que le locuteur a produit l'énoncé le plus pertinent dans les circonstances, à savoir que tout acte de communication (verbal) communique la présomption de sa propre pertinence. Ce principe (...) explique pourquoi le destinataire accepte de prêter attention et de traiter l'acte de communication qui lui est destiné*». ⁽¹³⁾

La théorie cognitive de Sperber et Wilson repose sur les postulats suivants : les processus d'interprétation et de rajout de sens relèvent d'un traitement automatique inconscient commun à tous les êtres humains. Ce postulat trouve son explication dans le caractère stable de la communication quotidienne. Le modèle, proposé par Sperber et Wilson, stipule que la pertinence est le résultat d'un calcul qui n'est d'autre que le rapport entre l'effort cognitif exigé par le traitement et les effets cognitifs. Pour les deux auteurs, le traitement d'une information repose sur deux opérations. A savoir, la prise en compte des effets de l'information codée (désambiguïsation et fixation de la référence) et les effets contextuels qui garantissent le traitement inférentiel.

Ce modèle cognitif constitue une assise pour notre étude sur la question de l'interprétation des messages en contexte de communication numérique. Cet espace, nous fournira son lot de possibilités pour repenser et redéfinir les principes de production et d'interprétation des messages.

1- Le choix du traitement

La notion de pertinence est au centre de la théorie cognitive de Sperber et Wilson, et dire qu'il faut être pertinent dans nos échanges est loin de ce que les deux auteurs ambitionnent de nous faire expliquer à travers leur démonstration théorique. Pour les deux auteurs, une information pertinente est celle relative à un système de croyances. Elle est susceptible

d'impacter notre système de croyances en apportant des modifications. Ces modifications peuvent intervenir, soit pour permettre l'acquisition d'une nouvelle croyance, soit pour renforcer une croyance ou bien pour l'annuler. Sperber et Wilson appellent ces modifications des « *effets contextuels* ». Ils soutiennent l'idée selon laquelle le système de la pensée des êtres humains cherche toujours à optimiser la pertinence. Son traitement de l'information tant à obtenir le plus d'effets contextuels et réduire le plus l'effort pour atteindre la pertinence. L'esprit humain ne traite que les informations pertinentes qui lui apportent une ou des informations susceptibles d'actionner chez lui un intérêt particulier. Ou encore, celle qui sera en mesure d'apporter des modifications à son système de croyances.

Le choix de l'information à traiter reste tributaire du degré de sa pertinence. Elle doit retenir l'attention du destinataire à un moment donnée. L'esprit humain ne peut pas traiter toutes les informations qui lui sont adressées, la présomption de pertinence d'un acte communiqué conditionne le choix du traitement d'un message. Une information présumée pertinence est celle qui sera choisie pour être traitée. Un acte de communication est pertinent s'il est sélectionné en vertu de sa compatibilité avec la présomption de pertinence. Louis Quéré nous explique que : « *C'est donc en fonction de cette présomption de pertinence que le destinataire construit son interprétation du message et qu'il reconnaît les contenus que l'émetteur a intentionnellement communiqués.* »⁽¹⁴⁾

Dans le même ordre des idées, M., Saint-Pierre pense que : « *Les interlocuteurs se rendent mutuellement manifestes un certain nombre d'hypothèses et de faits, de représentations et d'intentions de façon à modifier leurs caractères cognitifs respectifs.* »⁽¹⁵⁾

Sur l'espace commun des chats, les participants sont soumis à plusieurs contraintes : lire rapidement, choisir l'information à traiter. La traiter pour ensuite transcrire rapidement une réponse qui devrait être pertinente. Tout ce processus, doit se réaliser en quelques secondes. Nous allons observer l'extrait 02 (Voir : enregistrement du 02 novembre 2010, partie annexe) pour comprendre d'abord, quelle information est digne d'attention et sur quelles bases les choix de traitement seront opérés ?

Quatre participants sont engagés dans cet extrait, les deux participants du tour 1 et 2 étaient déjà investis dans cet échange, la majorité des interventions emploient l'adressatif pour désigner le destinataire du message. Ce procédé désignatif contraint d'une certaine manière les destinataires à traiter l'information. L'arrivée de deux autres participantes en (tour 3) et (tour 10) élargit le cercle d'échange et va éclater l'engagement conversationnel entre les deux premiers interlocuteurs (des tours 1 et 2). Les messages de salutations sont ceux qui jouissent de plus d'égard en raison de leur coût en termes d'effort dans l'interprétation. Autrement dit, les moins risquées, car ils garantissent la réussite de l'interprétation. Les deux interventions de salutation sont adressées et supposent l'existence déjà d'une histoire conversationnelle. Cette proximité témoigne d'une connaissance préalable des deux interlocuteurs, et est soutenue par l'intervention très enthousiaste du (tour 13), avec un procédé de dédoublement ou d'étirement des mêmes consonnes pour manifester la grande joie de retrouver la participante se représentant sous le pseudonyme de « mon_coeur ». Dans les tours 8,9 et 11, la participante s'adresse à son interlocuteur dans un acte assertif (tour 8) et de suite poste une autre intervention dans le (tour 9). Dans sa deuxième intervention, l'interlocutrice « Heniya » n'emploie pas d'adressatif, elle s'engage dans une sorte de monologue pour désigner un dilemme orthographique qui concerne le fait de mettre un (s) ou un (t) à déteint. L'intervention « ché plus » du (tour 11) complète l'énoncé du (tour 9) qui vise à désambiguïser son contenu. La stratégie déployée par cette dernière consiste à mettre en évidence les deux possibilités : l'une à côté de l'autre, par le rajout de l'astérisque sur le (s) et sur le (t). Ce choix de transcription contribue à rédiger un message avec le moins d'effort possible et le plus d'effet possible. Après le (tour 8), l'interlocuteur « Dream » rompt son engagement envers sa première partenaire de l'échange « Heniya », il ne traite pas le message qu'elle lui adresse (en tour 8) et ignore le reste de ses messages. Ainsi, aucun effort ne sera fourni par ce dernier, soit parce que l'intention de sa partenaire n'a pas été déterminée et les

effets exploités par cette dernière ne semblent pas pertinents pour « Dream », soit l'arrivée d'une autre interlocutrice, dans le (tour 10) absorbe toute son attention et le détourne du message de « Heniya ». C'est en tour 12, que « Meydine » arrive à identifier les effets contextuels et aboutit à une interprétation efficace, la réponse pertinente de cette participante est le résultat d'une interprétation optimale de l'intervention de « Heniya ». « Meydine » avait suivi le cheminement mental que « Heniya » avait prédit, en déployant les efforts nécessaires afin de traiter efficacement cette information, les effets exploités par « Heniya » (décrits plus haut) s'avèrent alors pertinents pour « Meydine ».

Nous avons constaté que l'emploi de l'adressatif est une stratégie qui contrainde les participants à tenir compte du message qui leur est adressé. Mais sur les chats, comme pour le face-à-face, même si le message est adressé, il peut ne pas être traité, s'il n'est pas assez pertinent et les interlocuteurs peuvent facilement basculer dans un autre échange avec d'autres participants. Les messages traités sont ceux qui sont porteurs d'une présomption de pertinence et qui ne présentent pas une source de conflits, de malentendus ou de quiproquos pour les interlocuteurs. Ces derniers subissent déjà (ou bien font le choix de subir) les contraintes du médium et évitent au maximum de se confronter à un échange de messages en mode transcription nécessitant plus d'effort. Ils préfèrent alors l'abandon au maintien de l'engagement. Nous avons aussi constaté sur cet extrait, que les messages de salutations sont traités directement, car leur interprétation est garantie. Ils ne nécessitent ni une recherche d'effets de la part des destinataires ni le déploiement d'efforts cognitifs de la part des destinataires.

2- Un traitement automatique

Selon Sperber et Wilson, donner du sens à une suite de sons relève d'un processus automatique inconscient. Ce postulat repose sur le caractère stable de la communication quotidienne que Raeber nous l'explique comme suit : « ... la quasi-totalité des énoncés produits au quotidien demandent une adaptation de sens d'une forme ou d'une autre. Nous prenons donc en permanence un risque dans notre interprétation, mais celle-ci est correctement réalisée dans la très grande majorité des cas. »⁽¹⁶⁾

Toujours selon Raeber, le rajout du sens et des informations complémentaires n'est pas toujours garanti et sera expliqué par les détenteurs de la théorie de la pertinence, comme suit : « Le fait que nous ayons le même système d'analyse des énoncés nous permet de tabler sur une interprétation convergente, et donc un message plus simple, car accommodé d'un rajout d'informations implicites qui apparaissent en contexte. »⁽¹⁷⁾

Ainsi, la réussite du processus interprétatif est en partie liée au partage d'un même système d'analyse linguistique qui permet aux individus de réaliser des interprétations optimales et de récupérer le sens intentionnés par le locuteur. Pour Sperber et Wilson, ce mécanisme tient au postulat de l'automatisme, de la stabilité et l'universalité de cette procédure interprétative.

Nous allons observer ce postulat sur l'extrait n°01 (voir : enregistrement du 20 octobre 2010, partie annexe) pour expliquer comment le caractère stable de la communication quotidienne facilite l'accès au sens et permet une interprétation convergente et satisfaisante entre les participants des plateformes électroniques.

Dans la première intervention, en deux tours, l'interlocuteur « setifien », par un acte directif demande à « sara31 » si elle a de grands yeux. Avant que cette dernière n'eût le temps de répondre à sa question une autre interlocutrice s'incruste dans leur échange. L'acte assertif de cette dernière ne constitue pas une réponse à la question de « setifien », mais plutôt pour expliciter son intention. Cette interprétation du message de « setifien » par soussou rend manifeste le fait que poser une telle question à une fille ne signifie pas qu'on soit intéressé par la dimension de ses yeux. Le contenu littéral de l'intervention de « setifien » ne renseigne guère sur son intention. C'est le processus inférentiel qui aurait raison du traitement informatif de cette intervention. Avoir de grands yeux, dans la culture commune est signe de beauté et soussou n'hésite pas à lui faire signifier à travers son intervention. Le contenu littéral de l'intervention de soussou est assez explicite, même s'il n'identifie pas directement

« setifien » comme destinataire. Néanmoins, l'immédiateté de son intervention et son positionnement juste derrière le message de ce dernier lui procure plus de cohérence informative. En plus, son intervention est introduite et accentuée par l'onomatopée « iiiiih » avec le dédoublement du « i » pour rajouter de l'expressivité à son message et faire savoir à « setifien » que son intention est dévoilée (séduire sara31). L'intervention de soussou ne s'est pas appuyée seulement sur le sens littéral et le décodage de l'énoncé de « sétifien » : rajouter du sens semble alors nécessaire pour permettre un traitement efficace. Le traitement inférentiel qui consiste à rajouter du sens à cette intervention émane du résultat d'un traitement automatique de l'information qui repose sur le partage d'un même système d'analyse linguistique des énoncés entre les interlocuteurs. Cela a permis de déboucher sur une interprétation convergente, stabilisée par la pratique de la communication. Son commentaire est pertinent dans la mesure où l'intention du destinataire du message est intelligible.

3- Désambiguïsation et fixation de la référence

Deux opérations sont essentielles pour faciliter le processus interprétatif : la première consiste à déterminer le sens littéral de la phrase. C'est-à-dire le sens propre et exact des mots. La deuxième s'intéresse à la fixation de la référence des différents éléments de la phrase. Cette désignation des références signifie qu'il faut identifier le sens à qui renvoie chaque élément de la phrase. Par exemple, si le mot cuisine est cité dans un énoncé, il est nécessaire de savoir s'il s'agit de la pièce où on prépare ses plats ou bien d'une prestation culinaire. *« Pour savoir ce qu'a dit le locuteur, il faut déterminer d'une part lequel des sens de la phrase énoncé est à retenir, d'autre part à quoi renvoient les expressions référentielles (noms propres, pronoms, temps du verbe, etc.) »* ⁽¹⁸⁾ Sperber et Wilson attestent que cette double détermination tient des hypothèses de Grice. ⁽¹⁹⁾

Ces deux opérations ne garantissent pas la levée complète des équivoques. Certaines indéterminations continuent de se manifester et il revient au contexte de préciser parmi les indéterminations, lesquelles sont en conformité avec le principe de pertinence. François Recanatì précise à ce sujet : *« ... Ces deux opérations de désambiguïsation et fixation de la référence suffisent pour déterminer la proposition exprimée par la phrase ; mais comme le souligne Sperber et Wilson, bien des indéterminations subsistent après que ces deux opérations ont été effectuées. »* ⁽²⁰⁾

Pour Sperber et Wilson, ces deux opérations sont nécessaires pour l'identification des expressions désignatives, mais il faudrait rajouter à cela une troisième opération, aussi importante que les deux précédentes : celle de l'enrichissement contextuel qui permettrait l'atteinte de la pertinence.

L'analyse de l'extrait n°3 (Voir : enregistrement du 10 septembre 2016, partie annexe) permet d'identifier les stratégies déployées par les interlocuteurs pour construire le sens des interventions à travers les opérations de désambiguïsation et fixation des références.

Nous constatons que l'échange était déjà entamé avant le début de l'enregistrement. Une des singularités des chats est qu'au moment où on rejoint le groupe, les échanges sont le plus souvent tronqués et les participants sont contraints de suivre le fil des discussions déjà en cours. L'extrait n°3 est entamé par une intervention assertive dans le (tour 1). Cette intervention ne contient pas d'adressatif, mais la suite des interventions révélera le destinataire. Plusieurs interventions sont les résultats du processus interprétatif de l'énoncé du tour 1. Chacun des trois participants était investi dans cet échange et leur interprétation se fera sur la base de plusieurs paramètres parmi lesquels : les relations entre les interlocuteurs et le partage du même contexte. Les contenus des tours 2,3 et 5 détermineront le type de lien et le contenu intentionné du destinataire. Le processus interprétatif débutera par la récupération de l'information communiquée par un simple décodage, avant de décider de ce qui sera rajouté. Cette opération de décodage consiste à la désignation des références (les pronoms, les verbes, les anaphores, les déictiques, etc.) pour reconstituer l'information minimale, littérale. Les deux opérations de désambiguïsation et fixation des références sont ainsi primordiales pour

une première phase d'interprétation. L'intervention de « eLite » dans le (tour 1), « vous ne lavez pas une chaussette », est exprimée en langue arabe, certainement pour donner plus d'expressivité à son intervention. Un simple décodage, informe qu' « eLite » s'adresse à un « vous » non désignatif et fait savoir que « certaines personnes » ne lavent pas une chaussette. Cet énoncé est raisonnablement jugé pertinent pour « eLite », le signal émis par son message rend accessible un certain nombre d'informations parmi lesquelles ; l'information codée. Le traitement de cet énoncé est le résultat de 3 interventions, de la part de 3 intervenants s'adressant à « eLite ». Dans le deuxième tour, l'interlocuteur s'adresse à « eLite » avec un acte directif. Il identifie le destinataire par son pseudonyme et par le verbe à l'impératif à la deuxième personne du singulier. Dans le (tour 3), un interlocuteur adresse son message à « eLite », dans lequel, il s'identifie par un « je » pour se désigner comme étant le destinataire du (tour 1), pour ensuite s'adresser à « eLite » par l'emploi du « te » « t'avoir » pour accentuer la désignation, son intervention témoigne de la présence d'un conflit entre les deux interlocuteurs par l'emploi des verbes « regretter » et « ignorer ». Ce message n'a pas de valeur informative suffisante pour percevoir le lien entre le tour1 et cette intervention. Le locuteur du (tour 5) s'identifie et se désigne comme destinataire potentiel de l'intervention non adressée de « eLite ». Son intervention débute par l'emploi de l'acronyme « mdr » qui est généralement employé pour signifier le caractère comique d'un message où pour atténuer certains contenu. Ce dernier ne contient pas d'élément linguistique qui pourrait signifier l'existence de conflit entre les deux. En observant le sens littéral des trois interventions, nous constatons que l'intervention 3 renseigne sur la présence d'un désaccord, mais un écart est évident, car cette intervention ne semble pas aller dans le sens de l'intervention du tour 1, pour signaler s'il est d'accord ou plutôt contre le fait de laver une chaussette. Aucun élément du message n'apporte un éclairage et ne fait allusion à ce fait. L'intervention du (tour 5) reprend des éléments de l'intervention d'eLite, certes, il parle de chaussettes, mais quel rapport peut-on déceler entre les deux messages ? Aucune des trois interventions ne fait mention de lavage de chaussette, aucune ne montre l'accord ou le désaccord avec le lavage des chaussettes. Cet exemple montre bien l'incapacité ou bien l'insuffisance du contenu littéral à enrichir l'information d'un énoncé. La déficience du contenu décodé ne permettrait pas de transmettre l'information intentionnée, malgré les deux opérations de décodage et de désambiguïsation.

Pour arriver à donner du sens aux interventions ci-dessus, le processus inférentiel sera enclenché pour compenser l'insuffisance du contenu littéral et prétendre à une interprétation pertinente des énoncés. Des informations supplémentaires seront exploitées pour combler ce manque. En quoi l'énoncé d' « eLite » est pertinent pour constituer une amorce aux réponses des autres participants ? Le processus inférentiel contribuera à faire le lien entre le tour 1 et 2, le tour 1 et 3, ainsi que le tour 1 et 5 : les trois interlocuteurs qui ont fait le choix de traiter l'énoncé d'« eLite » produisent trois interventions différentes certes, mais pertinentes. Pour donner du sens à cette intervention, nous analysons le processus interprétatif des trois participants. Les interlocuteurs se basent sur la contextualisation des faits, sur le partage d'un même système de croyances d'un même système linguistique et du même contexte afin de récupérer le sens. La première intervention est métaphorique avec des allures de reproche. Excédée par certains participants, « eLite » a voulu leur faire entendre qu'ils ne sont même pas capables de laver une chaussette, ce bout de tissu est pris comme exemple pour leur signifier qu'ils ne sont pas en mesure de se prendre en charge même pour une tâche aussi insignifiante. Même si « eLite » généralise cette incapacité, un participant se reconnaît comme destinataire du message. Selon qu'on soit destinataire ou pas du message, est ce qui va donner de la pertinence aux messages des trois intervenants. Une fois l'ambiguïté levée et l'intention du tour 1 est déterminée, à travers l'examen des données et des indices contextuels, l'échange devient alors cohérent. Dans le (tour 2), dans lequel l'interlocuteur par un processus interprétatif récupère l'information selon laquelle « eLite » est vraiment agacée par l'attitude de certains participants et décide alors de lui faire comprendre qu'elle ferait bien de s'en

débarrasser. Son intervention est donc pertinente dans la mesure, où elle propose une solution pour mettre fin à l'état de cette dernière. Son intervention vient accréditer l'intention d'eLite. Le (tour 3), qui viendra davantage confirmer l'intention communiquée du message d'eLite, car « guelil » se reconnaîtra comme destinataire du (tour 1). Le traitement de son intervention témoigne d'un conflit existant avant le début de l'enregistrement. Les deux interlocuteurs étaient déjà en embrouille avant notre découverte de l'échange, et nous ne connaissons certainement pas les raisons de ce conflit. Ce dernier, ne va pas répondre pour se défendre et apaiser les esprits. Il va alors opter pour une stratégie d'attaque, ou il lui fait entendre qu'il a bien fait de ne pas lui avoir donné de l'importance. Il va plus loin encore pour lui faire signifier qu'elle a bien mérité son mépris et son indifférence et qu'elle n'a eu que ce qu'elle méritait. Le fait de le traiter d'incapable a alimenté la charge agressive de son intervention. Son message confirme d'une part, le traitement pertinent de l'intervention d'« eLite ». D'autre part, il contient assez d'indices contextuels pour confirmer l'existence d'un conflit. Ce que nous avons avancé comme processus interprétatif de l'énoncé de « guelil » est confirmé dans le tour 8. L'intervention du (tour 5), montre que l'interlocuteur, qu'il soit ou pas le destinataire principal du message s'identifie tant que tel parce que déjà eLite dans le premier tour inclut tous les hommes. « Guest36572 » sait pertinemment qu'il n'est pas concerné par son message : il ne semble aucunement touché par les propos d'« eLite » contrairement à « guelil ». Il introduit son énoncé par l'acronyme mdr (mort de rire) pour tenter de faire baisser l'attention entre les deux interlocuteurs. Le fait de se définir comme destinataire du message est juste de répondre à une intervention inclusive.

Les interprétations que nous avons obtenues après la lecture des messages sont pertinentes et peuvent se vérifier par le reste des interventions de l'extrait.

Le déploiement des ressources liées à l'interprétation de l'énoncé permettra de chercher dans les données contextuelles les indices et les éléments qui alimentent le travail interprétatif purement cognitif des interlocuteurs. Suivre le chemin interprétatif des participants permet de dire que ce travail de traitement de l'information est automatique et inconscient et ne nécessite pas un grand effort pour l'interprétation des faits sur les espaces de *chats* les réponses défilent vite et disparaissent aussitôt. Les interlocuteurs sont soumis à la transcription rapide pour assurer la synchronie des échanges. Leurs énoncés doivent donc contenir le plus d'indices possibles pour assurer la pertinence des messages. L'ambiguïté des interventions va impacter sur la dynamique interactionnelle et de surcroît sur l'engagement des participants.

4-Efforts et effets cognitifs

La théorie cognitive de Sperber et Wilson, s'arrête sur deux concepts clés qui permettent de comprendre le processus interprétatif. Il s'agit là d'un traitement purement mental combinant effort cognitif et effet cognitif qui respectivement signifient, la mobilisation des ressources mentales allouées dans le traitement d'une information donnée et l'apport informatif que l'énoncé réalise dans notre environnement de pensée.

S'inspirant des travaux de Sperber et Wilson, Raeber explique que la pertinence d'un énoncé est le résultat d'un calcul. Ce calcul n'est d'autre que le rapport entre le coût cognitif que demande le traitement de l'énoncé et les effets cognitifs qu'il apporte.

« La théorie de la pertinence nous dit que nous traitons l'énoncé jusqu'à atteindre un niveau de pertinence optimale, ce niveau étant obtenu par ratio de l'effort de traitement que demande l'interprétation de l'énoncé, et les effets cognitifs amenés par l'énoncé. »⁽²¹⁾

Le modèle interprétatif que nous proposent Sperber et Wilson renseigne sur le fait qu'un destinataire traite un énoncé en termes de rendement entre effort de traitement et effet cognitif. L'objectif étant d'obtenir le meilleur rapport entre ces deux valeurs. A ce propos, nous dirons que, par exemple, si un énoncé apporte plus d'effets et moins d'efforts de traitement, le degré de pertinence sera optimal. Plus les effets sont amoindris plus l'effort augmenterait et plus le degré de pertinence diminuerait.

En se basant sur ce modèle, nous allons reprendre l'extrait précédent pour expliquer comment les internautes mobilisent-ils les ressources nécessaires pour que le traitement des énoncés s'opère et comment les effets apportés par l'énoncé contribuent à assurer la pertinence ?

Nous avons repris l'extrait n°3 pour analyser le reste des messages. Nous avons observé les tours 4, 7 et 11. La reprise de tout l'extrait est nécessaire pour assurer la cohérence de l'échange.

Dans notre analyse du même extrait et à travers notre explication du processus interprétatif des énoncés précédents, nous avons observé l'existence d'un conflit entre deux interlocuteurs. Dans la continuité de l'échange, nous avons regardé comment effet/effort sont calculés pour déterminer la pertinence des énoncés. Dans un premier temps, nous observons les effets du contenu littéral des énoncés. Ensuite nous passons aux effets inférentiels.

Malgré l'identification du destinataire des messages d'« eLite », cette dernière continue de poster ses messages sans adressatif. Son intervention contient deux actes assertifs dans les deux langues: le choix du code est intentionnel pour rajouter plus d'effets à son énoncé. Elle débute par un syntagme en français, puis continue son intervention en arabe. L'analyse littérale et la saturation des variables de son énoncé montrent que cette dernière s'adresse à un collectif à travers l'emploi au pluriel de l'adjectif dans le syntagme « des bras cassés marmiyine » et inclus une catégorie qui n'est d'autres que celle de la gente masculine. Cette catégorie (les hommes) est désignée dans le syntagme « wahed foug wahed » (l'un sur l'autre), aussi « falhine fi techrak el foug » (ils ne sont bons qu'en commérages), ces expressions péjoratives et dépréciatives se rajoutent aux effets produits par cette interlocutrice. Une fois les références attribuées, l'analyse sémantique de l'intervention d'« eLite » apporte plusieurs autres effets, en l'occurrence pour comprendre déjà l'existence d'un conflit avec plusieurs personnes. Ces personnes font partie du sexe opposé. Ces effets seront additionnés à d'autres effets émanant d'un traitement inférentiel de son énoncé. L'interprétation de l'expression des bras cassés est loin de signifier une incapacité due à un handicap au niveau des bras comme son contenu sémantique le prétend. C'est une métaphore consciemment employée par « eLite » qui fonctionne comme effet cognitif facilitant l'accès au sens. C'est une expression, connue, commune, partagée. Elle fait partie des connaissances encyclopédiques des interlocuteurs. Elle est commune pour les deux langues, que se soit en français ou en arabe. Elle bénéficiera de la même interprétation. Dans le reste de son intervention, « eLite » recourt à la langue arabe pour surenchérir son mécontentement et rajouter plus d'effets à travers l'emploi d'expressions dépréciatives à la limite du vulgaire qui sert à extérioriser la charge émotionnelle représentant son état. En somme, son énoncé est riche en effets cognitifs qui garantissent sa pertinence et l'effort cognitif nécessitant l'interprétation de l'énoncé n'était donc pas conséquent.

Dans le (tour 7), après avoir traité le contenu informationnel d'« eLite », « Reveur » par un acte assertif, intervient pour s'exprimer sur l'état dans lequel se trouve « eLite ». Son énoncé est en réaction au message de cette dernière. Il témoigne d'un traitement satisfaisant et pertinent. Son énoncé est court, concis et exprimé en langue arabe et dans lequel « eLite » est identifié comme destinataire de son message. « Reveur » signifie explicitement qu'eLite est en colère. Par son intervention, il prétend avoir saisi l'intention communiquée dans le message d'« eLite ». Effectivement, dans le (tour 11), « eLite » s'identifie comme destinataire du message de « Reveur » et se justifie à travers son intervention ou elle infirme l'hypothèse de ce dernier. Elle répond à son message par un autre acte assertif pour asseoir son intention et modifier les croyances de « Reveur ».

Les effets mobilisés dans cet extrait par « eLite » sont nombreux. Elle multiplie les effets pour assurer la présomption de pertinence. Elle désigne directement ces interlocuteurs, elle recourt à la métaphore pour asseoir son intention et rajouter plus d'effets à son intervention. Elle opte pour un changement de code (rajouter de l'expressivité, qui est une des fonctions de la langue arabe). Elle emploie un vocabulaire dépréciatif et mise sur des connaissances

partagées et des valeurs communes. Toutes ces ressources sont autant des effets qui garantissent la pertinence et facilitent la détermination de son intention.

Conclusion

Le modèle de Sperber et Wilson nous a permis de comprendre comment les interlocuteurs sur les *chats* s'investissent dans ce processus interprétatif à la fois comme destinataire et destinataire. Les uns et les autres façonnent leurs interventions de manière à réduire au maximum les conflits et éviter l'incompréhension. Les interlocuteurs sur les *chats* subissent les inconvénients du dispositif liés à l'absence du cadre spatio-temporel. Néanmoins, ces espaces de communication connaissent depuis quelques années un succès fulgurant, qui ne laisse aucun doute sur l'efficacité des échanges et sur la capacité des êtres humains à s'adapter au médium. Cette analyse nous a permis de confirmer notre hypothèse et constater que les interlocuteurs montrent leur adaptation au médium. Leurs interventions sont le plus souvent des actes de type assertifs ou directifs très courts. Les énoncés longs sont très rares, et les détails inutiles ne trouvent pas leurs places sur les chats, car ils risquent d'altérer le sens du message causant ainsi, le désengagement des participants. Les énoncés couteux en ressources de traitement, n'ont pas le privilège d'être traités. Seules les interventions présumées pertinentes retiennent l'attention des interlocuteurs. Comme nous l'avons observé avec les séquences d'ouvertures, qui bénéficient toujours de réponses de la part des interlocuteurs : citons les messages de salutation qui sont peu couteux en effort cognitif. Les messages contenant les adresses identifient l'interlocuteur et l'interpellent directement. C'est une des raisons qui contraignent le destinataire à traiter l'énoncé en question, mais ce procédé ne force pas toujours les interlocuteurs à prêter attention à un message. Seule la pertinence des messages aurait raison de leur traitement.

Les interlocuteurs mobilisent au maximum les effets qui amènent à un traitement optimal des messages et réduisent l'effort cognitif par l'exploitation de procédés et de stratégies compensatoires comme le recours à certaines fonctionnalités techniques. L'efficacité des échanges observés réside dans le fait de produire des énoncés simples avec une garantie de pertinence apportant le plus d'effets et le moins d'effort. La récupération du sens se fait sur la base d'un traitement de l'information portant sur le sens littéral et un contexte initial dans lequel l'ensemble des participants sont plus ou moins investis et leurs croyances peuvent s'y rattacher pour le traitement des messages. Si les attentes en termes d'interprétation ne sont pas satisfaisantes, les interlocuteurs font appel à d'autres croyances et élargissent le contexte, pour aspirer à un traitement inférentiel qui complète le sens manquant en mesure de déterminer l'intention du communicateur.

Références:

- 1- Concept cité par Marcoccia Michel dans son ouvrage Analyser la communication numérique écrite, 2016, Armand Colin, Paris.
- 2- Gadet Françoise, 2007, A la mémoire de Jacques Anis, Glottopol, Revue de sociolinguistique en ligne, 10, 2-3. Disponible sur http://glottopol.univ-rouen.fr/telecharger/numero_10/gpl10_temoignage.pdf. Consulté le 3/09/2017
- 3- Marcoccia Michel, 2016, Analyser la communication numérique écrite, Armand Colin, Paris, p 58.
- 4- Zhao et Elesh, 2008, cité dans Lartzko-toth Guillaume, 2010, co-construction d'un dispositif sociotechnique de communication : le cas de l'Internet Relay Chat, p139, 140
- 5- Wilson Deirdre, Sperber Dan, L'interprétation des énoncés, Communications, 30, 1979. La conversation. pp. 80-94
- 6- Ce que nous décidons de rajouter à la signification de base de l'énoncé.
- 7- Marcoccia Michel, 2016, Analyser la communication numérique écrite, Armand Colin, Paris, p 58.
- 8- Critères définis par Susan Herring pour juger du caractère public ou privé d'une situation de communication numérique. Cité dans Marcoccia Michel, 2016, Analyser la communication numérique écrite, Armand Colin, Paris, p 43-44.
- 9- Concept cité par Marcoccia Michel dans son ouvrage Analyser la communication numérique écrite, 2016, Armand Colin, Paris.
- 10- Il nettoie le discours de ce qui fait leur matérialité numérique, cité dans Marcoccia Michel, 2016, Analyser la communication numérique écrite, Armand Colin, Paris, p 65.

- 11- Maroccia Michel, 2016, Analyser la communication numérique écrite, Armand Colin, Paris, p 66.
- 12- Wilson Deirdre, Sperber Dan, L'interprétation des énoncés, Communications, 30, 1979. La conversation. pp. 80-94
- 13- Moeschler Jacques, 1995, La pragmatique après Grice : contexte et pertinence, L'Information Grammaticale, N. 66, 1995, p 30.
- 14- Quéré Louis, 1990, La pertinence. Communication et cognition (Don Sperber et Deirdre Wilson). In: Réseaux, volume 8, n°42, 1990, La publicité, p 110.
- 15- Saint-Pierre Madeleine, 1998, Une approche pragmatique cognitive de l'interaction personne/système informatisé, Apprentissage des Langue et Système d'information et de Communication, Adalsic, Vol. 1, 1998.
- 16- Raeber Thierry, 2012. La théorie de la pertinence, Heurissis, p 2.
- 17- Ibid, p 2.
- 18- Wilson Deirdre, Sperber Dan, L'interprétation des énoncés, Communications, 30, 1979. La conversation. pp. 80-94
- 19- Ibid
- 20- Recanati François, Communication et Cognition. Publication de l'Action de Recherche Intégrée sur les sciences de la communication, CNRS, Paris 1986, p 296.
- 21- Raeber Thierry, 2012. La théorie de la pertinence, Heurissis, p 6.

Bibliographies

- 1- Gadet Françoise, A la mémoire de Jacques Anis, Glottopol, Revue de sociolinguistique en ligne, 10, 2-3, 2007. Disponible sur : http://glottopol.univ-rouen.fr/telecharger/numero_10/gpl10_temoignage.pdf
- 2- Lartzko-toth Guillaume, 2010, co-construction d'un dispositif sociotechnique de communication : le cas de l'Internet Relay Chat, Montréal.
- 3- Maroccia Michel, 2016, Analyser la communication numérique écrite, Armand Colin, Paris.
- 4- Moeschler Jacques, 1995, La pragmatique après Grice : contexte et pertinence, L'Information Grammaticale, N. 66, 1995. pp. 25-31
- 5- Saint-Pierre Madeleine, Une approche pragmatique cognitive de l'interaction personne/système informatisé, Apprentissage des Langue et Système d'information et de Communication, Adalsic, Vol. 1, 1998.
- 6- Quéré Louis, 1990, La pertinence. Communication et cognition (Don Sperber et Deirdre Wilson). In: Réseaux, volume 8, n°42, 1990, La publicité, pp. 110-111.
- 7- Raeber Thierry, 2012. La théorie de la pertinence, Heurissis, 2012.
- 8- Recanati François, Communication et Cognition. Publication de l'Action de Recherche Intégrée sur les sciences de la communication, CNRS, Paris 1986, 366 pages.
- 9- Wilson Deirdre, Sperber Dan, L'interprétation des énoncés, Communications, 30, 1979. La conversation. pp. 80-94.

Annexes :

Extrait n°1 : Enregistrement du 20 octobre 2010

- [15:38] <Tigrouille> Heniya slt ma Gazelle
 [15:38] <Tigrouille> Heniya rose c koi
 [15:39] <setifien> sara31> nakes bezeef hanane meskin
 [15:39] <akon> setifien> marabaaak entaaaaa
 [15:39] <soussou> alors commnt ca va ici????
 [15:39] <sara31> setifien> 🤔🤔🤔🤔🤔🤔
 [15:40] <setifien> akon> manich 3lik nta
 [15:40] <sara31> akon> mechi kima haka
 [15:40] <dina> llo
 [15:40] <setifien> sara31> manich 3ilh c mn ami lapreuve wasitek 3lih non ?
 [15:40] <sara31> setifien> oui bien sur
 [15:41] <setifien> sara31> dis moi aydik kbar ?
 [15:41] <setifien> sara31> aynik ?lol
 [15:41] <soussou> iiiiiiiiiiiih ca commence laghraam
 [15:41] <sara31> setifien> hhhhhhhh la sghar
 [15:41] <soussou> :::

Extrait n°2 : Enregistrement du 02 novembre 2010

Henry> Dream> 🍌🍌 Mais m'a accrocher ou ?
Dream> a moi pardi koi question Heniya
Medy> Henry> bon re
Henry> Mais quand je m'accroche, je lâche plus Dream ! ❤️
Hen ya> Medyne> re
Dream> pas grave Heniya ferme les yeux kon t'attache
Dream> Medyne re ici
Hen ya> Dream> oi Chatchine a detoin sur moi!
Hen ya> detoin? dete no?
mon_coeur> Dream> conjoir klebutos
Hen ya> ché p us-
Medyn> Heniya> detoin:
Dream> mon_coeur brrrrrrrrrrrrrrrrr bisoussssssssssssssssssssssss
mon_coeur> Dream> comment tu va
Hen ya> Medyn> 😊 ouii il alors g uctie! 🍌🍌🍌🍌
mohel_17 a quitté le chat. quit: M b enter; sur <http://www.tchatspace.org>
create> salam

Extrait n°3 : Enregistrement du 10 septembre 2016 à 11h18.

```
[11:18] <Lites> Tqchirn marnghasslouhach
[11:18] <Lunae_pOrmar> eLite zap les 2
[11:19] <guellil> eLite: je ne regrette pas de t'avoir ignoré depuis des années tell
[11:19] *** tyssa [eu3-B7wFx@europnet-D0D61555.dsl.sta.abo.bbox.fr] has j
[11:19] <Lites> Des bras cassés marniyine wahed fouq wahed falline fi tchirak el foum
[11:19] *** _ALGEROI left #algeriens []
[11:19] <Guest36572> eLite: mdr on marche sans chaussures
[11:19] <Brunella> ite
[11:19] <Reveur> hay zaafat eLite
[11:19] <Lites> C était moi qui t as ignoré guellil merce quand tu es venu faire la paix ta3. ...
[11:19] *** zest45ans [696283a0e16b3982E.CA968A10.F6EDD687.IP] has joined #algeriens
[11:19] *** vivons-nous [296848be@B5C45B61.D1185990.F21126F4.IP] has quit [Quit: Tchar sur http://www.andromede.net]
[11:19] <Ailleurs> j'avais un rendez-vous avec elle à 7h15 pour prendre un café ensemble. ce jour là, ell
[11:19] <Unest36572> guellil: moi j'aime bien eLite. elle gracieuse et c courtbes sont fines
[11:20] <Lites> Maz3afch reveur, je m'exprime
[11:20] <tyssa> lol Ailleurs
[11:20] <Reveur> eLite exprimi exprimi
[11:20] *** adam16 [eu3-JwaSUC@619AFB99.1A10D6B4.1CF9185A.IP] has joined #algeriens
[11:20] *** brhmkhalil [cf2-p8PILX@A619FEDE.D260F927.A818455B.IP] has quit [Quit: A bientôt !]
[11:20] *** salim2016 [lo1-FQSCWT@europnet-C27489BD.rabatl-86-59-137-41.wanamaroc.com] has quit [Quit: A bientôt !]
[11:20] <Lites> Bsahtak lion9
[11:20] <Reveur> eLite exprimi exprimi
[11:20] *** adam16 [eu3-JwaSUC@619AFB99.1A10D6B4.1CF9185A.IP] has joined #algerien
[11:20] *** brhmkhalil [cf2-p8PILX@A619FEDE.D260F927.A818455B.IP] has quit [Quit: A
[11:20] *** salim2016 [lo1-FQSCWT@europnet-C27489BD.rabatl-86-59-137-41.wanamaroc.com] has quit [Quit: A bientôt !]
[11:20] <Lites> Bsahtak lion9
[11:20] <Lites> je m en us de repeter la meme phrase sans rien changer
[11:20] <tyssa> Isabella et toi
[11:20] <Ailleurs> tyssa: c'est sensationnel ce que je raconte, non?
[11:20] <cest45ans> mets tu slip ou culotte !!
[11:20] <Reveur> Brunella ça me fait penser à Brela, le couteau
[11:20] <tyssa> parlait Ailleurs
[11:21] <guellil> eLite est un <censored> que j'ai géré pendant 7 ans quand j'étais op
[11:21] <tyssa> lol reveur
[11:21] *** ormar [695b2bb9@421F492C.F648CD0D.F85BB19C.IP] has joined #algeriens
[11:21] <Isabella> Walon tyssa
[11:21] <Ailleurs> tyssa: le problème c'est que ils s'en foutent carrément
```

[11:18] <eLite> Tqochira maraghsslouhach
 [11:18] <Lunae_pOrtun> eLite zap les 2
 [11:19] <guellil> eLite: je ne regrette pas de t'avoir ignoré depuis des années tell
 [11:19] *** tyssa [eu3-B7nWfX@europnet-D0D61555.dsl.sta.abo.bbox.fr] has j
 [11:19] <eLite> Des bras cassés marniyine wahed foug wahed falline fi techrak el foug
 [11:19] *** _ALGEROI left #algeriens []
 [11:19] <Guest36572> eLite: mdr on marche sans chaussettes
 [11:19] <Brunella> Re
 [11:19] <Reveur> hay zaafat eLite
 [11:19] <eLite> C'était moi qui t'as ignoré guellil même quand tu es venu faire la paix ta3. ...
 [11:19] *** zest45ans [6962882a@16B3982E.CA968A10.F6EDD687.IP] has joined #algeriens
 [11:19] *** vivons-nous [296848be@B5C45B61.D1185990.F21126F4.IP] has quit [Quit: Tebat sur <http://www.andromede.net/>]
 [11:19] <Ailleurs> j'avais un rendez-vous avec elle à 7h15 pour prendre un café ensemble. ce jour là, ell
 [11:19] <Lunest36572> guellil: moi j'aime bien eLite. elle gracieuse et c. courbes sont fines.
 [11:20] <eLite> Maz3aftch reveur, je m'exprime
 [11:20] <tyssa> lol Ailleurs
 [11:20] <Reveur> eLite exprimi exprimi
 [11:20] *** adam16 [eu3-JwaSUC@619AFB99.1A10D6B4.1CF9185A.IP] has joined #algeriens
 [11:20] *** brahimkhalil [cf2-p8PFLX@A619FEDE.D260F927.A818455B.IP] has quit [Quit: A bientôt !]
 [11:20] *** salim2016 [lo1-FQSCWT@europnet-C27489BD.rabatp1-86-59-137-41.wanamaroc.com] has quit [Quit: A bientôt !]
 [11:20] <eLite> Bsahhak lion9
 [11:20] <Reveur> eLite exprimi exprimi
 [11:20] *** adam16 [eu3-JwaSUC@619AFB99.1A10D6B4.1CF9185A.IP] has joined #algerien
 [11:20] *** brahimkhalil [cf2-p8PFLX@A619FEDE.D260F927.A818455B.IP] has quit [Quit: A
 [11:20] *** salim2016 [lo1-FQSCWT@europnet-C27489BD.rabatp1-86-59-137-41.wanamaroc.com] has quit [Quit: A bientôt !]
 [11:20] <eLite> Bsahhak lion9
 [11:20] <eLite> je lui ai dis ce repeter la meme phrase sans rien changer
 [11:20] <tyssa> Isabella et toi
 [11:20] <Ailleurs> tyssa: c'est sensationnel ce que je raconte, non?
 [11:20] <zest45ans> mets tu slip ou culotte !!
 [11:20] <Reveur> Brunella ça me fait penser à Brella, le couteau
 [11:20] <tyssa> parfait Ailleurs
 [11:21] <guellil> eLite est un <censored> que j'ai géré pendant 7 ans quand j'étais op
 [11:21] <tyssa> lol reveur
 [11:21] *** omair [695b2bb9@421F492C.F648CD0D.F86BB19C.IP] has joined #algeriens
 [11:21] <Isabella> Waou tyssa
 [11:21] <Ailleurs> tyssa: le problème c'est que ils s'en foutent carrément

Modalités du désengagement dans les pré-clôtures et les clôtures des interactions visiophoniques entre locuteurs algériens installés sur les deux rives France/Algérie

Fadila SAADI ⁽¹⁾ Sabrina AISSAOUI ⁽²⁾

1- Laboratoire Interdisciplinaire de Pédagogie Et de Didactique (LIPED) ; Université Badji Moukhtar -Annaba, fadila.saadi@univ-annaba.org

2- Université 8 mai 1945 -Guelma- Algérie, sabrina.aissaoui24@yahoo.fr

Soumis le : 30/01/2022

révisé le :24/05/2022

accepté le : 25/09/2022

Résumé

Cet article est le fruit de l'investigation scientifique inhérente à notre projet de thèse qui s'intitule : analyse multimodale des interactions visiophoniques entre locuteurs des deux rives France/Algérie : contact des langues et des cultures. Notre intérêt, au sein de cette réflexion est porté sur les modalités de désengagement verbal, corporel et mimo-gestuel dans les pré-clôtures et les clôtures des interactions visiophonique. L'interaction multimodale par écran à perspective ethno-méthodologique constitue le socle théorique de la recherche.

Mots-clés : Interaction multimodale, interaction visiophonique, pré-clôture, clôture, désengagement.

طرق فك الارتباط في الإغلاق المسبق وإغلاق تفاعلات الهاتف المرئي بين المتحدثين الجزائريين الذين يعيشون على كلا الجانبين فرنسا / الجزائر

ملخص

هذا المقال هو ثمرة البحث العلمي المتأصل في مشروع أطروحتنا بعنوان : التحليل متعدد الوسائط للتفاعلات عبر الهاتف المرئي بين المتحدثين على كلا الجانبين فرنسا / الجزائر: احتكاك اللغات والثقافات. يتركز اهتمامنا في هذا البيان على أساليب فك الارتباط اللفظي والجسدي و الإيمائي في عمليات الإغلاق و الإغلاق المسبق للتفاعلات عبر الهاتف المرئي. يشكل التفاعل متعدد الوسائط من خلال الشاشة ذو المنظور العرقي المنهجي الأساس النظري للبحث.

الكلمات المفتاحية: تفاعل متعدد الوسائط، تفاعل عبر الهاتف المرئي، إغلاق مسبق، إغلاق، فك الارتباط.

Modalities of disengagement in the pre-closing and closing of videophone interactions between Algerian speakers living on both sides France/Algeria

Abstract

This article is the fruit of the scientific investigation inherent in our thesis project which is entitled: multimodal analysis of videophone interactions between speakers from the two shores of France/Algeria: contact of languages and cultures. Our interest, within this press release, is focused on the modalities of verbal, bodily and mimo-gestural disengagement in the pre-closures and closures of videophone interactions. Multimodal interaction by ethno-methodological perspective screen constitutes the theoretical basis of the research.

Keywords: Multimodal interaction, videophone interaction, pre-closures, closures, disengagement.

Auteur correspondant: Fadila SAADI, fadila.saadi@univ-annaba.org

Introduction:

Les nouvelles technologies de l'information et de la communication ont modifié les formes des interactions entre interlocuteurs installés à distance⁽¹⁾. En effet, l'interaction visiophonique constitue le moyen de communication qui permet la coprésence à distance, ce qui inclut l'introduction de possibilité pour les interactants d'interagir en créant et en maintenant un centre commun d'activités interactionnelles assez proche de la relation de face à face⁽²⁾. Cette propriété implique la création d'un espace virtuel qui n'est pas souple, c'est-à-dire qu'il est inscrit à l'intérieur d'un cadre déterminé, orienté par un positionnement devant la caméra et régi par des contraintes rituelles et systémiques⁽³⁾.

Nous nous sommes intéressée à l'analyse des séquences pré-clôtures et clôtures des interactions visiophoniques tirées de notre corpus de recherche. Nous sommes guidée par une question principale énoncée comme suit : comment les ressources multimodales⁽⁴⁾ témoignent-elles du désengagement des interactants dans les interactions visiophoniques pendant les pré-clôtures et les clôtures ? En liaison à cette question, nous nous interrogeons par rapport aux aspects du désengagement verbal, corporel et mimo-gestuel de la manière suivante : comment les productions verbales témoignent elles du désengagement dans l'interaction visiophonique ? Comment se réalise le désengagement corporel en interface de l'écran ? Quels sont les signes mimo-gestuels du désengagement en interaction visiophonique ? Pour répondre aux questions posées, nous exploitons les segments de six séquences de pré-clôtures et de clôtures inhérentes à quatre corpus différents. Ces derniers sont des enregistrements d'interactions visiophoniques familières entre locuteurs d'origine algérienne installés sur les deux rives France/Algérie.

Nous nous limitons par rapport aux résultats de l'analyse, à l'étude de cas liée au corpus de la recherche. L'intérêt est porté sur les conduites verbales, corporelles et mimo-gestuelles des interactants en interface de l'écran. Nous nous référons théoriquement à l'interaction multimodale par écran (IMPEC) à perspective ethno-méthodologique et nous adoptons une approche descriptive interprétative. L'importance de nos résultats réside dans la compréhension du phénomène interactionnel au sein du dispositif technologique visiophonique. Nous emboîtons le pas à des chercheurs ayant travaillé sur les séquences clôtures dans l'interaction visiophonique afin d'enrichir notre analyse et nous citons à cet effet : (Mondada et Traverso, 2005 ; Vincent, 2012 ; Cappelini, 2014 ; Ibnlkaid, 2015 ; Mondada, 2015). L'article se présente sous trois axes : le premier présente le soubassement théorique, le deuxième donne un aperçu sur la démarche méthodologique adoptée et le dernier constitue l'analyse de trois séquences pré-clôtures et de trois séquences clôtures.

1-Cadre théorique

L'interaction a aujourd'hui acquis un statut d'objet scientifique de plein droit. Plus personne ne s'étonne d'un travail académique sur des échanges ordinaires. Les données naturelles, c'est-à-dire des enregistrements d'activités se déroulant dans leur contexte social de production sans être provoquées par le chercheur, sont reconnues comme objet d'étude de plein droit⁽⁵⁾. Dans notre étude des interactions visiophoniques, l'interaction multimodale par écran est investie dans le continuum de l'ethnométhodologie des conversations quotidiennes. A cet effet, les concepts employés dans ce travail : pré-clôtures, clôtures et désengagement sont mis en lumière dans les lignes suivantes.

1-1-L'ethnométhodologie des conversations quotidiennes

L'analyse conversationnelle se fonde sur l'enregistrement et la retranscription d'interactions naturelles dans des situations variées. Cette base méthodologique se veut être interprétative⁽⁶⁾. L'interaction multimodale avec une perspective ethno-méthodologique conçoit le quotidien comme des réalités sociales préalables, comme des états de fait objectifs, comme des réalités existantes indépendamment de la participation des interactants, mais qui résulte en réalité de leurs productions, de leurs actions et perceptions⁽⁷⁾.

La description et l'interprétation du corpus permettent de comprendre comment les participants à une interaction visiophonique se rendent mutuellement intelligibles de leurs

actions en situation dans le cadre de la linguistique interactionnelle (De Fornel, 1992 ; Traverso, 1999 ; Develotte, 2012 ; Mondada, 2015).

1-2-L'interaction visiophonique comme interaction multimodale par écran

Les interlocuteurs en situation d'interaction visiophonique mobilisent et exploitent les ressources verbale et kinésique pour communiquer⁽⁸⁾. Les pratiques interactionnelles en visiophonie constituent un objet d'étude intéressant et les modalités interactionnelles sont proches de celles du face-à-face, mais aussi de celles téléphoniques⁽⁹⁾. De Fornel (1994) explique à ce sujet que les pratiques et les usages liés aux nouvelles technologies de l'information et de la communication constituent un domaine important pour l'analyse conversationnelle des interactions sociales. Ils apportent une contribution décisive à l'élaboration d'un modèle conversationnel des interactions sociales⁽¹⁰⁾.

La problématique du désengagement dans les pré-clôtures et les clôtures des interactions visiophoniques, au sein du corpus, dont la finalité est d'en comprendre ses modes, implique la mise en lumière des éléments verbaux et kinésiques en interface de l'écran. En 2011, Develotte et une dizaine de chercheurs étudient un corpus de conversations en ligne. Ces contributions sont réunies dans l'ouvrage « Décrire la conversation en ligne : le face-à-face distanciel », ont permis d'examiner le fonctionnement de conversations par visiophonie. Nous nous appuyons également sur les travaux inhérents à l'analyse multimodale des interactions visiophoniques des chercheurs suivants : (De Fornel, 1992 ; De Fornel, 1994 ; Mondada, 2005 ; Traverso, 2012 ; Cappelini, 2014 ; Ibnlkaid, 2016 ; Develotte, 2011, 2012, 2017, 2018).

1-2-1-Pré-clôture et clôture

En ce qui concerne les pré-clôtures, selon Traverso (1996), elles sont régulièrement suivies du développement d'un certain nombre de thèmes. Ce déroulement systématique est dû en grande partie au fait qu'une clôture vite menée laisse supposer que l'on a hâte de partir, que l'on s'ennuie : elles sont donc menaçantes⁽¹¹⁾. Les pré-clôtures sont des stratégies prémisses d'arrangement mutuelle pour une éventuelle close de l'interaction, ils jouent un rôle non-négligeable dans l'atténuation⁽¹²⁾ de menaces de la face⁽¹³⁾. Les clôtures expliquées par Erving Goffman comme des rituels ponctuels qui marquent un changement dans le degré d'accès mutuel. Ces rituels fonctionnent comme activités interactionnelles dont la finalité est la mise en cessation de l'interaction en cours. Dans les conversations face-à-face, les clôtures sont menées par les interactants à travers des stratégies qui visent la préservation mutuelle de la face⁽¹⁴⁾.

1-2-2-La notion du désengagement

Recouvre les signes envoyés mutuellement par les interactants marquant le retrait de l'interaction⁽¹⁵⁾. Le désengagement joue un rôle constitutif dans les séquences pré-clôtures et clôtures des interactions de face-à-face. Cette conduite est observée à l'échelle des tours de parole et des séquences dans l'interaction⁽¹⁶⁾. Dans l'analyse multimodale des interactions, les conduites verbales sont observées en occurrence avec d'autres manifestations mimo-gestuelle et corporelle comme le détournement du regard ou bien l'orientation du corps qui est un « dialecte du désengagement comme le nomme Erving Goffman alimente les mouvements du corps. C'est [...] le jeu subtil des regards, des mimiques, des gestes, des postures [...] »⁽¹⁷⁾.

Par rapport à l'interaction visiophonique, les interlocuteurs doivent observer une conduite de positionnements mutuels devant les objets technologiques pour se manifester mutuellement. Ils sont contraints de rester dans le champ couvert par la caméra et d'adopter une orientation frontale, car « être hors-cadre constitue une forme de désengagement à part entière de l'interaction »⁽¹⁸⁾. Le lieu physico-numérique de l'interaction visiophonique réside en interface de l'écran⁽¹⁹⁾. La préparation de la clôture signifie la préparation de la rupture avec ce même lieu.

2-Cadre méthodologique

Comprendre et rendre compte des modalités du désengagement dans les clôtures des interactions visiophoniques demandent à jumeler une posture descriptive et une autre

interprétative du phénomène interactionnel. L'approche qualitative est adoptée dans ce cas de figure dans le but de cerner les conduites verbales et mimo-gestuelles des interactants lors du retrait des interactions.

Les interactions visiophoniques que nous étudions relèvent du domaine de l'informel. Les participants à notre projet d'étude sont liés à leurs partenaires dans les interactions, par des liens familiaux ou amicaux. La circonscription des interactions dans le cadre familial résulte une réalité interactionnelle pouvant être définie, dans une certaine mesure, comme décontractée⁽²⁰⁾. Nous déroulons à travers l'axe méthodologique les points saillants liés à la réalisation du corpus, c'est-à-dire les procédures éthique et déontologique de la recherche, le choix d'un dispositif communicationnel, l'opération de collecte des données ainsi que leur restitution.

2-1-Éthique et déontologie de l'étude

Afin de réaliser la collecte et le traitement des données à caractère personnel conformément aux exigences éthique et déontologique dans le domaine scientifique, il est question de reconnaître et d'appliquer les procédures en vigueur⁽²¹⁾. Nous avons exécuté deux opérations pour accomplir notre travail conformément à la déontologie du travail scientifique : d'abord le consentement éclairé, ensuite le contrat d'accord.

2-1-1-Le consentement éclairé

C'est une demande d'accord oral à la participation au projet de recherche s'accompagnant d'informations préalables concernant les modalités d'utilisation et de diffusion de données audiovisuelles recueillies.

2-1-2-Le contrat d'accords

Il s'agit d'un document qui régit les relations chercheur /participant signé par les deux parties où il sera mentionné nom, prénom et adresse du participant ; données personnelles précises à collecter ; nature d'utilisation des données personnelles ; transformations apportées aux données personnelles ; diffusion des données à des tiers ; engagement du chercheur au respect de l'intégrité du participant au projet de recherche.

2-2-Dispositif communicationnel et opération de collecte de données

Notre objet d'étude réside dans les pratiques interactionnelles en interface de l'écran. Nous avons donc choisi d'utiliser le dispositif communicationnel ZOOM. Ce dernier remplit tous les critères d'une interaction visiophonique⁽²²⁾ comme il offre également la possibilité d'enregistrement automatique des interactions en interface de l'écran.

Pour la collecte du corpus, il fallait désigner et mettre en application l'outil d'observation approprié. Le but étant la quête d'interactions visiophoniques familières marquées par la spontanéité et l'authenticité autant que possible. Il est question de choisir un mode d'observation non-participatif avec un minimum d'implication de la part du chercheur. Nous avons opté pour l'observation externe désengagée définie comme suit : « Dans le cas de l'observation externe désengagée, l'observateur est étranger au phénomène et reste à l'extérieur pendant toute la durée de l'observation. Il en est seulement le spectateur »⁽²³⁾.

L'opération de collecte de données consiste à demander aux interactants de s'accorder dans le temps pour la réalisation de l'interaction visiophonique. L'espace de l'un des interactants participant à l'interaction visiophonique est choisi par le chercheur. Ce dernier veille à l'enregistrement de l'interaction visiophonique. Il participe à l'amorce de l'enregistrement avant de se retirer dans une pièce voisine attendant la fin de l'interaction. Il doit en suite récupérer le matériel informatique et l'enregistrement du corpus.

2-3-Restitution des données

La restitution des données est l'exercice de transcription du corpus dans le but de le rendre intelligible à raison de l'analyse. L'analyse multimodale dont le but est de rendre compte des conduites verbales, corporelles et mimo-gestuelles en interface de l'écran des interactions visiophonique, implique la mise en place de plusieurs formes de transcriptions. Notons également l'utilisation des interactants dans leurs conversations de l'arabe dialectale, ce qui

demande une opération de translittération du caractère arabe en caractère latin. Nous avons utilisé trois guides de transcription que nous présentons comme suit :

-Guide de transcription verbale : la consultation de la Convention ICOR⁽²⁴⁾, nous a permis de concevoir notre propre guide de transcription qui se base essentiellement sur cette dernière. Toutefois, nous avons procédé à quelques troncations et rajouts en vu d'adapter notre guide aux besoins du corpus et de l'analyse.

-Transcription positionnement corporel, mimogestualité et capture d'écran : l'exercice est basé sur les conventions de transcription des gestes version 2.0.7⁽²⁵⁾ pour son auteur Mondada qui sont conçues pour décrire des gestes, des mouvements, des actions ayant lieu de manière simultanée à la parole ou durant des moments d'absence de parole. Par commodité, on fera référence à ces actions comme à des gestes.

-Translittération du caractère arabe en caractère latin : nous avons, à partir des normes ISO 233-2, (1993) Partie 2⁽²⁶⁾ de translittération du caractère arabe en caractère latin, conçu notre propre guide de translittération des caractères de la langue arabe dialectal. Dans cette perspective, nous avons pris en considération les graphies maghrébines.

3-Analyse du corpus et résultats

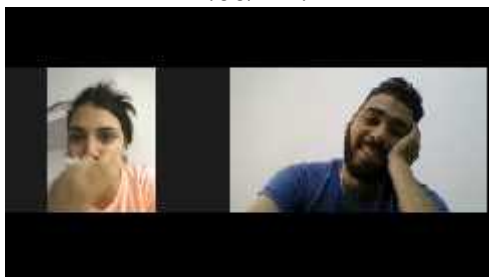
Rendre compte des modalités du désengagement dans les pré-clôtures et les clôtures dans le corpus d'études est une activité qui s'accomplit par le biais d'une description corrélée d'une interprétation des conduites interactionnelles auxquelles se livrent les interactants. Avant chaque analyse de séquence, nous présentons les constituants du corpus ainsi que les partenaires de l'interaction. Les captures d'écran sont identifiées chronologiquement et numériquement. Les partenaires de l'interaction sont présentés quant aux variables de l'âge, la profession s'il y a lieu, le lieu de résidence, la situation sociale ainsi que le type de familiarité qui régit leur relation sociale. Le segment du corpus oral transcrit est précédé de l'identifiant de l'interaction visiophonique qui présente les informations suivantes : numéro du corpus, identifiants des interactants, date et heure de l'enregistrement et enfin la durée de l'interaction.

3-1-Les séquences pré-clôtures

3-1-1-SAL et NEL:

Se constitue de trois captures d'écran (Im2, Im4, Im5) et d'un segment verbal du corpus numéro 1 entre frère et sœur. SAL est un jeune étudiant de vingt-trois ans qui vit en Algérie. NEL est la demi-sœur de SAL. Elle est âgée de trente ans et habite en France. Elle est mariée, mère de deux enfants et travaille comme secrétaire dans un institut privé. La durée de cette interaction est de 49 minutes et 15 secondes.

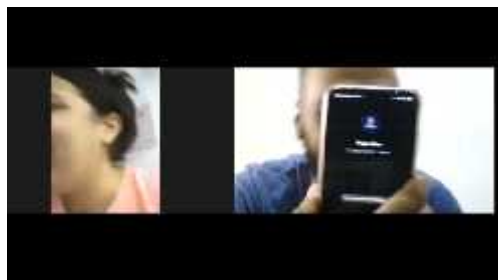
47:00/ Im.2



47:07/ Im.4



47:28/ Im.5



[(INT. VIS. 1) NEL et SAL, D. 11 MAI 2020, H.13h26, DU. 49m 15s]

- 46:53 432NEL a la la la la:://et là du coup tu vas aller le voir encore ?
- 46:56 433SAL ouais/ \ani rayeh/balek nrouh dork\ (J'y vais, peut être que j'y vais maintenant) déjà
- 47:00 434NEL /moi aussi j`vais aller faire mes
s j`vais mettre mes
masques ١٥----١ /// mes gants ((rire)) »
- 47:02 435SAL ((rire)) ah:: lazem [(((???))]/ \âandek âa rouhek !\ (Fait attention à toi !) +fais attention à toi ! *ô----**ô----*>>
- 47:04 436NEL ah ouais+ouais+ouais/j`vais tout mettre ١٥----١
- 47:08 437SAL tous tes précautions hein [ah ouais]/je te jure hein/[(((???))] [(((???))]
- 47:14 438NEL pas toi/nissa des fois e`me dit
((trop?)) j`dis no+no [(((???))]
- 47:16 439SAL j`te jure/t`as raison/ \wallah\ (Je te
t`as raison[(((???))]/ah:: regarde
papa qui m'appelle*ô--*
ô--١
- 47:33 440NEL ah:: ey:: tu-tu as trop tardé ((rire))
- 47:34 441SAL aya yay ((rire)) [(((rire)))] [(((???))] [(((???))]

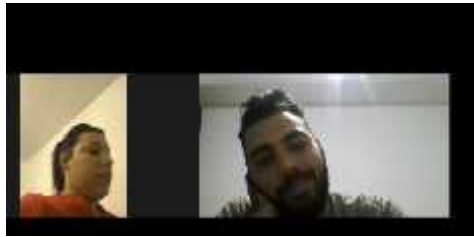
La locutrice 432NEL demande à SAL s'il va devoir partir et clôturer l'interaction : et là, du coup, tu vas aller le voir encore ? 433SAL annonce son départ et donc son retrait de l'interaction : J'y vais, peut être que j'y vais maintenant. Il ouvre ainsi la voie à 434NEL pour déclarer sa démission de l'interaction. L'énoncé verbal de 434NEL est chevauché de gestes illustratifs montrant qu'elle va se munir de masques et de gants pour se protéger du covid 19 (Im.2). 435SAL demande à la locutrice en face de l'écran de prendre ses précautions. Il lui manifeste son attention en réitérant sa demande par deux énoncés successifs, en adoptant une position relâchée, la main sous la tête (Im.3). Les interactants gardent le sourire jusqu'à la fin de la séquence. 436NEL rassure SAL par répétitions d'affirmations : ouais+ouais+ouais/j`vais tout mettre. 437SAL, réitère son attention à sa partenaire dans l'interaction alors que cette dernière détourne le regard et change de position (Im.4). 438NEL reprend le cours de la discussion en développant le thème des précautions à prendre face à la pandémie covid19. 439SAL lui indique et lui montre en interface de l'écran l'appel reçu affirmant ainsi qu'il va devoir quitter la discussion. NEL, une fois encore se détourne de l'interface de l'écran et regarde ailleurs (Im.5). Les sourires mutuels en interface de l'écran se prolongent tout au long de la séquence pré-clôture.

3-1-2-SAL et NIS :

Elle se constitue de deux captures d'écran (Im1, Im3) et d'un segment verbal du corpus numéro 2 entre frère et sœur. NIS est la demi-sœur de SAL, elle est âgée de trente et un ans et

habite en France. Elle est mariée, mère de deux enfants et travaille comme chef caissière dans une grande surface. L'interaction a duré 41 minutes et 41 secondes.

41:01/ Im.1



41:13/ Im.3



[(INT. VIS. 2), NIS et SAL, D.14 MAI 2020, H. 23h22, Du. 41m 41s]

- 40:55 381NIS en fin:: [((???)]) j'ai très sommeil j'vais aller dormi:r = ò-----=
- 40:59 382SAL \ay beyna âlik/beyna khlah ak fi ħala\ (Ça se voit que tu es très fatiguée) (2s) *ò----*>>
- 41:03 383NIS c'est vrai:: ?
- 41:04 384SAL \wallah beyna âlik men âaynik am hak markhoufin fi ħala ħaymoutou \akka\ (Comme ça) ħa ymoutou//ħa ytiħou\ (Je te jure que ça se voit que tu es très fatiguée, tes yeux vont se fermer) ((rire)) *ò----*
- 41:09 385NIS ah ouais: parc'que:: j'ai dormi très tard hier soi:r/et mon fils s'est réveillé la nuit::
- 41:15 386SAL ah ah \ouskti bark âambali mâa tfol zghir/meskin wallah ak tchoufi !\ (Je sais que c'est difficile avec le petit, je te jure, tu vois !)

381NIS énonce qu'elle a sommeil et qu'elle va aller dormir, en même temps, elle détourne le regard de l'interface de l'écran. Cette attitude (éviter le contact des yeux) semble marquer le début de désengagement de l'interaction. 382SAL lui répond que ça se voit qu'elle est très fatiguée en se rapprochant de l'écran. 383NIS lui demande si c'est vrai et 384SAL réitère son énoncé : ça se voit que tu es très fatiguée, tes yeux vont se fermer. Aussi, par des gestes illustratifs, il met ses deux mains à l'extrémité de chaque œil et il montre à sa partenaire en interface de l'écran, comment lui apparaissent ses yeux. La conversation est lancée et un nouveau thème concernant la raison de la fatigue de 385NIS est entamé.

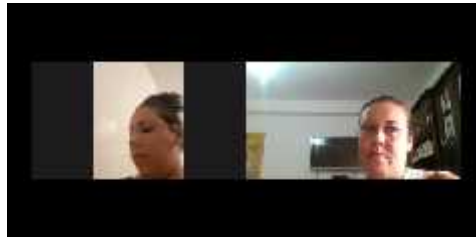
3-1-3-FAT et NIS:

Se constitue de quatre captures d'écran (Im1, Im2, Im4, Im5) et d'un segment verbal du corpus numéro 3 entre FAT et NIS. FAT est une proche de la famille de NIS, elle est âgée de trente-six ans, mariée et mère de deux enfants, habite en Algérie et sans emploi. L'interaction a duré 36 minutes et 55 secondes.

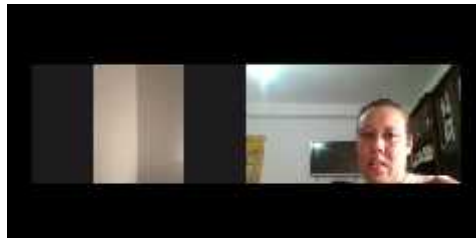
35:09/ Im.1



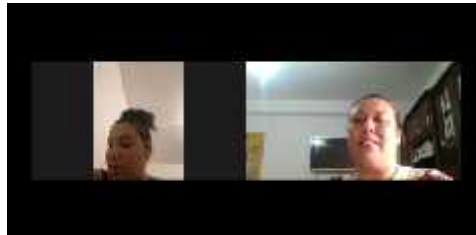
35:10/ Im.2



35:15/ Im.4



35:21/ Im.5



[(INT. VIS. 3), NIS et FAT, D. 20 /09/2020, H. 16h09, Du. 36m 55s]

- 35:07 ³⁰⁴NIS \chargeur teâi:: mayemchich\ (Mon chargeur ne fonctionne pas)/mon téléphone il va s'éteindre =ô----=
 35:11 ³⁰⁵FAT Emmm ±ô----±
 35:16 ³⁰⁶NIS si ça coupe \aw téléphone teâi faddet lbatterie\ (cela veut dire que la batterie est consommée) =ô----=
 35:18 ³⁰⁷FAT \eh:: heh\ (Oui) ±ô----±
 35:20 ³⁰⁸NIS \eh:: lmouhi::m//wrajlek ça va ? aw yakhdem euh ?\ (Oui, l'essentiel est ce que ton marie travaille ?) =ô----=
 35:24 ³⁰⁹FAT \wallah ça va::yakhdem eh+yakhdem /wallah lhamdoulleh//wallah haw bien//hana fi blasa hana://nessena waqtah nhawe::l//hatta anaya âtawni soukna::/ /nessena waqteh nhawel\ (Je te jure que ça va. Il travaille oui. Je remercie Dieu. J'ai bénéficié d'un logement et j'attends le déménagement) ±ô----
 ±>>

³⁰⁴NIS se réfère à un problème de chargeur : Mon chargeur ne fonctionne pas/mon téléphone il va s'éteindre. En même temps, elle détourne le regard de l'interface de l'écran et

regarde ailleurs. Cela marque le début du désengagement de l'interaction. ³⁰⁵FAT semble contrariée, d'abord son expression mimique (crispée), mais aussi son énoncé : Emmm ; ces deux aspects expressifs de FAT indiquent qu'elle est gênée. Nous estimons à partir de ces données que FAT semble ne pas croire à la version de NIS (problème du chargeur). L'énoncé de ³⁰⁶NIS confirme notre interprétation ; dans cet énoncé, elle se justifie et affirme que s'il y a interruption de l'interaction, c'est parce que la batterie du téléphone est consommée. ³⁰⁷FAT semble satisfaite de la justification avancée par la locutrice en face de l'écran et son expression mimique est moins crispée. La discussion reprend, ³⁰⁸NIS demande des nouvelles du mari de FAT, elle manifeste de l'intérêt à propos de sa situation financière alors qu'elle n'est plus visible en interface de l'écran (NIS est hors champs de la caméra). ³⁰⁹FAT retrouve une expression souriante, elle répond à la question de NIS et continue à développer la discussion sur un nouveau thème.

3-2-Les séquences clôtures

3-2-1-SAL et NEL :

Se constitue de deux captures d'écran (Im1, Im2) et d'un segment verbal du corpus numéro 1 entre SAL et NEL.

48:50/ Im.1



48:58/ Im.2



[(INT. VIS. 1) NEL et SAL, D. 11 MAI 2020, H.13h26, Du. 49m 15s]

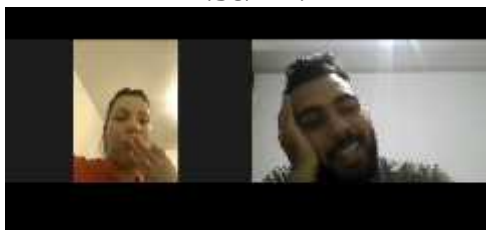
- 48:57 ⁴⁵³SAL \aya [((??))] mella nkhal+k-nkhalik ana âandek âa rouhek [ça va toi] yaser ou:: bousilna wledek mouh yaser-yaser-yaser\ (Donc, je te laisse, fais attention à toi. Beaucoup de bisous pour les enfants)
- 49:05 ⁴⁵⁴NEL ça sera fait merci:://toi aussi fait attention à toi::
- 49:07 ⁴⁵⁵SAL ((rire)) [((rire))] \ou athallay fi rajlek/aw lazem ani wellit kima papa ça y est/âout nasayeh taâou zaâma zaâma\ (Fait attention à ton mari, c'est obligé, je deviens comme papa ça y est)
- 49:07 ⁴⁵⁶NEL toi aussi fais attention à toi::/et BON COURAGE SURTOUT ! ((rire)) »
- 49:09 ⁴⁵⁷SAL merci:: \wallah\ (Je te jure) merci/// \aw nzidou nahdrou/nzidou nahkiw\ (On se parlera encore une fois)
- 49:10 ⁴⁵⁸NEL y a pas d'soucis:: toi aussi//tchaou tchaou/bisous::
- 49:13 ⁴⁵⁹SAL \saħa+saħa\ (Merci)
- 49:14 ⁴⁶⁰NEL bay:
- 49:15 ⁴⁶¹SAL bay::

⁴⁵³SAL amorce la clôture et annonce son retrait de l'interaction verbalement. A travers cet énoncé, SAL montre son attention à NEL et à ses enfants en leur offrant des bisous. La locution verbale est entrecoupée d'illustrations vocale et gestuelle qui miment le son du baiser moyennant l'action vocale ((mouah)) et l'illustration gestuelle de la main portée à la bouche. Ce dernier geste se transforme en un geste de salutation finale. ⁴⁵⁴NEL rassure son interlocuteur et le remercie pour l'attention portée à son égard, ainsi, par mimétisme et en montrant de l'intérêt à la personne en interface de l'écran, elle emploie le même énoncé de SAL : toi aussi, fait attention à toi. Dans une ambiance conviviale de rires partagés par les deux partenaires de l'interaction, ⁴⁵⁵SAL demande à NEL de faire attention à son mari. ⁴⁵⁶NEL, réitère son attention à l'égard de l'interlocuteur en interface de l'écran : toi aussi fais attention à toi. La locution souhait, énoncé dans un ton perceptible indique l'attention portée à l'égard du locuteur en face qui est liée à un sujet développé dans la discussion et évoqué dans la pré-clôture de l'interaction : BON COURAGE SURTOUT ! ((rire)). ⁴⁵⁷SAL la remercie en alternant la répétition des remerciements et expression d'attention. Il aborde également le projet de converser dans le futur en rassurant NEL sur sa disponibilité pour une nouvelle discussion. ⁴⁵⁸NEL exprime son accord à son partenaire dans l'interaction concernant une prochaine discussion et énonce la locution de la clôture finale tchaou+tchaou/bisous et ⁴⁵⁹SAL la remercie. ⁴⁶⁰NEL et ⁴⁶¹SAL, se renvoient les locutions de clôture finale. Déconnexion, l'interaction est close.

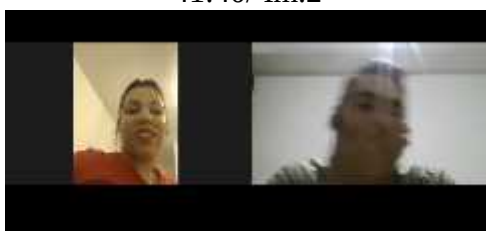
3-2-2-SAL et NIS :

Se constitue de deux captures d'écran (Im1, Im2) et segment verbal du corpus numéro 2 entre SAL et NIS.

41:38/ Im.1



41:40/ Im.2



[(INT. VIS. 2), NIS et SAL, D.14 MAI 2020, H. 23h22, Du. 41m 41s]

40 :20

- | | | |
|-------|--------------------|--|
| | ³⁸⁹ NIS | mais euh//on s`appelle demain |
| 41:22 | ³⁹⁰ SAL | Aya::/bonne nuit |
| 41:24 | ³⁹¹ NIS | aller ça va+ça va/ça marche [((??)) ((??))] |
| 41:28 | ³⁹² SAL | Aya::/bonne nuit |
| 41:29 | ³⁹³ NIS | toi aussi:/reposes toi \âomri:\ (Chéri) |
| 41:30 | ³⁹⁴ SAL | \ah selmili âa weldek ya::ser+ ya::ser//wselmili âa rajlek yaser+ yaser\ (Beaucoup de bisous pour les enfants et ton mari) |
| 41:34 | ³⁹⁵ NIS | ça sera fait/ \raby yâaychek\ (Que dieu te garde) |
| 41:36 | ³⁹⁶ SAL | aya bonne nuit/ \âandek âa rouhek\ (Fais attention à toi) |
| 41:38 | ³⁹⁷ NIS | \saha âomri:\ (Bay chéri) ((mouah, son de bisous)) =ò--= |
| 41:40 | ³⁹⁸ SAL | \yaser+yaser\ (Beaucoup) ((mouah, son de bisous)) *ò--* |

41:41 ³⁹⁹NIS yâaychek saha âomri:/saha (Que dieu te garde. Bay chérie)

³⁸⁹NIS amorce la fin de l'interaction et négocie le projet d'une prochaine discussion avec SAL en lui demandant s'ils se rappellent le lendemain : mais euh//on s'appelle demain ?³⁹⁰SAL la rassure par assertion en répétant la locution bien sûr : bien sûr+bien sûr/on s'appelle demain. S'en suit une autre assertion de la part de³⁹¹NIS : aller ça va+ça va/ça marche. Les deux partenaires de l'interaction se renvoient les souhaits de bonne nuit, d'abord, de la part de ³⁹²SAL, puis de la part de ³⁹³NIS.³⁹⁴SAL demande à NIS de saluer de sa part son mari et ses enfants en répétant à chaque salutation la locution beaucoup : beaucoup de bisous pour les enfants et ton mari.³⁹⁵NIS le rassure et exprime son attention à son égard en lui souhaitant la sauvegarde : Que Dieu te garde.³⁹⁶SAL revient au souhait de bonne nuit pour annoncer la fin imminente de l'interaction, il manifeste son attention à l'égard de sa partenaire de discussion, en lui demandant de faire attention à sa personne : Fais attention à toi. ³⁹⁷NIS et ³⁹⁸SAL se renvoient des illustrations vocalo-gestuelles de baisers partagés en interface de l'écran dans les images (Im.1 et Im.2) et les salutations de fin de l'interaction : Bay chéri. ³⁹⁹NIS émet un souhait de sauvegarde à l'égard de SAL avant la scission mutuelle de l'interaction: Que dieu te garde. Bay chérie. Déconnexion.

3-2-3-KAR et NEL:

Se constitue de trois captures d'écran (Im1, Im3, Im6) et d'un segment verbal du corpus numéro 5 entre KAR et NEL. KAR est une amie de la famille de NEL, elle est âgée de quarante-deux ans, divorcée et mère de trois jeunes personnes, habite en Algérie et travaille comme agent de saisie dans un institut étatique. L'interaction a duré 33 minutes et 52 secondes.

33:05/ Im.1



33:08/ Im.3



33:10/ Im.6



[(INT. VIS. 5) NEL et KAR, D. 11/09/2021, H. 20h45, Du. 33m 52s]

32:23 ³⁶⁰KAR Ouais si elle passe euh euh euh/// \wech esmha ?\ (comment elle s'appelle ?)//euh euh euh (2s) NIS:: (2s) tu lui passe le bonjour hein::

- | | | | |
|-------|-----|-----|---|
| 32:31 | 361 | NEL | Ah:::/ça sera fait///merci beaucoup [tu lui passe le bonjour de ma part ouais::/ hein...] ///ah::: >>⊥ô----⊥>> |
| 32:36 | 362 | KAR | Et tu fais DES GROS BISOUS pour les petits::///pour nayla euh ((rire)) |
| 32:41 | 363 | NEL | Ça sera fait//merci beaucoup//c'est gentille:: [((???))] merci::: |
| 32:43 | 364 | KAR | ((???)) Je pense que je vais te laisser::///je vais:://rejoindre euh// fadi::la euh ((rire))//dans la cuisine euh [ah:::...]] |
| 32:52 | 365 | NEL | ...Ah ((???)) j'vais aller faire à manger::: ((rire)) |
| 32:56 | 366 | KAR | Oh ouais nchallah |
| 32:58 | 367 | NEL | Bon///nchallah à bientôt/j'espère::: [nchallah...] ((rire)) |
| 33:00 | 368 | KAR | ...Ouais::: c'est pour bientôt///nchallah ouais:: |
| 33:03 | 369 | NEL | ET BONNE APPETIT::: ((rire)) |
| 33:05 | 370 | KAR | MERCI bisous+bisous+bisous+bisous ((rire)) ≈ò--≈ ≈ò--≈ |
| 33:08 | 371 | NEL | Bisous+bisous à tout le mon:::de tchaou+tchaou merci::: ((rire)) ⊥ò-
⊥ |
| 33:10 | 372 | KAR | Bye ≈õ--≈ |

La close de l'interaction est amorcée à partir de la trente deuxième minute de la conversation. C'est l'énoncé de ³⁶⁰KAR qui déclenche l'aboutissement de l'interaction à sa fin en demandant à NEL de passer le bonjour à NIS. ³⁶¹NEL comprend l'intention de KAR, affiche un large sourire réconfortant sa partenaire qui réitère sa demande. ³⁶²KAR demande à NEL de faire de gros bisous aux petits (les enfants de NEL) et elle montre ainsi son attention à l'égard des membres proches de la famille de NEL. ³⁶³NEL la remercie pour sa bienveillance. ³⁶⁴KAR annonce son retrait franc et ³⁶⁵NEL répond de même, chacune d'elles déclare à l'autre son besoin de se retirer de l'interaction pour réaliser d'autres activités. ³⁶⁷NEL énonce le projet de discussion prochaine et ³⁶⁸KAR répond de même. ³⁷⁰KAR et ³⁷¹NEL se renvoient des illustrations gestuelles de baisers partagés en interface de l'écran et des salutations de mains dans les images (Im.1 et Im.3). Ces illustrations gestuelles de baisers sont chevauchées d'amplification verbale par répétition bisous+bisous +bisous+bisous. Le sourire des interactants est manifeste durant toute la séquence. Nous remarquons dans l'image (Im.6) que ³⁷²KAR se retire du champ de la caméra annonçant son désengagement corporelle de l'interaction. Déconnexion de NEL.

Conclusion

L'investigation du corpus a montré que dans les pré-clôtures des interactions visiophoniques, les modalités verbales et mimo-gestuelles du désengagement se présentent dans un ordre de complétude interactionnelle⁽²⁷⁾. Cette dernière, se déploie à travers un double accord entre interactants suivant un processus en trois temps. D'abord, une initiative opérée par l'un des interactants, sous forme de motif de retrait de l'interaction. S'en suit une réaction de la part de l'interlocuteur en face. Les deux phases précédentes sont accomplies par un accord mutuel. Une fois l'accord concernant la fin proche de l'interaction conclue, les partenaires de l'interaction ouvrent la discussion sur un nouveau thème en l'attente d'une éventuelle clôture. L'intelligibilité du sens des modalités du retrait de l'interaction visiophonique dans les séquences pré-clôtures est illustrée dans le tableau suivant :

Modalité	Motif	Réaction	Accord
verbale	-et là du coup tu vas aller le voir encore ? -J'y vais, peut- être que j'y vais maintenant -mon père m'appelle, je vais devoir partir	-Ça se voit que tu es très fatiguée -c'est vrai ? -Je te jure que ça se voit que tu es très fatiguée, tes yeux vont se fermer	-ça va moi aussi j'vais aller faire mes courses -j'te jure j'vais t'laisser aller là si tu veux

	-regarde c'est papa qui m'appelle	-j'ai dormi très tard hier soir	
corporelle	Orientation du corps		Orientation du corps
mimique	Sourire	Sourie	Sourire
gestuelle	Monstration à l'écran	Illustration gestuelle	

Les interactants au stade de la pré-clôture négocient la fin de l'interaction à travers diverses modalités. La livraison du motif verbal constitue l'amorce de la pré-clôture et elle est accompagnée de détournement de regard et d'une orientation du corps à droite ou à gauche ou même d'un retrait de l'espace physico-numérique de l'interaction. Nous estimons que ces conduites sont liées au risque d'atteinte de la face. Le locuteur qui énonce le motif anticipe la réaction de l'interlocuteur en face et évite le contact visuel. Une fois le motif lancé, les partenaires de l'interaction se livrent à une négociation à travers la justification du « devoir partir » qui se conclue par un accord mutuel. Le sourire des interactants est omniprésent dans les séquences pré-clôture. Cette conduite vise l'atténuation liée au risque d'atteinte à la face. Les gestes d'illustration déictique ou de monstration servent comme support dans la négociation des accords⁽²⁸⁾.

Comme pour les séquences de pré-clôtures, les modalités du désengagement de l'interaction visiophonique dans les séquences clôtures se présentent dans un ordre de complétude interactionnelle. Les interactants gèrent les séquences clôtures à travers un processus en quatre temps : d'abord le « au revoir », en suite le renforcement des liens, puis, la planification du projet et enfin la présentation des salutations finales. La fin de l'interaction est concrétisée par la déconnexion des deux parties ou par le retrait d'une partie de l'espace physico-numérique et la déconnexion de l'autre partie. Le processus et les modalités du désengagement de l'interaction visiophonique dans les séquences clôtures sont présentés dans le tableau suivant :

Modalités	Au revoir	Renforcement des liens	Projet de conversation	Salutations finales
verbale	-Je pense que je vais te laisser -j'vais aller faire à manger	-tu lui passes le bonjour -Et tu fais DES GROS BISOUS pour les petits -merci beaucoup//c'est gentil:	nchallah à bientôt /j'espère -Ouais:: c'est pour bientôt///nchallah ouais::	-tchaou-tchaou -bay
Corporelle				Retrait de l'espace physico-numérique
Mimique	Sourire	Sourire	Sourire	Sourire
Gestuelle		Illustration gestuelle		Illustration gestuelle

Dans les séquences clôtures, l'un des deux partenaires de l'interaction initie l'achèvement de cette dernière par l'annonce du départ. S'en suit une phase de renforcement des liens où les interactants se livrent à des conduites verbales et mimo-gestuelles d'attention portée aux égards de l'un à l'autre et vice-versa. Les demandes de faire attention à soi et de faire des bisous aux membres proches de la famille sont chevauchées d'illustrations mimo-gestuelles de baisers à l'intention des membres proches de la famille. Nous avons observé une amplification liée à cette conduite par réitération, répétition et ton saillant. Les interactants s'accordent sur le projet de discussion future s'assurant que la close de l'interaction en cours est une fin temporaire et qu'une conversation est prévue dans le futur. Cette conduite « le

projet » ⁽²⁹⁾ sert aux partenaires de l'interaction comme stratégie d'atténuation afin de ménager leurs faces quant à la rupture de l'interaction. Avant la déconnexion de l'espace physiquo-numérique, les interactants accomplissent le rituel de salutation finale verbalement et par illustrations vocalo-gestuelles de baisers renvoyés ainsi que d'illustrations gestuelles de salutation de la main. Le sourire est l'expression mimique des interactants pendant les quatre phases de la clôture. La déconnexion constitue la cessation de l'activité interactionnelle à l'exception de la troisième séquence où le retrait corporel de l'espace physiquo-numérique de l'un des interactants est l'indicateur de la clôture de l'interaction.

Références

- 1-Michel De Fornel, Alors tu me vois ? Objet technique et cadre interactionnel dans la pratique visiophonique, Culture technique, pp. 113-120, 1992. P.114.
- 2-Bruno Bonu, Connexion continue et interaction ouverte en réunion visiophonique, Réseaux, pp. 25-57, 2007. P.26.
- 3-Les contraintes rituelles et systémiques sont des notions goffmaniennes mobilisés par Michel De Fornel dans la page 38 de son article « Le cadre interactionnel de l'échange visiophonique, Réseaux n°29, pp. 33-46, 1994 ». Les contraintes rituelles dans l'interaction visiophonique se rapportent aux exigences liées à l'aspect relationnel entre les participants (les attentes mutuelles quant à la réussite de l'interaction). Alors que les contraintes systémiques sont inhérentes aux fonctionnalités de l'objet technique, par exemple l'accès à la voix et à l'image de l'interlocuteur.
- 4-Les ressources multimodales sont les moyens mobilisées par les participants à l'interaction visiophonique dans la construction du sens (la verbalisation, la gestualité, la mimique, le positionnement corporel, etc.)
- 5-Véronique Traverso, Analyses interactionnelles : repères, questions saillantes et évolution. Armand Colin n°175, pp. 3-17, 2012. P.3.
- 6-Erving Goffman, (1973a), *La mise en scène de la vie quotidienne, La présentation de soi*, le sens commun, Minuit, Paris. P.29.
- 7-Ibid., P.25.
- 8-Christine Develotte, L'analyse des corpus multimodaux en ligne : état des lieux et perspectives. Congrès mondial de linguistique française, France, 2012.
- 9-Michel De Fornel, Alors tu me vois ? Objet technique et cadre interactionnel dans la pratique visiophonique, Culture technique, pp. 113-120, 1992. P.119.
- 10-Michel De Fornel, Le cadre interactionnel de l'échange visiophonique, Réseaux n°64, pp. 107-132, 1994. P.128.
- 11-La menace dans l'activité interactionnelle est liée au risque d'atteinte à la face. Le concept de face est expliqué dans la note numéro 13.
- 12-Les stratégies d'atténuation sont des conduites interactionnelles liées au risque d'atteinte de la face et servent à la ménager. Selon Goffman la situation interactionnelle implique des stratégies sans cesse mobilisées par les interactants dans le but est de préserver la face d'éventuelles atteintes. Dans : Catherine Kerbrat-Orecchioni, (2005), *Le Discours-en-interaction*, Armand Colin, Paris. P.216.
- 13-Concept goffmanien qui désigne l'identité réciproque (moi et l'autre) revendiquée dans une situation interactionnelle. Il s'agit de se conduire conformément aux normes de la société qui expriment ce que c'est que de se conduire correctement dans telle ou telle situation. La notion de face implique le respect en situation interactionnelle, ainsi les interactants œuvrent sans cessent quant à sa préservation.
- 14- Erving Goffman, (1998), *Les rites de l'interaction*, Le sens commun, Paris, Minuit. P.151.
- 15- Erving Goffman, (1973b), *La mise en scène de la vie quotidienne, La présentation de soi*, le sens commun, Minuit, Paris. P.116.
- 16-Emanuel Schgloff, Harvey Sacks, Ouvertures et clôtures. Semiotica n°8, pp. 289-327, 1973. P.311.
- 17-David Le Breton, (2013), *L'Interactionnisme symbolique*, PUF, Paris. P.48.
- 18-Michel De Fornel, Le cadre interactionnel de l'échange visiophonique, Réseaux n°64, pp. 107-132, 1994. P.113.
- 19-C'est Samira Ibnlkaid qui a utilisé ce concept pour la première fois dans sa thèse (voir bibliographie) qui renvoie à la définition de l'interface de l'écran comme espace interactionnel déterminé et régité par la technologie.

20-Véronique Traverso, (1996), Thèse de doctorat, La Conversation familière. Analyse pragmatique des interactions, Linguistique et sémiologie, Presses Universitaires de Lyon, Lyon, France.

21-Articles 1 et 2 des réglementations de GRBN et ESOMAR, (2015). Disponible sur : <https://www.esomar.org/uploads/public/knowledge-and-standards/codes-and-guidelines/> Consulté le 19 juin 2020.

22- Pour appréhender le dispositif communicationnel et les techniques d'enregistrement dans les meilleures conditions possibles, il fallait revenir à la définition de l'interaction visiophonique. Une interaction visiophonique, selon la définition De Fornel (1992) remplit les trois critères suivants : premièrement, un dispositif sur web qui offre la possibilité de se connecter sur internet. Deuxièmement, un matériel technologique qui comporte des arrangements techniques permettant l'interaction audio-visuelle à distance. Troisièmement, deux ou plusieurs personnes ayant la possibilité d'interagir de manière synchrone, c'est-à-dire en même temps.

23-Jean-Luis Del Bayle, (2000), *Initiation des méthodes des sciences sociales*, L'Harmatan, Paris. P.64.

24- ICOR, (2013), Groupe ICOR UMR 5191 ICAR (CNRS- Lyon2- ENS de Lyon). Disponible sur : http://icar.cnrs.fr/projets/corinte/documents/2013_Conv_ICOR_250313. Consulté le 13 février 2020.

25- Lorenzo Mondada, 2008, Convention de transcription de gestes (version 2.0.7, avr08). @univ-lyon2.fr. Disponible sur : http://icar.cnrs.fr/projets/corinte/documents/convention_transcription_multimodale. Consulté le 15 mars 2020.

26-ISO 233-2, (1993), Translittération de l'arabe, I. 2.-2. (2010). Disponible sur : http://guideducatalogue.bnf.fr/abn/GPC.nsf/gpc_page?openform&type_page=fiche&unid=C00F8804C7C3E372C12576A8002BED96. Consulté le 15 février 2020.

27-La notion de complétude est prise dans cet article dans l'option de la vision inhérente à la construction du sens dans les interactions sociales. L'intelligibilité mutuelle des modalités interactionnelles mobilisées par les acteurs des séquences pré-clôtures et clôtures donnent lieu à un double accord concernant la cessation de l'activité interactionnelle en cours. Dans : Claude Germain, Analyse conversationnelle et structure hiérarchique d'une leçon de langue étrangère, Les Carnets du Cediscor, 2, pp. 17-26, 1994.

28- Jaques Cosnier, Les gestes du dialogue, la communication état du savoir, Sciences humaines et sociales, pp. 119-128, 2008. P.121.

29-Le concept a été élaboré pour la première fois par Véronique Traverso dans sa thèse (voir bibliographie). Il désigne les arrangements suscités par la situation menaçante lors de la clôture. Les interactants en préparant la cessation de l'activité interactionnelle en cours s'accordent sur une interaction future.

Bibliographie

• Livres :

Catherine Kerbrat-Orecchioni, (2005), *Le Discours-en-interaction*. Armand Colin, Paris.

Christine Develotte, Richard Kern, Marie-Noëlle Lamy, (2011), *Décrire la conversation en ligne, le face à face distanciel*. ENS, Lyon.

David Le Breton, (2013), *L'Interactionnisme symbolique*. PUF, Paris.

Erving Goffman, (1973a), *La mise en scène de la vie quotidienne, La présentation de soi*. Le sens commun, Minuit, Paris.

Erving Goffman, (1973b), *La mise en scène de la vie quotidienne, Les relations en public*. Le sens commun, Minuit, Paris.

Erving Goffman, (1998), *Les rites de l'interaction*. Le sens commun, Minuit, Paris.

Jean-Luis Del Bayle, (2000), *Initiation aux méthodes des sciences sociales*. L'Harmatan, Paris.

Véronique Traverso, (1999), *L'analyse des conversations*. Nathan, Paris.

• Thèses :

Marco Cappellini, (2014), Modélisation systémique des étayages dans un environnement télé tandem pour le français et le chinois langues étrangères: une étude interactionniste et écologique du soutien au développement de la compétence de communication. Linguistique, Université Lille 3 SHS, France.

Samira Ibnkaid, (2016), Identité et altérité par écran: modalité de l'intersubjectivité en interaction numérique. Linguistique, Université lumière Lyon, France.

Caroline Vincent, (2012), Interactions pédagogiques fortement multimodales en ligne : le cas de tuteurs en formation, Sciences du langage, Ecole normale supérieure de Lyon ENS Lyon, France.

Véronique Traverso, (1996), *La Conversation familière. Analyse pragmatique des interactions. Linguistique et sémiologie*, Presses Universitaires de Lyon, Lyon, France.

• **Articles :**

Bruno Bonu , Connexion continue et interaction ouverte en réunion visiophonique. *Réseaux*, pp. 25-57, 2007.

Christine Develotte, Samira Drissi, Face à face distanciel et didactique des langues; recherches et applications. *Le français dans le monde*, pp. 54-63, 2013.

Christine Develotte, IMPEC De Décrire la conversation (1987) à Décrire la conversation en ligne (2011) et après; évolution de la recherche en linguistique et didactique, apport de l'analyse des interactions et de la linguistique de corpus. Lambert Lucas, pp. 119-136, 2017.

Christine Develotte, Un dispositif d'études de la téléprésence dans un séminaire doctoral: l'atelier exploratoire, présences numériques. Rinaudo, la téléprésence en formation, ISTE, pp. 171-193, 2018.

Christian Licoppe, Nicolas Rollet, (2020). Je dois y aller : Analyses de séquences de clôtures entre humains et robots. *Réseaux* n°2-3, pp. 151-193, 2020.

Claude Germain, Analyse conversationnelle et structure hiérarchique d'une leçon de langue étrangère, *Les Carnets du Cediscor*, 2, pp. 17-26, 1994.

Emanuel Schgloff, Harvey Sacks, Ouvertures et clôtures. *Semiotica* n°8, pp. 289-327, 1973.

Jaques Cosnier, Les gestes du dialogue, la communication état du savoir. *Sciences humaines et sociales*, pp. 129-138, 2008.

Lorenzo Mondada, Ouverture et pré-ouverture des réunions visiophoniques. *Réseaux* n°194, pp. 39-84, 2015.

Lorenzo Mondada, (Dés) alignements en clôture : une étude interactionnelle de corpus de français parlé en interaction. *Linguistique et didactique des langues*, pp. 35-59, 2005.

Lorenzo Mondada, L'analyse de collections de phénomènes multimodaux en linguistique interactionnelle : à propos de l'organisation systématique de ressources gestuelles début de tour. *Cahiers de praxématique* n°50, pp. 21-66, 2008.

Michel De Fornel, Alors tu me vois ? Objet technique et cadre interactionnel dans la pratique visiophonique. *Culture technique*, pp. 113-120, 1992.

Michel De Fornel, Le cadre interactionnel de l'échange visiophonique. *Réseaux* n°64 , pp. 107-132, 1994.

Marc Relieu, Les usages des TIC en situation naturelle : une approche ethnométhodologique de l'hybridation des espaces d'activité. *Intellectica* , pp. 139-162, 2006.

Véronique Traverso, Analyses interactionnelles : repères, questions saillantes et évolution. *Armand Colin* n°175, pp. 3-17, 2012.

• **Contribution:**

Christine Develotte, L'analyse des corpus multimodaux en ligne : état des lieux et perspectives. Congrès mondial de linguistique française, France, 2012.

• **Sites:**

GRBN et ESOMAR, (2015). Disponible sur : <https://www.esomar.org/uploads/public/knowledge-and-standards/codes-and-guidelines/>. Consulté le 19 juin 2020.

ICOR, (2013), Groupe ICOR UMR 5191 ICAR (CNRS- Lyon2- ENS de Lyon). Disponible sur : http://icar.cnrs.fr/projets/corinte/documents/2013_Conv_ICOR_250313. Consulté le 13 février 2020.

ISO 233-2, (1993), Translittération de l'arabe, I. 2.-2. (2010). Disponible sur: http://guideducatalogue.bnf.fr/abn/GPC.nsf/gpc_page?openform&type_page=fiche&unid=C00F8804C7C3E372C12576A8002BED96. Consulté le 15 février 2020.

Lorenzo Mondada, 2008, Convention de transcription de gestes (version 2.0.7, avr08). @univ-lyon2. fr. Disponible sur: http://icar.cnrs.fr/projets/corinte/documents/convention_transcription_multimodale. Consulté le 15 mars 2020.

Annexes

Transcriptions diverses

Explications	Exemple
Identifiant du corpus	[(INT. VIS. 3), NIS et FAT, D. 20 /09/2020, H. 16h09, DU. 36m 55s]

Chronomètre de la capture d'écran	00:05
Numérotation de la capture d'écran	Im.1
Se limite entre deux parenthèses, explication ou traduction de l'auteur	()
Se limite entre double parenthèses, manifestation vocale	(())
Les mots en lettres majuscule indiquent un ton perceptible	ET BONNE APPETIT
Chronomètre et identifiant de l'interactant	00:05 FAT
Commencement de la manifestation avant le début de la séquence	>>----
Continuation du phénomène jusqu'à la fin de la séquence	----±>>
Maintien du phénomène	----
Identifiant de l'interactant en action mimo-gestuelle	±
Transcription positionnement de l'interactant	õ
Transcription geste de la main	ò
Transcription expression mimique	ô
Chevauchement des manifestations mimo-gestuelles des interactants	nis. >>=õ-----=>>

Note importante : le tableau de transcription contient une explication limitée des formes de transcription à raison de l'amplitude de ces derniers (les tableaux). Selon notre considération, nous avons choisi d'expliquer les formes de transcription les plus pertinentes dans l'analyse du corpus lié à cet article, par rapport à ceux existantes dans le corpus de thèse.

«L'étude de texte» comme modalité d'évaluation en troisième année primaire à l'école algérienne : lecture dans un choix méthodologique

Afaf SALHI

Ecole normale supérieure, Assia Djebbar Constantine, afafsalhi@yahoo.fr

Soumis le : 29/01/2022

révisé le : 13/06/2022

accepté le : 11/09/2022

Résumé

cet article discute le choix de l'étude de texte comme modalité d'évaluation dans une classe de troisième année primaire qui représente la première année d'apprentissage du français langue étrangère en Algérie. A travers l'analyse d'un nombre de sujets puisés dans différents établissements scolaires algériens et proposés aux apprenants durant les examens trimestriels, nous discutons le choix des supports, les contenus ainsi que la formulation des consignes. Les résultats nous renseigneront sur l'adéquation de ce type d'évaluation avec les acquis des apprenants durant cette année d'apprentissage.

Mots-clés : Evaluation, étude de texte, troisième année primaire, français langue étrangère.

*"دراسة النص" كطريقة تقييم في قسم السنة الثالثة ابتدائي المدرسة الجزائرية :
قراءة في اختيار منهجي*

ملخص

يناقش هذا المقال اختيار الدراسة النصية كطريقة تقييم في الصف الثالث الابتدائي الذي يمثل السنة الأولى لتعلم الفرنسية كلغة أجنبية في الجزائر. من خلال تحليل عدد من الموضوعات المستمدة من مختلف المدارس الجزائرية والمقدمة للمتعلمين خلال الاختبارات الفصلية، نناقش اختيار الوسائط والمحتوى وصياغة التعليمات. ستطلعنا النتائج على مدى ملائمة هذا النوع من التقييم مع إنجازات المتعلمين خلال هذا العام من التعلم.

الكلمات المفتاحية: دراسة نصية، سنة ثالثة ابتدائي، الفرنسية كلغة أجنبية ، تقييم.

"Text study" as a method of evaluation in the third year of primary school in the Algerian school: critical reading in a methodological choice

Abstract

This article discusses the choice of text study as an evaluation modality in a third year primary class which represents the first year of learning French as a foreign language in Algeria. Through the analysis of a number of subjects drawn from different Algerian schools and offered to learners during quarterly exams, we discuss the choice of media, content and the formulation of instructions. The results will inform us about the adequacy of this type of evaluation with the achievements of the learners during this year of learning.

Keywords: Assessment , text study , third year primary, French as a foreign language.

Auteur correspondant: Afaf SALHI, afafsalhi@yahoo.fr

Introduction et problématique

L'évaluation dans le domaine de la didactique est une quantification des acquis des apprenants tout le long du processus d'enseignement- apprentissage. C'est une pratique qui permet aussi bien à l'apprenant qu'à l'enseignant de se situer par rapport à un travail effectué afin d'en connaître les résultats. L'évaluation est de ce fait *«l'une des principales composantes de l'acte pédagogique que l'enseignant accomplit dans son travail quotidien»*⁽¹⁾.

Selon leurs objectifs, il existe essentiellement trois types d'évaluations : une évaluation diagnostique au début de l'apprentissage. Elle permet de mettre le point sur les acquis des apprenants au début de l'année afin de décider des choix méthodologiques à adopter.

Une évaluation formative permet à l'enseignant au cours de la formation de suivre la qualité d'acquisition des différents apprentissages proposés.

Afin de contrôler le rendement des apprenants sur une période d'apprentissage, l'enseignant procède à une évaluation sommative. Celle-ci le renseigne sur le taux et la qualité d'installation d'une partie ou de la totalité des compétences visées. Ce type d'évaluation qui prend souvent la forme d'examens partiels répartis sur toute l'année (appelés compositions trimestrielles dans l'école algérienne), prend également un aspect normatif du moment que l'examen proposé permet aussi bien la comparaison des performances d'un élève à une norme telle que la note, que le classement des élèves les uns par rapport aux autres.

Si la concordance entre les contenus enseignés et l'élaboration de toute évaluation, paraît évidente, il faut signaler également qu'il est impératif que l'évaluation quel que soit son type, doit être *«fidèle aux objectifs de la formation»* ⁽²⁾ du moment qu'elle tend à vérifier si les démarches adoptées ont donné leurs fruits par rapport à une finalité d'enseignement visée. Il s'agit en effet, de proposer à l'apprenant des situations qui demandent de lui l'investissement, à bon escient, du savoir acquis. De ce fait, il incombe aux enseignants de faire un minutieux travail sélectif des tâches «évaluatives». C'est à vrai dire à *«une évaluation au service de l'élève qu'il faut que nous réfléchissions»* ⁽³⁾. Ainsi, il faut se demander selon le même auteur si «l'évaluation pratiquée aide l'élève ou plutôt le sanctionne (...) quels mots doit-on utiliser ? Ces mots jugent-ils la personne ou le travail effectué ?» ⁽⁴⁾.

En Algérie, les compétences visées à travers l'enseignement du français en troisième année primaire, s'articulent depuis les réformes de 2003 essentiellement autour de l'appropriation d'habiletés en expression orale, en lecture/ déchiffrement, lecture/compréhension et en écriture au sens du graphisme ⁽⁵⁾. Les activités inhérentes à l'installation de ces compétences, reposent à l'oral, sur l'écoute d'énoncés afin d'y repérer des indices de sens et découvrir le code écrit. A l'écrit, l'apprenant s'implique dans des activités de découverte de graphèmes à travers l'identification et la prise de conscience de la correspondance graphie/phonie, ainsi qu'à leur reproduction par écrit ⁽⁶⁾. Ces activités s'étalent sur les quatre périodes qui constituent le programme d'enseignement du français en troisième année ⁽⁷⁾. Concernant le paramètre de l'évaluation, les directives de 2018 expliquent que les différentes épreuves programmées représentent *«une partie intégrante du programme et un processus de régulation permanente»* ⁽⁸⁾. On insiste de ce fait, à travers le «plan annuel du contrôle continu», sur le fait de mettre les apprenants dans des situations qui assurent la maîtrise des aspects grapho-moteurs du français ainsi que dans des situations qui portent sur l'activation des correspondances phonie/graphie ⁽⁹⁾.

Depuis les réformes successives du système éducatif, il a été remarqué que les enseignants de langue française adoptent «l'étude de texte» comme modalité d'évaluation durant les épreuves trimestrielles dans des classes de troisième année primaire, même si cela n'a pas été indiqué clairement dans les directives officielles. Celles-ci consistent en le choix d'un texte support autour duquel sont posées des questions dont le but est d'en exploiter les éléments sémantiques et linguistiques.

On se demande de ce fait, si ce mode d'évaluation conviendrait à des apprenants débutants qui s'approprient une langue étrangère pour la première fois avec comme objectif de départ,

maîtriser essentiellement et seulement les signes graphiques à savoir lettres et sons aussi bien à l'oral qu'à l'écrit.

On craint même que cette habileté de départ, ne soit pas suffisante à l'apprenant de troisième année pour lire et comprendre seul le sujet qui lui est proposé et qu'il dépendrait ainsi de son enseignant afin d'accomplir ces tâches ce qui entraverait le bon déroulement de l'examen.

1- Cadrage théorique

«Comment enseigner» est la préoccupation majeure de l'école. Quelle(s) méthode(s), quelle(s) stratégie(s) pourraient être fiables afin de garantir à l'apprenant un apprentissage efficace de par le nombre de compétences installées ; telles sont les questions cruciales au cœur de tout système éducatif. Etant inhérente à l'enseignement, l'évaluation quel que soit son type, mérite autant d'intérêt que de questions sur ses modalités et ses finalités. En effet, enseigner «efficacement», c'est entre autre évaluer efficacement.

Estimer le rendement des apprenants, implique le choix minutieux d'activités qui visent la vérification des objectifs et des compétences visés, ces derniers devront être «bien fixés» ⁽¹⁰⁾, il s'agit également de délimiter la qualité d'acquisition des contenus enseignés ; ce qui permettra dans un deuxième temps, d'envisager des séances de remédiation et / ou de rattrapage pour les apprenants qui en ont besoin.

Dressant «un bilan des connaissances acquises par les apprenants» ⁽¹¹⁾, l'évaluation sommative quant à elle, «intervient au terme d'un apprentissage et peut aller d'une simple séquence à l'ensemble du cursus scolaire» ⁽¹²⁾. On s'attend, selon le même auteur, à ce qu'elle indique la moyenne des résultats d'évaluations partielles (trimestrielles à l'école algérienne) réalisées pour mesurer les acquis au cours des étapes définies de l'apprentissage dont la somme vise l'obtention d'un résultat final ⁽¹³⁾. Hormis la quantification des apprentissages, l'évaluation sommative permet de «recueillir, d'analyser, et d'interpréter des données en vue de répondre à des décisions pédagogiques» ⁽¹⁴⁾. En effet, il va de soi que si l'on évalue le degré d'acquisition des contenus proposés, c'est aussi pour décider de l'aptitude des apprenants à franchir les différentes étapes du cursus scolaire et /ou pour obtenir un diplôme. Cela lui confère un rôle certificatif institutionnel ⁽¹⁵⁾. Les travaux des apprenants sont de ce fait notés et pour autant classés ; ce qui donne à cette évaluation une place primordiale chez eux car en plus du fait de certifier de leurs capacités par rapport à eux mêmes et par rapport à leurs pairs, la note attribuée est aussi décisive étant donné que c'est d'elle que dépend leur réussite ou leur échec.

Concevoir des épreuves fiables pour les évaluations, implique le respect de certaines règles pouvant mesurer objectivement et efficacement les connaissances des apprenants afin de les préparer pour des niveaux supérieurs. Il semble de ce fait, indispensable, de rappeler certains critères que Marianne Viader résume en quelques règles. Celles –ci s'articulent autour de deux paramètres à savoir les critères de conception des questions et ceux de notation. En effet, Viader explique qu'il faut commencer par proposer des exercices du même type que ceux de la classe c'est-à-dire qu'il ne faut pas surprendre les apprenants le jour de l'examen.

Pendant le processus d'enseignement, le praticien cible selon l'activité en question, un nombre de compétences qu'il tente d'installer chez ses apprenants. Il peut en effet, s'agir de la capacité à lire, à écrire, ou à produire un énoncé oral et/ ou écrit. Il est donc recommandé à ce niveau, de tester trois à cinq de ces compétences en fonction des priorités que l'enseignant se fait à travers ses cours ⁽¹⁶⁾, mais aller à leur rencontre ni formuler l'évaluation dans une langue au-dessus du niveau usuel des apprenants pour ne pas entraver leur compréhension et les induire à l'erreur ⁽¹⁷⁾. Il est recommandé que les consignes soient univoques et ne prêtent à aucune confusion. Pour cela, il serait préférable de faire participer un pair pour une relecture afin d'éviter certaines maladresses et même les erreurs de comptage ⁽¹⁸⁾.

2- Choix méthodologique

Afin d'effectuer notre étude, nous procédons à l'exploitation et à l'analyse d'un corpus constitué de soixante études de texte puisées dans différentes écoles algériennes : vingt pour

chaque trimestre. Celles-ci constituent les sujets proposés aux apprenants le long d'une année scolaire durant les trois compositions programmées officiellement. Notre objectif est d'identifier les différentes activités choisies pour l'évaluation des apprenants et déceler leurs critères de conception.

3- Instrumentation

Il s'agit d'agir à l'aide d'une grille d'analyse critériée afin d'évaluer les contenus et voir à quel point ces derniers seraient en adéquation avec les objectifs assignés à l'enseignement du français langue étrangère à des apprenants débutants et surtout avec les compétences acquises à ce stade de l'apprentissage.

Les critères d'analyse sont les suivants :

➤ Le choix du texte de départ

Sa taille relative au nombre de mots

Son adéquation avec la thématique enseignée

Son adéquation avec les contenus enseignés par rapport à la période de la composition (lettres et sons)

➤ Le nombre de questions posées le long de l'épreuve

Leur adéquation avec les contenus enseignés par rapport à la période de la composition Leur relation avec le contenu du texte de départ proposé

➤ La formulation des consignes

Leur adéquation avec les contenus enseignés par rapport à la période de la composition

➤ L'adéquation de la taille de tout l'examen avec le temps officiel alloué à l'épreuve.

Les épreuves sont récapitulées dans trois tableaux dont chacun correspond à un trimestre. Ces derniers sont suivis de commentaires à travers lesquels nous décrivons le contenu afin d'en faciliter la lecture.

4- Présentation et analyse des résultats

Il faut signaler que les sujets de notre échantillon sont choisis «entre 2010 jusqu'en 2021». Nous allons de ce fait tenter de recenser les contenus enseignés pendant chaque trimestre prenant en considération les différences entre les programmes en question si elles existent. Notons tout d'abord que le programme est réparti sur quatre projets et qu'en l'absence d'une répartition officielle, on va considérer que chaque trimestre est consacré à un projet plus une séquence du projet qui suit.

4.1- Epreuves du premier trimestre

4.1.1 – les contenus enseignés durant cette période de l'année scolaire

Thèmes : dire les mots de salutation/ demander et dire son prénom/ nommer le matériel scolaire/dire les noms de couleur/ exprimer ses préférences à l'école / présenter les membres de sa famille en utilisant les mots de politesse/ dire une énumération avec «il y a»/ nommer les objets de sa chambre.

Correspondance phonie/graphie : Les consonnes : m/ n t /d, l/r , b/p ainsi que les voyelles : a/ i , e/è, o,/u, ou/u.

- **Notions grammaticales :** verbe aller à l'oral/ la phrase déclarative / le point/ le prénom/ le verbe s'appeler/ les pronoms : je , tu ,elle/ la phrase interrogative/ le point d'interrogation/ le nom commun/ les articles indéfinis un et une/ verbes aimer et adorer à l'oral/ les pronoms je, tu, il/ les articles définis le et la/ la phrase exclamative/ le point d'exclamation / pronom nous / le verbe être à l'oral/ le sujet de la phrase/ la phrase négative avec ne ...pas . (manuel scolaire de français : troisième année primaire, 2017- 2018 : 11.....33).

Tableau n°1: tableau récapitulatif des épreuves du premier trimestre

Num du sujet	Texte support proposé				Consignes			Taille du sujet par rapport au temps alloué à l'examen (45min)
	Titre	Taille : nomb re de mots	Adéquati on avec la thématiq ue du trimestre	Adéquation avec les lettres et les notions grammatica les.	Nomb re	Adéquati on avec le texte support	Adéquati on avec les lettres et les notions grammat icales.	
01	Où habitons- nous ?	29	–	–	7	~	–	–
02	En vacances	27	–	–	6	~	–	–
03	Dans la superette	51	–	–	11	~	–	–
04	Petite baleine bleue	49	–	–	07	~	–	–
05	X ¹	16	+	+	9	+	~	~
06	Le nouveau camarade	18	+	–	8	~	–	~
07	X ²	29	–	~	10	~	–	–
08	Mes camarades de classe	20	+	+	8	~	+	+
09	X ³	21	+	~	5	+	+	+
10	X ⁴	32	–	~	8	~	–	–
11	En ville	45	+	+	8	+	+	~
12	X ⁵	26	+	+	6	~	+	+
13	X ⁶	10	+	~	6	~	~	+
14	Ma nouvelle école	13	+	+	7	+	~	+
15	Au marché	17	-	~	10	~	~	-
16	X ⁷	15	+	-	6	+	-	+
17	X ⁸	97	-	~	12	+	-	–
18	C'est la rentrée	31	+	~	7	+	-	~
19	X ⁹	39	-	-	10	~	~	-
20	Au bazar	60	-	~	5	~	~	-

+ : oui / - : non / ~ : plus ou moins

Le tableau suivant montre que la taille des textes supports des vingt études de textes proposés aux apprenants au cours de l'évaluation du premier trimestre, varie entre 10 et 97 mots. Dix correspondent à la thématique officiellement proposée. Concernant le respect de la progression dans l'enseignement des lettres programmé ainsi que les notions grammaticales, cinq textes correspondent parfaitement au programme tandis que huit sont plus ou moins adéquats.

Le deuxième paramètre pris en considération dans notre analyse, concerne la conception des consignes. En effet, cette première étape de l'évaluation montre que le nombre des consignes proposées lors des épreuves varie entre 5 et 12. Concernant leur adéquation avec le texte support, six le sont, et les quatorze autres le sont plus ou moins. Pour l'adéquation avec les contenus enseignés durant le premier trimestre, les résultats révèlent qu'en effet, les réponses sont négatives pour dix sujets et positives pour quatre. Les consignes sont plus ou moins adéquates avec les contenus du trimestre dans six sujets. Enfin, notre estimation concernant

l'adéquation de la taille de l'épreuve avec le temps alloué à l'épreuve estimé à 45 minutes, nous relevons six épreuves adéquates, dix inadéquates et quatre plus ou moins adéquates.

4.2 – Épreuves du deuxième trimestre

4.2.1 – les contenus enseignés durant cette période de l'année scolaire

Thèmes : nommer quelques aliments/ exprimer un goût, une préférence alimentaire/ dire son âge/ compter de 0 à 10/ nommer le lieu où on habite /nommer les animaux de la ferme/nommer les mois de l'année/ nommer les saisons/ nommer les animaux domestiques/dire ce qu'il fait/dire la date du jour.

Correspondance phonie/graphie : les consonnes : c,k,g, qu,f/v, s/z, les sons : oi/oin,gu, ph,an, /on/ion, eau/ au, eu/oeu.

Notions grammaticales : dire les phrases avec «il faut»/. verbe vouloir (à l'oral) ./la phrase négative/ la négation ni...ni/les deux points, les guillemets/ adverbe de lieu/ verbe avoir à l'oral/ l'adjectif qualificatif/ le singulier et le pluriel des noms/ les articles : le ,la, les/ le complément d'objet direct/ le synonyme/ le verbe devoir à l'oral/ le nom propre/ le complément d'objet indirect/ l'article «des»/ les marques du pluriel «s,x»/ l'antonyme/ les verbes pouvoir et venir à l'oral/ le pronom «elle»/ le nom propre. Le féminin du nom en «ienne»(2017-2018 : 41....64).

Tableau n°2: tableau récapitulatif des épreuves du deuxième trimestre

Num du sujet	Texte support proposé				Consignes			Taille du sujet par rapport au temps alloué à l'examen (45min)
	Titre	Taille : nombre de mots	Adéquation avec la thématique du trimestre	Adéquation avec les lettres et les notions grammaticales	Nombre	Adéquation avec le texte support	Adéquation avec les lettres et les notions grammaticales	
01	Veux-tu connaître l'Algérie notre pays ?	52	-	-	09	+	~	-
02	X ¹⁰	31	-	~	7	~	~	+
03	Le petit chat et les souris	27	-	-	8	~	~	-
04	Les oisillons	68	-	~	8	+	-	-
05	A la campagne	53	+	~	8	~	~	+
06	A la ferme	19	+	+	6	-	~	+
07	X ¹¹	29	+	~	6	-	-	+
08	Les moineaux	18	-	~	4	~	~	+
09	L'anniversaire	23	-	~	7	~	~	+
10	Le dîner de zoé	56	-	~	9	~	-	-
11	Le coin vert	23	-	~	9	+	~	+
12	L'anniversaire de karima	21	-	~	5	~	-	+
13	Au marché	25	+	+	7	+	+	+
14	X ¹²	26	-	~	5	+	-	+
15	La gazelle	31	-	~	6	-	+	-
16	A la ferme	25	+	-	6	-	~	+
17	Au supermarché	43	-	~	8	~	~	+
18	Ma famille	26	+	+	5	~	~	+
19	Des vacances en Indonésie	43	-	~	8	+	-	-
20	Ma belle chambre	49	+	~	9	+	-	-

Le tableau qui récapitule les épreuves du deuxième trimestre montre que la taille des textes supports des vingt études de textes proposées aux apprenants au cours de cette période de l'année, varie entre 18 et 68 mots. Sept correspondent à la thématique officiellement proposée. Concernant le respect de la progression dans l'enseignement des lettres programmé

ainsi que les notions grammaticales, 3 textes correspondent parfaitement au programme tandis que 14 sont plus ou moins adéquats.

Pour le paramètre de la conception des consignes, cette deuxième étape de l'évaluation montre que le nombre de celles proposées dans les épreuves varie entre 4 et 09. Quant à leur adéquation avec le texte support, sept le sont parfaitement, neuf le sont plus ou moins et quatre ne sont pas du tout adéquats. Concernant l'adéquation de ces consignes avec les contenus enseignés durant le deuxième trimestre, les résultats révèlent qu'en effet, les réponses sont négatives pour sept sujets, positives pour deux et plus ou moins adéquates pour les onze sujets qui restent. Enfin, notre estimation concernant l'adéquation de la taille de l'épreuve avec le temps alloué à l'épreuve estimé à 45 minutes, nous relevons treize épreuves adéquates et sept inadéquates.

4.3 – Epreuves du troisième trimestre

4.3.1 – les contenus enseignés durant cette période de l'année scolaire

Thèmes : nommer les saisons /nommer les animaux domestiques/ dire l'heure/nommer quelques moyens de transport/ fêter la journée de l'arbre/donner la date et le lieu de célébration de la journée/annoncer le thème de la célébration /donner la chronologie/ narrer les actions vécues.

Correspondance phonie/graphie: ch/h/, j/ge, en/ien, ui/oui/in/ein/ain/un, gn/w, é/è :ai/ei/et/er :ez/ier,x, les voyelles nasales/s=ss /ç,ill :eil/euil/ouil/ouille, ia,io,aïl :aille,y.

Notions grammaticales : l'antonyme, les verbes pouvoir et venir à l'oral/ le pronom elle/ le nom propre/ le féminin des noms en «ienne»/ verbe à l'oral (faire)/ le pronom il/ le groupe nominal/ l'adverbe de temps/ le féminin du nom en eur, eusetrice, futur à l'oral (verbe aimer), (GN), complément de temps, le féminin des noms en ier et er,/écrire les chiffres en lettres de 0 à 10. Futur à l'oral (verbe planter), le pronom ils/ le nom propre/ GN /le complément de lieu (2017-2018 :71.....97).

Tableau n°3: tableau récapitulatif des épreuves du troisième trimestre

Num du sujet	Texte support proposé				Consignes			Taille du sujet par rapport au temps alloué à l'examen (45min)
	Titre	Taille : nombre de mots	Adéquation avec la thématique du trimestre	Adéquation avec les lettres et les notions grammaticales	Nombre	Adéquation avec le texte support	Adéquation avec les lettres et les notions grammaticales	
01	X ¹³	24	-	-	5	~	-	+
02	Le jardin de tata choumissa	37	-	~	5	+	-	+
03	X ¹⁴	28	-	+	5	+	~	-
04	La fête de maman	54	-	-	8	+	-	-
05	Au zoo	24	-	-	7	+	-	+
06	X ¹⁵	19	-	-	7	-	+	~
07	Vive la propreté	27	-	~	8	~	~	+
08	Dans le jardin	27	-	~	9	+	-	-
09	X ¹⁶	26	-	+	4	+	-	+
10	Le départ	53	-	+	6	+	+	-
11	La fête	38	-	~	7	+	-	-
12	La cigale et la fourmi	56	-	~	12	~	~	-
13	En vacances	25	-	~	7	+	+	-

	à Oran							
14	X ¹⁷	24	+	~	6	+	+	+
15	X ¹⁸	65	-	~	8	+	+	-
16	A la ferme	101	+	-	9	-	~	+
17	Au zoo	43	+	-	8	~	~	+
18	Le petit clarence	34	-	~	6	-	+	+
19	X ¹⁹	16	+	+	7	~	-	+
20	Au bord de la mer	50	-	-	7	+	-	-

Le tableau qui récapitule les épreuves du troisième trimestre montre que la taille des textes supports des vingt études de textes proposés aux apprenants au cours de cette période de l'année, varie entre 16 et 101 mots. Quatre correspondent à la thématique officiellement proposée. Concernant le respect de la progression dans l'enseignement des lettres programmé ainsi que les notions grammaticales, quatre textes correspondent parfaitement au programme tandis que neuf sont plus ou moins adéquats et sept ne le sont pas.

Pour le paramètre de la conception des consignes, cette dernière étape de l'évaluation montre que le nombre de celles proposées dans les épreuves varie entre 5 et 12. Quant à leur adéquation avec le texte support, 12 le sont parfaitement, 5 le sont plus ou moins et 3 ne sont pas du tout adéquates. Concernant l'adéquation de ces consignes avec les contenus enseignés durant le troisième trimestre, les résultats révèlent qu'en effet, les réponses sont négatives pour 9 sujets, positives pour 6 et plus ou moins adéquates pour les 5 sujets qui restent. Enfin, notre estimation concernant l'adéquation de la taille de l'épreuve avec le temps alloué à l'épreuve estimé à 45 minutes, nous relevons 10 épreuves adéquates, 9 inadéquates et un seul sujet plus ou moins adéquat.

5- Discussion des résultats

Au terme de notre étude, les résultats montrent clairement l'écart qui se trouve entre les objectifs mentionnés dans les directives officielles et la conception de cette modalité d'évaluation. En effet, le long des trois épreuves, la taille des textes support choisis varie entre dix et une centaine de mots tout en passant par des textes d'une vingtaine, trentaine et jusqu'à une soixantaine de mots. Concevoir un texte de cette taille surtout au début de l'année où l'apprenant vient d'entamer un nouvel apprentissage, ne permet en aucun cas le respect de la progression des lettres et des sons programmés officiellement ce qui se répercute sur la qualité de déchiffrement du support si ce n'est sur la capacité de déchiffrer elle-même.

Tous les programmes conçus optent pour des thématiques précises. Celles-ci permettent à l'apprenant l'appropriation d'une somme de lexique d'autant plus que les mots appris au cours de l'activité orale, aident les apprenants à la lecture à travers la stratégie de la reconnaissance. Il s'agit pour les concepteurs des programmes, d'une «sensibilisation et d'une intégration phonétique» (document d'accompagnement des programmes de la deuxième année primaire 2003 :25). Aller à l'encontre de ce critère dans la conception des évaluations aggrave sans doute la qualité de déchiffrement, qui, dans un examen, met l'apprenant dans une situation de «panique» de par les exigences de la situation.

Douze textes supports sur soixante respectent la partie de la progression officielle relative à l'enseignement/apprentissage des lettres et des notions grammaticales correspondant à l'étape de l'évaluation en question ce qui équivaut à 7,2%. 31 textes c'est-à-dire l'équivalent de 18% correspondent plus ou moins à la progression en ce sens que soit ils contiennent des lettres que l'apprenant a étudié et d'autres non, soit que la progression des lettres est respectée contrairement à celle des notions grammaticales. Dans sept sujets, ce critère n'est pas du tout pris en considération. Ceci va clairement à l'encontre des principes didactiques selon lesquels il est impératif d'envisager des évaluations selon les contenus enseignés. Faute de cela, l'apprenant est induit à l'erreur, piégé voire sévèrement et inutilement «sanctionné».

Il est évident que dans une évaluation qui prend la forme d'une étude de texte, les consignes doivent être en étroite relation avec le support du moment que l'on procède à une exploitation de ses unités linguistiques et lexicales. Notre étude a montré que dans sept sujets,

les questions sont en totale inadéquation avec le texte support. Même si ce chiffre constitue uniquement 4,2% du total des évaluations, il reste quand –même significatif et n’a pas lieu d’être. D’autre part, même si les consignes de 25 sujets sont en adéquation avec le texte support, celles de 29 autres le sont plus ou moins. Cela veut dire que les concepteurs ne puisent pas toutes les questions dans le texte support. En effet, il a été remarqué qu’à part les questions de compréhension, les consignes relatives aux points de langue, qu’elles soient des transformations, des analyses ou des exercices de remplacement sont données à partir d’énoncés qui n’ont aucune relation avec le texte de départ dans la quasi-totalité des sujets de l’échantillon.

Avec des consignes dont le nombre varie entre quatre et douze dans l’ensemble des évaluations de notre échantillon, 39 évaluations ce qui équivaut à 23,4% semblent adéquates avec le temps alloué officiellement à l’épreuve et qui ne dépasse pas 45 minutes bien que six seulement appartiennent au premier trimestre qui, rappelons-le, constitue la phase du début de l’apprentissage. 26 épreuves c’est-à-dire 15,6% de l’ensemble des évaluations ne sont pas du tout adéquates avec les quarante-cinq minutes de l’examen dont 10 appartiennent au premier trimestre. Enfin, cinq épreuves sont plus ou moins adéquates avec le temps alloué à l’examen. Par «plus ou moins», nous entendons que soit l’épreuve ne contient pas un grand nombre de consignes, soit que malgré la multiplicité des consignes, les difficultés à résoudre ne sont pas très importantes.

Conclusion

Cette étude a montré que l’intérêt des concepteurs de ce type d’évaluation est focalisé sur les grands axes méthodologiques de l’étude de texte en ce sens qu’ils présentent un texte suivi de questions mais tout en négligeant plusieurs critères aussi bien importants qu’indispensables.

D’abord, la conception des textes où leur choix ne tient pas compte du bagage linguistique des apprenants limité à ce stade de l’apprentissage ; ce qui fait penser que le texte ou le sujet en entier est lu par l’enseignant. Une attitude qui, à notre avis, ne permet pas un climat de travail favorable pour un examen ne pouvant pas prendre en considération le rythme des apprenants aussi bien rapides que longs du moment que l’enseignant ne pourra lire et expliquer une nouvelle consigne sauf si tous les apprenants terminent l’activité en cours.

Selon le document d’accompagnement du programme de français du cycle primaire (2016 :7), les notions grammaticales sont enseignées à travers des activités orales de compréhension et d’expression où il s’agit juste d’identifier et de fixer des structures en fonction des besoins langagiers quotidiens de l’apprenant, d’autant plus que la conjugaison des verbes est enseignée oralement aussi selon les directives officielles. La thématique des textes quant à elle, est juste à découvrir selon des indices puisés dans le support même (Ibid). Tout cela rend forcément inutile d’imposer à l’apprenant des exercices de transformation grammaticale, de conjugaison et même de compréhension à l’écrit. Une évaluation que l’on peut remplacer par des activités orales comme la dictée pour le contrôle de l’assimilation du code écrit dont lettres et sons ainsi que des activités de dramatisation afin d’évaluer la qualité de fixation des différentes structures programmées. Cela reste dans la perspective des objectifs officiels d’un côté, et en harmonisation avec le volume horaire «trop limité» d’un autre.

Notes

1- Altet marguerite, millien Edwige : module évaluation des apprentissages scolaires, 20 janvier 2014

2- Boissardpaul «Boissardpaul,»l’évaluation formative : un outil de progression», Revue synergies FranceN°1023/02/2016

3- Rebinguetmichel : l’évaluation à l’école primaire (2005) consulté le 10 octobre 2021

4-(Ibid)

5- Ministère de l’éducation nationale : «plans annuels de français troisième année primaire» septembre 2018 ,p7-8

«document d'accompagnement du programme de français de la 2^{ème} année 2003p6, de la troisième année 2003p4

6- Document d'accompagnement de la troisième année, 2003

7- Manuel de la troisième année primaire 2017-2018 p 7.....14

8- Plan annuel de français ,troisième année 2008 p 28

9- Ibid p 33

10- Tardieu Claire, la didactique des langues en quatre mots clés : communication, culture, méthodologie, évaluation. Avril 2008 France ED ellipses p191

11- Ibid p208

12-Ibid

13-Ibid

14-Leclerc Marie-Josée : «l'évaluation :un élément crucial du processus apprentissage» ,2015

15-Tardieu Claire p 199....208

16-VIADERMarianne : neuf règles à suivre pour concevoir un bon examen,2021

17-Ibid

18-Ibid

1- Manil va à l'école

2 - Une carte d'invitation à un anniversaire

3- Les activités de la classe

4- Le conte de blanche neige

5 - La famille de Mounir

6- Dialogue de présentation entre deux élèves

7 - L'activité scolaire du mardi

8 - Les vacances

9 - Dans la voiture

10 - le verger de grand- père

11 - le petitsami se présente

12 - la petite Maram se présente

13 - La nuit

14 - Le mouton

15 - Anis le peintre

Bibliographie

Livres

- Medjahedleila, Ferhat moulood et al : livre de français, troisième année primaire. 2017-2018 office national des publications scolaires

- Tardieu claire : la didactique des langues en quatre mots clés : communication, culture, méthodologie, évaluation. Avril 2008 France ED ellipses

Articles en ligne :

- Altetmarguerit, millien Edwige : module évaluation des apprentissages scolaires 20 - janvier 2014
URL

- Boissardpaule,»l'évaluation formative : un outil de progression», Revue synergies FranceN°1023/02/2016 URL :<http://journalsopenedition.org/ries/3270>

- Leclerc Marie-Josée : «l'évaluation:un élément crucial du processus apprentissage»
URL: <http://rire.ctreq.qc.ca/2015/06/evaluation-apprentissage/> 2015

- Ministère de l'éducation nationale : «plans annuels de français troisième année primaire» septembre 2018

- Ministère de l'éducation nationale :»document d'accompagnement du programme de français»
URL <https://www.education.gov.dz/wp-content/uploads/2015/04/Doc-Fr-Pr-2016.pdf>

- Rebinguetmichel : l'évaluation à l'école primaire (2005) URL <https://sections.se-uns.org/06/IG/pdf/nevaZAP.pdf> consulté le 10 octobre 2021

- VIADERMarianne : neuf règles à suivre pour concevoir un bon examen
URL <https://culture-fle.de/9-conseils-pour-concevoir-un-bon-examen/2021>

مجلة علمية محكمة ومفهرسة

e-ISSN 9865- 2352

ISSN 1111- 4932